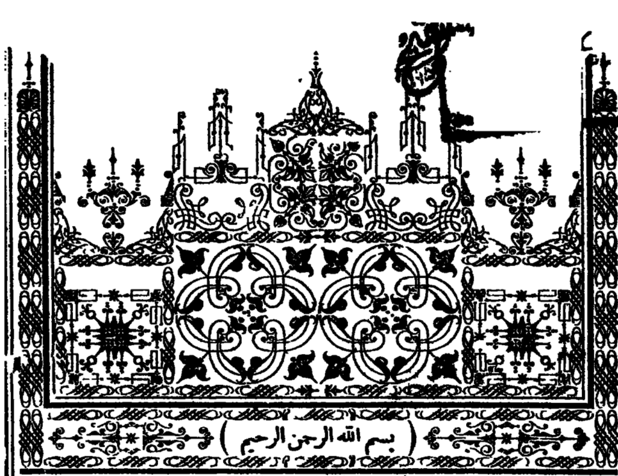
هذا كتاب

هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف

للعلامة الشيخ يوسف بن محمد بن
عبد الجواد بن خضر
الشربيني عفا الله
عنه آمين

(طبع على نفقة الشيخ محمود موسى شريف الكتبي والورق
حضر من طرف حضرته)

(الطبعة الثانية)
بالمطبعة الاميرية ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٠٨
هجريه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان بنطق اللسان وخصه بعموم الفضل والامتنان وهيأه لادراك حقائق المعرفة والبيان وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممر الازمان وميز صاحب الذوق السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان وخص أضداده بسوء الخلق وكثافة الطبع كعوام الريف أراذل الجدران والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أفضل جرثومة العرب من عدنان المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم أفنان صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل وقت وأوان ﴿وبعد﴾ فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه انه لما مر على من نظم شعر الارياف الموصوف بكثافة اللفظ بلا اختلاف المشابه فى رصه لطين الجوالس وجرى ذكره فى بعض المجالس قصيد أبى شادوف الحاكى لبعر الخروف أو طين الجروف فوجدته قصيدا باله من قصيد كأنه عمل من حديد أو درس من جوف الجريد فالتمس منى من لا تسعنى مخالفته ولا يمكننى الا طاعته أن أضع عليه شرحا كريش الفراخ أو غبار العفاش وزوابع السباخ يحل ألفاظه السخيمه ويبين معانيه الذميمه ويكشف القناع عن وجه لغاته المشرويه ومصادره المشكليه ومعانيه الركيكه ومبانيه الدكيكه ومقاصده العبيطه وألفاظه الحويطه وأن أتممه بحكايات غريبه ومسائل هباليه عجيبه وبأن أتحفه بشرح لغات الارياف التى هى فى معنى ضراط النمل بلا اختلاف وأشعارهم المقترفة

من بحر الضايط واشتقاق بعض كلماتها التي هي في الصفات تشبه الشراميط ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق في القاهرة ومصر وثغر بولاق وذكر فقهائهم الجهال وعلمهم الذي يشبه ماء الضال وفقرائهم الاجلاف وأحوال الاوباش منهم والاطراف وذكرنا تهم عند الهراش وملاعبتهن في الفراش التي هي شبيه فط القرود أو بربرة الهنود وأن أورد بول كلام المتن بحيث اذا ذقته أيها السامع يحكي طعم البول واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه أيها الناظر فكأنك قد قطفت زبل الغول واذا نظرت الى أشعاره فكأنها رص القلقيل واذا تأملت عفاشة كلامه فكأنك تناولت زبل الخيل وأن أصرح فيه ببعض نكيتات هزليه وحكم هباليه على سبيل المجون والخلاعه والبديه والصقاعه حتى يشتهر شرح هذا القصيد من دمياط الى الصعيد وأرجو أن لا يخلو منه اقليم بل ولا بلد من بلاد العبيد وقل أن يخلو سامعه من تواتر الالفاظ التي كالولاش وربما اعترى قارئه ضرب من الطراش فهو ان مر على المسامع عركالريح وان مجه الطبع كالمرض الصحيح كما قال الشاعر الفصيح الملتقط شعره من الدر الوضيح

اذا حققت أن اللفظ صوت * وأن الصوت معنى يا فصيح
فحقق أن تأليفي كلام * تلذ به المسامع وهو ريح

(وفي المثل) في البحر سمك يفسي نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعه والاخليه ولا بأس بوصف هذا الشرح بأبيات. كأنها بول البنات فأقول

كتاب قد حوى فن الولاش * كتاب قد أتى مثل الفراش
كتاب فيه أوراق وحبر * وقول صادق مع قول لاش
وفيه ما أخي من كل معنى * اذا ما ذقته طعم العفاش
وألفاظ به تحكي لبول * عليها رونق مثل العماش
وفيه مسائل حازت هبالا * عليها سابل مثل القماش
وفيه النظم شبه الطوب رصا * وفيه مسائل جاءت بلاش
اذا طالعته حقا وصدقا * فلا تأمن سريعا من طراش

وكل هذا المناسبة ألفاظ القصيد وحل معانيه التي تحكي خوف الجريد فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن كما هو عادة القاطن في هذا الفن والطاعن فيا له من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك ولو نقش على عامود الصوارى لتحرك ولو مس به حجر لتشطر ولو ألقي في اليم لتكدر فهو جدير بأن يرقم ببول الجحوش على جدران الكنائس وحقيق بأن يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس وأن يلقى على روس المزابل وأحق بأن يرقم على جدران المكاسل فهو شرح عديم النظير في الكثافه لكونه في معنى أوصاف الريافه وليس له شبيه في الثقاله لكونه في

والطين وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين اذ الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت والنقز والبنتوت والساقية والفرقلة وشيل الطين والجلة والعياط والغارة والطبلة والزمارة والمدوة خلف قفاه ومزراقه وهزرداه وحزامه الليف والتبن والشنيف وخلقته المشرمطة وصورته المخلبطة وطربوشه الدنس وزرّه الغلس وطرده للغارات والدواهي والبليات ومشيه حافي في الحر والحلافي وعياطه في الظلام بالسعد أو بالحرام فيجتمع عليه القوم ويقع منهم على البلاد الهجوم وهم سعد أو حرام ويخرج اليهم الآخرون بالتمام فيقع بينهم الحرب والعناد وتخرب بسببهم البلاد وتقطع الطريق على العدو والصديق ويترتب على ذلك المفاسد وتمتنع عن بلادهم الفوائد وكل هذا من قلة عقلهم وكثرة جهلهم وسوء أخلاقهم وعدم اتفاقهم اذ كلهم في الظاهر مسلمون والقتل عندهم مثل الدون وأيضا عندهم قلة الوفا وعدم الانس والصفا لا يؤدون القرض ولا يعرفون السنة من الفرض ان عاملتهم أكلوك وان نصحتهم أبغضوك وان أقت لهم الشرع رفضوك وان ألنت لهم الجانب مقتوك العالم عندهم حقير والظالم عندهم كبير أمورهم معاند وليس عندهم فوائد عندهم قابض المال أعز من العم والخال سود الوجوه اذا رأوا معروفا أنكروه كما قال الشاعر في المعنى

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبدا * فان اكرامهم في عقبه ندم

يبدوا الصياح بلا ضرب ولا ألم * سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا أقاموا أفراح لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح وشدة الاضطراب والكرب وربما وقع فيها البطح والضرب وشاهدنا كثيرا من أفراحهم وما يقع فيها من عدم نجاحهم وستأتي كيفية أفراحهم وأعراسهم وعدم ذوقهم مع جلاسهم وأما اكرامهم للضيوف فهو هز الاردية والتعوف والجلوس على المساطب ونفش اللحى والشوارب وان حصل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيسار والكشك الحامض بالفول أو نوع من المدمس والبقول ولو مكث الشخص منهم مدة في مصر ودمياط لم يكتسب من اللطافة قيراط وبعض أكابرهم المشار اليه والمعول في الامور عليه اذا طلع مصر لمقابلة الامير أو قضاء حاجة من الوزير ترى عليه لبس محبوب ومع ذلك يمشي حافي بلا مركوب وأمورهم ليس لها انضباط وأحوالهم شياط وعياط وورد هم عند الامطار التفكر في الغنم والابقار وتسبيحهم في الظلام هات النبوت والحزام وحط العلف وهات الكلف قال الشاعر في المعنى

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة في القرى ميراث

تسبيحهم هات العلف حط الكلف * علق لثورك جاءك الحراث

لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عوراتهم عند الاستنجاء على الفساقي مكشوفة وثيابهم بالنجاسة

محفوفة

محفوفه يجتمعون لحساب المال فى المساجد وليس فيهم راكع ولا ساجد أولادهم دائما عريانين وتراهم فى صورة المجانين الرحمة فيهم قليله والرأفة منزوكة ذليله كما أنه يكتب لطرد النمل بلا مرا ارحل أيها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى ومن وصايا الامام مالك للامام الشافعى رضى الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وجاهك وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنى المدن فان المقت اذا نزل فى بلاد الريف طوفانا يكون فى المدن كخلخال الرجل قلت واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت قبر فالساكن فى الريف معدوم اللذات لانه دائما فى انقباض وطر وجرى وكر وفر وحبس وضرب ولعن وشب وهوان وشجار وشيل تراب وحفر آبار وخروج للعونة على جهة السخره وتعب شديد بلا أجره واذا كان ذو فضل ضاع فضله أو ذو عقل ذهب عقله أو ذو مال أغروا عليه الحكام أو ذو تجارة نهبوه فى الظلام فالحق عندهم مضاع والباطل عندهم مذاع وحكم الله ليس له اندفاع ﴿ ولنذكر طرفا يسيرا من أسمائهم وما يكنون به فنقول (أما أسماؤهم) فانها كأسماء العفاريت أو رقع الشلاتيت فيسموا جنيجل وجليجل وعفر ودعموم وزعيط ومعيط وقسيط وشلاطه ولهاطه وشقليط ومقليط وصفار وبهوار وجمار وعمران وشعوان وسمنوت وبرغوت والعفش والنبش وكسبر وقندر وجنين وبنين ومحمد بكسر الميم والحاء المهملة ومحمدين بكسرهما أيضا وغير ذلك من الاسماء وان كانت لا تعلل فان أسماءهم هذه تشبه التلقيب وقد يسموا بالفال كما اتفق أن رجلا ولد له غلام فسمع رجلا آخر يقول يا أعمش العين فقال نسميه عموش فسمى بذلك واتفق أن رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول لآخر هات الزبل فقال لامها سميها زبله فسميت بذلك وربما تصغير زبلة وزبله فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة أو جفلة أو غلة أو قلة وقال بعضهم فى هذا المعنى ووزن زبلة لديهم عجلة ؛ وغلة ورسلة وجفله

وقد كرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم ان زوجته ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لآخر دم الحس فقال فسماه بذلك ثم ولد له ولد ثان فسمع رجلا يقول لآخر شارب فى الخرا فسماه بذلك ثم ان دم الحس فقال كبروا تنشى وكذلك شارب فى الخرا بلغ من العمر عشر سنين فأرسلهما والدهما الى الكتاب فقرأ دم الحس فقال القرآن وبرع فيه وكذلك شارب فى الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق فى يوم من الايام أن دم الحس فقال قال لاخيه شارب فى الخرا اقصدنا يا أخى الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال شارب فى الخرا اطيع السمع والطاعة فتوجه دم الحس فقال هو وأخوه شارب فى الخرا الى أن أشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس فقال ماهر فى العوم وأخوه شارب فى الخرا عومه قليل فسبق دم الحس فقال أخاه شارب فى الخرا

فتضايق شاربك في الخرا واشتد به الامر وأشرف على الغرق فالتفت اليه دم الحس فقال فرأى
شاربك في الخرا في شدة عظيمة فأقبل عليه ووضع يده تحت ابطه وأسنده على ظهره ولم يزل
يتلطف به حتى أوصله الى البر فلولا أن دم الحس قد سبق والا كان شاربك في الخرا غرق (ومر)
رجل فرأى ولدا يضرب أباه ويسخر به ويسبه فقال له ياغلام ان لابيك عليك حقا أن لا تنهره
ولا تؤذيه وأن تحسن الادب معه ولو كان كافرا فقال له ياسيدي وأنا الآخر لي عليه حق فقال له
وما حقك عليه فقال له أن يحسن اسمي ويعلمني القرآن وأن يرشدني الى أحسن الصنائع وهذا
سماني دبوس وعلمني لسان الجوس وصيرني بين الناس خلبوص أفلا أنتر به وأسخر به وأسبه
فقال له بل صكه بالنعال فانه مستحق لاقبح النعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه فقال له ما اسمك فقال تنور قال وأبوك قال شرارة قال وأمك قال لهب قال وفي أي
واد أنت قال في وادي النار فقال له رضي الله تعالى عنه اذهب الى واديك فان أهلك قد احترقوا
فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضي الله تعالى عنه (والاسماء) تدل على لطافة المسمى أو على
كثافته وفي كلام أهل العلم والتأديب كل أحد له من اسمه نصيب (وأما كناهم) فأبو شعره
وأبو معره وأبو عنره وأبو دعموم وأبو شادوف وأبو جاروف وأبو مشكاح وأبو رماح وأبو بناح
وأبو بقر وأبو سطر وأبو هودج وأبو خرق النورج وأبو ضلام وأبو شقوير وأبو قشقوش وأبو قسيم
وأبو جريده وأبو طعيمه وأبو بليله وأبو زغلول وأبو سيسي وأبو جاهل وأبو قصاله وأبو زباله
وأبو بعبوص وأبو غموص وأبو لبده وأبو غته وأبو زعيط وأبو معيط وأبو ربطع وأبو زعزع
وأبو تعينع وأبو شعبشع وأبو صابر وأبو خنافر وأبو هبول وأبو هوير وأبو طرطر وأبو عوكل وأبو
حوقل وأبو عسقول وأبو ذنابه وأبو زغابه وأبو طريف وأبو فدح وأبو عريش وأبو كريش وأبو
قتيشه وأبو دشيشه وأبو قزق وأبو قلوط وأبو جلاط وأبو جبيص وأبو كانون وأبو مقلد
وأبو جعباظ (ويلقبون) عمران القلبط وعمير القرط وقبري وقنديسه وشعير وبعير وعنطوز
الباب وشلاطة محلاب ومحمد القلاب وكسير التقلية وبربور الهبلة ولهاط الزبلة ومشالي
الجلة ونحو ذلك كثير لا غاية له (ويجيبون السائل) بلفظ هاه وهيه وايش مالك واي مالك
وايهاه مما هو مشهور بينهم (وأما أسماء نسائهم) فمن بعض أسمائهم فيسمون زعره وبعره وهيطله
ومبكله واخطيطه وحويطه وعميكه ودعيكه ودكيكه وشباره وشراره وزراره وعلاره
وعباره وشلبايه وعطايه وعليوه وحليوه وهدبه وبليه ولبده وغته وشمه وله وبله
وسروه وبروه وفيوه وخروه (ويكنون) بأم جعيص وأم معيص وأم رميح وأم عزام وأم
زوام وأم شقيره وأم صقيره وأم شواهي وأم دواهي (ويلقبون) بجلايه وكرسايه وعاسوله
وفاره وفرفاره وغاره وغايره (فهذه) أسماء وألقاب وجودها كالعدم وانما هي ألفاظ ينعقونها

مناسبة

مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته يقول لها يا داهيه يا داهيه تقول له
تجيلك من الحيط (كما اتفق) أن رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها يا داهيه
يا داهيه فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى أتعشى فقالت له ابنك بيخرى كل أنت وقال
شخص منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجيلك يا أبو عنطوز (وأما أولادهم) فانهم مثل أولاد الهنود
أو أولاد القرود دائما فى شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم دائما مكشوف الراس غارق فى الجله
والساس ونومه فى المدود وشربه من المترد وأكله من الجله ولعبه حول العجله يشخ ويخرى فى ثيابه
دائما فى مخامه وهبابه عمره فى الدناسه وأمه فى نجاسه واذا درج فى الحاره لا يعرف غير الطبله
والزماره والطردور الثور والفحل ومخامه فى الجله والوحل لا يلبس على طهاره قميص وعيشه
دائما فى تنغيص خالى من التنظيف وكلهم خوف من خوف الريف (وأما نساؤهم) عند الجماع
فانهن فى حكم الضباع يدخلن الافران ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر لهم
روائح الدمس حتى يصيروا فى قلس ثم ينضجعوا على شئ من القش وما تيسر من القصل والعفش
بعد أكلهم المدمس والبيسار حتى يصير الشخص منهم كأنه حمار ثم يضم زوجته اليه وهى
تتشقلب عليه فيظهر من بين الاثنين روائح الجله والطين وتعطيه رجليها وتنظر الى عمشة عينيها
ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول أحيه جتك داهيه أحيه جتك مصيبه أحيه جتك
غاره فتفتحها بليه وجاعها رزيه وربما جامع الشخص منهم زوجته فى مدود الحاره أو فى الغيط
جنب العباره وقد تمكث المرأة منهن الجمعه لا تغتسل من الجنابة لعمه وكذلك الرجل بتحقيق
فى أعظم الدناسة وعدم التوفيق (وأما اعراسهم) فانها مثل قيام الغارات أو نعفر الكلاب فى
الحارات يدوروا بالعريس دوره وهم فى غارة أو غوره وعياط وصراخات ودواهى وبليات وزعيق
وعفره وصياح وغبره والكلاب تنبح والشعراء تمدح والطبل يضرب والمشاء حوله تلعب
والجدعان تخبط بالنبابيت والاولاد تنط بالشلاتيت وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجد وربما
هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين
ويخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدوره يفرشوا العريس جنب الجوره
ويجلسوا على نخ أو حصير أو برش من أبراش البير ويأتوا بالعروس كأنها فحل جاموس منقشة
بالحبر والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريط تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح
ويرشوا عليها الملح خوف النظره وقد خلطوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا
وصارت بهذه الفعلة مثلة بين الملا وهذا من أقبح أفعالهم وأتعس أحوالهم اذ لا يجوز هذا فى
الشرع ولا يقول به أصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها على شئ عال ويأتى اليها الطبال وينشدوها
لاشعار مما هو مناسب لها بالاعتبار شعر

ياعروسه ياأم غالى * انجلى ولا تبالى انجلى ياوجه بومه * زاعقه وسط الليالى
وجهكى بالنقش يشبه * وجه ضبعه فى الرمال انا مسحنة شعر بربط * فوق رأسك لا محال
تشبهى به آم جبير * دائره وسط التلال ياعريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالى
وافرشوا القب وناموا * فوقها جنح الليالى واشخرى له واغنى له * بالدواهى والهبال
تصلحى له ياعروسه * تم أمرك بالكمال

(ثم انهم) يجتمعوا حول العروس وينادى منهم رجل فلفوس بيده شعله من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقى فى أمان هاتوا يانساء يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرى نصف أو نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كأنها وجوه التيوس وينادوا قح والاشعر والاسم مشقور عزير فان كانت مليحه قالوا قح زرّيع أو سمسم مقشور وان كانت قبيحه قالوا اشعير نبت فوق الجسور ثم انهم يدخلوهما الى الفرن أو البيت ويسرجوا لهم بشئ من عكار الزيت ويفرشوا لهم شئ من التبن أو القصل ويضعوا لهم وسائد محشوة من قشر البصل ويغلقوا عليهم الباب ويدقوا لهم بالحجارة على الاعتاب فان أخذ وجهها هنوه والا جرسوه وهتكوه وقالوا له شرقت البلاد وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتيكه وفرحهم مصيبه ووليمتهم الكشك والفول ونوع من البقول والارز بالعسل يشبه الطين والارز باللبن يشبه طعام المجانين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الدهكشر حيث قال فى القصيد شعر

ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جوّا المساطح
نصفها بالسنط من فوق قتنا * وكان انهدم ياما اقشعنا فضايح
وأخرجتها الضوء برا الزريبه * بقاشى يقول مشعر وشى يقول قامح
وصحت تهنينا أكابر بلدنا * علينا تقال العيش سبول سايح
هدا ديه نخبط على تشل ركبتى * وانا بالا لبده قليل الملايح
وجالس بجنبى ابن جرو ابن كل خرا * وابن الغفير وانا أروح روايح

أى جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم لان الاعادة فى ذكرهم ليس فيها افادة فقد أفردت عرسهم عوائف فراجعه ثم انهم عند الصباحيه يجتمعوا المشاق فى الظهريه ويجعلوا بينهم وبين العريس حكومه لاقدر لها ولا قيمه ويجتمعوا مع بعضهم البعض ويرمحوا فى طولها والعرض ويقولوا حكمنا عليك يافلان قوم هات العيش والمش ورطل دخان ويأكلوا وينطوا ويشبلوا ويحطوا ويأتوا بحجارة الدخان مثل أرباع الكيل ويصيروا فى عياط وشياط الى الليل ويسموا هذا اليوم يوم الهرويه وأمورهم كلها مقلوبه وبعد ثلاثة أيام يخرجوا العروسه بالتملم ويكشفوا وجهها ثانى مرة ويجعلوها للناس شهره

ويأخذوا

ويأخذوا أيضا النقوط من الناس وأحوالهم في انعكاس (ذكروا فانعهم) حكى ان بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث وعلى رأسه لبده مشرمطه ولابس خلقه مقطعه ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسة وقد اسودّ قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدة البرد وهو في حالة مكربه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له يا ملك هذا من فلاحين الريف ينشأ الشخص منهم على التعب والنصب والهم والغم والطرد والجري وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة والصلاة فيصير في هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير الثور والمحرات فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا أخذناه وعلمناه القرآن وشغلناه بالعلم وألبسناه ملابس النعم يتغير طبعه ويرق قلبه وتخف ذاته وينتقل من طور الكثافة الى طور اللطافة فقال الوزير أيها الملك أما سمعت قول الشاعر لايخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر في ضرعه

من كان من جميزة أصله * لا ينبت التفاح من فرعه

وقال آخر الطبع والروح في جسم لقد خلقا * لا ينفد الطبع حتى تنفد الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه وحكى أن رجلا اعرابيا مر بقارعة الطريق فرأى جرو ذئب صغيرا فرحمه وأخذه الى منزله وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى أن كبر فعدا يوما على الشاة فبقر بطنها وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابي ورأى ما فعل أنشد [illegible]

غذيت بدرّها ونشأت فينا * فمن أنباك أن أباك ذيب

اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

ومن ذلك ما حكي أن جماعة قصدوا صيد ضبعة فالتجأت الى أعرابي ودخلت منزله فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لهم لا تتعرضوا للضيف فانه قد استجار بي فقالوا يا هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون أبدا ولا أسلمه لكم أبدا وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابي يوما ليغتسل فلما أبصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يجازى كما جوزي مجير أم عامر

أعدّ لها لما استجارت بقربه * من الدر ألبان اللقاح الدوامر

وأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام على رضي الله عنه قال لا تعلموا أولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اجتهدوا في اذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن كتم المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقيدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم أجلاف جوف كأنهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه هل فى الانام رأيتم * جفا رقيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الارذال خصوصا دنىء الاصل اذا ادعى العلم والفضل (كما اتفق) أن امرأة ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهى متضجرة منه وراغبة فى فراقه فأرسلت للعلماء فى تدبير حيلة للفراق فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع دنىء الاصل تعلم العلم فدبرها أن تدعى أنها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفى الى أن تنقضى عدتها فتصل الى الحاكم الشرعى وتعترف بصدور ذلك منها وأنها تابت ورجعت الى دين الاسلام وأخذ على ذلك منها شيأ ففعلت ما أمرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا أن لا يصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه وفى هذا المعنى قول الامام الشافعى رضى الله عنه فمن منح الجهال الى آخره (وكذلك) ياملك الحكاية المشهورة وهى أن رجلا دنىء الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فرأى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له قلب الزلابى ورحمه وقال له ادخل لاغديك صدقة عنى فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فأكل حتى شبع واذا محتسب المدينة مار ينادى على أهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك صناع الزلابية أن ينضجوها ولا يبيعوها طرية فقام هذا الرجل الكثيف الرذل وأخذ بعضا من الزلابية وجعله بيده وقال للمحتسب نصرك الله على هذا الرجل بياع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فأخذ المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربا مؤلما فالتفت الى هذا الرجل ردىء الحال والفعال وقال ماذنبى معك وأنا شفقت عليك وأطعمتك حتى شبعت صدقة عنى فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال له وأبوك قال فلان قال وأمك قال من جانة جارية سوداء فقال صانع الزلابية لا ألومك أبدا جاءك الطبع الخبيث من جهة امك ثم انه أخرجه من دكانه ومضى الى سبيله وفى هذه الحكاية ياملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لابد من أخذه وتعليمه ولا أركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فأخذ الفلاح وأنعم عليه وألبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم فحفظ القرآن وبرع فى علم الرمل والحرف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر الملك ما قال الوزير فى حق الفلاح ونصحه الملك فى عدم أخذه وتعليمه فأرسل اليه فلما حضر قال له ياوزير خابت فراستك فى الفلاح فانه الآن بقى على غاية من العلوم وصار له براعة فى علم الرمل والحرف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير ياملك اختبره وانظر طبعه وخلقه فأرسل اليه فحضر فقال له الملك بلغنى أنه صار لك قوة فى اخراج الضمير وبيان

الصانع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادى أن أضمر على شئ وتبينه لى فقال افعل قال فنوى الملك وقلع خاتمه وأطبق عليه يده وأتى اليه وقال له انظر ما فى يدى قال فأقام الاشكال وقال فى يدك شئ مدور قال نعم قال وهو خالى الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة زمانية ثم قال أظن والله أعلم أنه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال غلب عليه طبعه الاول يا ملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى حالته الاولى (وقيل) التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر أحوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل فى دار الحكم وتسمى عندهم دار الشد أقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون وأمامهم شيخ كبير قد طعن فى السن وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو أمام القوم قام اليه وأكرمه وأجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال فى نفسه لعله من أهل الصلاح لان ما فى هذه القرية أكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة وأن يجتهدوا ويفيقوا الى أنفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند ذلك قام هذا الشيخ الكبير ووقف بين يدى الامير وقال له انى أريد أن أنصحك أيها الامير وأرشدك الى شئ تفعله فان أنت فعلته فاقوا الانفسهم وسدوا المال فقال له الامير تكلم يا شيخ فان ما فيهم من هو أكبر منك سنا وأعلى قدرا فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم دا الجامع اللى فى وسط البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة اللى يقولوا عليها الناس ويتركوا مصالحهم فاذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسدوا المال ولو أنى طاوعتهم يا أمير وصرت كل يوم أدخل دا الجامع كان انكسر على مال السلطان وما نفعنى طول عمرى ما أعرف دى الصلاة اللى يقول عليها الناس ولا دخلت الجامع أبدا قال فتعجب الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له أنت رجل طال عمرك وساء عملك ثم انه علق فى رقبته الاوطية وأركبه حمارا معكوسا ونادى عليه حوالى البلد بعد أن ضربه ضربا موجعا وأخرجه من القرية على أسوا حال (ومما يحكى) أن أبا نواس جلس يوما هو والخليفة هرون الرشيد فى محل المداعبة والملاطفة فأحضر بين يدى أبى نواس صحن من الخشتنانك المحشو بالسكر وصار يأكل هو والخليفة فقال الخليفة يا أبا نواس هل يمكن أن أحدا من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوام الريف الفلاحون وأضرابهم فانهم أناس نشؤا فى أكل الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا غيره من المأكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لا بد أن تحضر لى رجلا منهم فى هذه الساعة والا قتلتك قال فقام أبو نواس من عند الخليفة متحيرا يمشى فى شوارع بغداد فرأى رجلا يحاكى سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى ركبته وقد اتسخت وتمزقت من سائر الجوانب واذا أراد أن يتحزم عليها بان ايره وانكشفت عورته واذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى رأسه لبدة من الصوف طويلة مثل القحف دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله خلف قفاه وبيده رغيف ذرة يأكل فيه وهو ينظر الى الحوانيت

مثل المرتاب وهو فى حيرة لا يدرى أين يذهب ويأكل وهو ينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه أبو نواس فى هذه الحالة عرف أنه خفى من خوف الريف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وتحير فى نفسه ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظن أنه يريد أن يأخذ الرغيف منه فخطه فى عبه وقال له يا جندى أنا ما معى شئ تاكله غير هذا الرغيف وأنا ان أعطيته لك قتلنى الجوع وأنا عمرى ما طلعت هذا الكفر وأنا ما نظرته جنادى كثير مثلك ودور مثل دور نا وخايف من الجنادى لا يقطعوا راسى فقال أبو نواس فى نفسه الحمد لله الذى أوقعنى فى هذا فهو المطلوب الذى لم يعرف الكفر من المدينة ثم انه لاطفه بالكلام وقال له لا تخف ولا تنزع فمالى حاجة برغيفك ولا أنا جيعان وأنا مرادى أغديك غدوة عظيمة فقال له حيالك الله يا جندى وأنا الآخر لما تغدينى وتبيض وجهى أزورك بأربع بيضات وان فقست وزتنا أجيبلك وزمخضرا وأجعلك صاحبى ولا تخلى أحد يقطع راسى لانى خايف أروح الكفر بلا راس قال فضحك عليه أبو نواس وقال له امض معى فى هذه الساعة أغديك وأصافيك قال فسار معه وهو لا يدرى أين يذهب حتى أقبل على دوان أمير المؤمنين هرون الرشيد قال فلما رأى الدوان وكثرة العسكر بهت وحار فى أمره واندهش وقال الله وكبر القيامه قامت وذا الحشر لا كلام ثم انه أراد الهروب فقبض عليه أبو نواس وقال له لا تخف ولا تخش من شئ وضمانك على فقال له يا جندى أخاف العرض على ربى من الحساب ليحاسبنى على ضرب البهايم وبيك الحمر فى الغيط لانى ما خليت حماره فى الغيط بلا نيك من خوف لا أهجم على نسوان الكفر عسكنى المشد يقطع راسى وباسمع الناس وهم يقولوا كل من نكح دابة يجى يوم القيامة وهو حاملها وأنا نكحت دواب كثير حتى الكلاب والقطط لا أقدر أحملهم فى هذا اليوم وأنت تشفع لى عند ربى يسامحنى فى هذا اليوم مما فعلت فقال له أبو نواس لا تظن أن هذا يوم القيامة وانما هو دوان الخليفة هرون الرشيد السلطان فقال له يا جندى أنا ما رأيت مثل هذا المحل أبدا ولكن ما يكون الخليفة قال له هو السلطان الذى يقبض المال من بلاد الارياف والكنور فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان يقطع روس الفلاحين ولا يخلى فلاح من غير قطع راس وأراد الهروب فلما سمع الخليفة كلامه سأل عن القضية فأخبروه بها فضحك وأرسل يطلبه قال فأخذه أبو نواس وأقبل به على الخليفة وهو فى دهشة وحيرة مما رآه من كثرة الجند والعسكر حتى وقف بين يدى الخليفة فقال أنا فى جيرتك يا رسول الله يا أبو زعبل يا أبو عنطوز يا الله يا مشايخ الكفر خلصونى قال فأمر الملك أن يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه ثم انه نظر فرأى الخليفة جالسا على الكرسى وعلى راسه التاج الكسروى فقال له أنا فى جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح من أى البلاد أنت فقال له أنا من كفر أبو زعبل وأنا شيخ الكفر وعندى بيت ملآن تبن وقصل وعندى عنز ومركوب أحمر وحيا لراس السامعين وعندى فرختين وديك وشوتين عضم وخف طويل مثل خفك ذا

ياخطيب فضحك عليه الخليفة وقال له من أحضرك عندى قال ذا الجندى صبيك لاجزاه الله خيرا وكان مراده يأكل رغيفى دائم انه أخرج الرغيف من عبه وأراه للخليفة فقال له الخليفة أنت جيعان فقال ياخطيب صبيك أوعدنى بالغدوة فقال له الخليفة ماتشتهى قال العدس والبيسارهات لى عدس ومترد بيسار ورغيفين دره وانا أحلى أم خطيطة تدعى لك فقال له الخليفة اجلس يافلاح قال فقعد ومدّ رجليه بحضرة الخليفة وحط النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه وربطه فى حزامه خوفا عليه أن يقع من وراء ظهره فأمر الخليفة أن يقدموا له الصحن الذى فيه الخشتنانك فقدموه اليه فلما رأى الصحن قال ياخطيب المسلمين أعطنى من دا المتدكوره ألعب بها فى الكفر أنا وأبو دعموم وأولادا الكفر فضحك عليه الخليفة وقال له كل منهم كورة فقال ياخطيب المسلمين الكوره تنا كل فقال له كل على بركة الله تعالى قال فأخذ الفلاح واحدة ووضعها فى فمه ومضغها فلما استقرت حلاوتها فى جوفه صار يأكل أربع حبات سوا ويعجنها فى يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو فى حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يافلاح مايكون هذا الذى تأكله وما اسمه فقال ياخطيب المسلمين طول عمرى آكل العدس والبيسار والكشك بالفول والمدمس ماريت متل دا أبدا الا أنى سمعت أم معيكه جدتى تقول نعيم الدنيا الحمام والله أعلم ان داهو الحمام اللى يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبا بك يافلاح كل واشبع فقال له ياخطيب المسلمين وحياتو جهك لمار وح الكفر أزورك بحمل جله ومحلاب لبن من بقرتنا الحمراء وخمس بيضات وأنت الآخر ماتحرمنى من نعيم الدنيا دا لما أحضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه وأنعم عليه وأذن له بالانصراف ومضى الى سبيله ﴿ولقى﴾ بعض أهل الارياف صديقا له وقد اشترى بردة من السوق فقال له دى بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال بدراهم كبيره فقال له تلفك وتلف وليدا لك فى الشتاء ﴿وجلس﴾ بعض أهل الارياف بين أصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكى وقال يابوبه فخل الفراخ مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام الماضى ديك والعام دا ديك احنا ياولدى أصحاب الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان أصحابه عزوه وصار كأنه مات له ميت (وولدت لشخص منهم حمارة) فلقيه صديق له وقال له حمارتك ولدت فقال له وسبعت فقال له ماجاب الله قال له جحش كيفك سوا بسوا فقال الله يخليه لك ويجعل جحش الحياه (وعطس) رجل منهم أيضا فقال له فقيه من أهل الريف يرحمك اللى عطسك ولو شاء لفطسك وأخرج العطسه من قبر قراقرالى خلفك فقال له الفلاح يافقى لاعدت ننسانا من دى السورة تقراها علينا فى المسا والصباح وأعطيك أيام المقات أربع بطيخات وتقرا السورة لام معيكه وتهديها الابوزعبل فانه مات من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله (وجلس) جماعة من أهل الارياف يتحادثون فى أحوال الزمان اقباله وادباره فقام رجل منهم يقال له أبو عفره وسحب رداءه واتكأ على عصاه

ثم ضرب بها الارض وقال لهم يا شيوخ الكفر زمن الفرح اللى ولى وراح ولا بقى فى الدنيا خير ولا عاد يجى زمان مثل زماننا اللى كافيه وما تحصل أيام الاعياد والمواسم فقالوا له الله عليك يا ابو عفره احكى لنا على زمن الفرح اللى شفته فقال لهم رحت يوم عيد الله وكبر أنا وابو معيكه وابو دعموم وكان معى ابنى فرقع الليل ولد صغير واحنا بنجرى مثل الكلاب السعرانه وانا نافش وعلى ردا من محر الكتان شريته بنص فلوس جدد الدراع وجبة صوف خدتها بخمسه جدد الدراع ولبده خدتها بعمائى وأنا مزوق على العيد كيف عنز الضحية وتحزمت بسير وسكين خدتهم من سوق هربيط باربعة انصاص فلوس جدد وعلى راسى شد مشمر خدته من سوق بيشله بنصين فلوس جدد ونبوت كنت سرقته فى زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ الكفر كانت سرقتها من زعبل من واحد حضرى دخل دارنا اللى على البركه بالامارة يشترى بيض ورحت انا والجماعه نشترى مصالح العيد على الطريق اللى تطلع على الكفر بتاع أبو عنطوز تمشى عليها كيف كلاب الغنم وكنا لقينا واحد يبع جدى بالتخمين خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابى على راس صاحبه وهو عمال يسلخ فيه فقال لى ما تطلب يا شيخ الكفر انت واصحابك فقلت له اسمع يا عرص يا راس الدقاق وحياة ام زعيل ان كنت ما تكارسنى اليوم وتنوصانى والا ماعدت تدبح جدى ولا كلب فقال لى يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا السقط فقلت له أطلب السقط اقسمه بينى وبين اصحابى كل واحد يأخذ تلته فأخذت منه السقط بعد عياط وشياط وضراط وحياة لحاكم يا اولاد كفرنا بنص فلوس جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس وانا شيخ ونورد على الجدعان اليوم أطبخ وأغرف وأنا عمود فى الكفر والاماكان اعطانى السقط وقسمناه احنا التلاته كل واحد خد بجديدين ولكن واحد من شركائى غار على وخد رجل زايده وانا سرقت ودن من اودان الجدى وطلبت اسرق سنا من اسنانه اعلقها لابنى عفره على راسه تمنع عنه النضرة تغلبوا على شركائى وقالوا لى يا ابو عفره لا تخون الامانة ان جات الاسنان فى حصتنا خدها تريد فتركت الامر ده وخدت حصتى فى طرف ردايه وكل واحد من شركائى خد حصته ولفعت نبوتى على كتفى وبقينا كيف الكلاب السعرانه وانا اعفر بين الكيمان والكلاب تجرى ورانا على ريحة اللحم وكان حزقنى شخاخى وحياة لحاكم ومن خوفى من الكلاب لا يخدوا منى السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته شخاخ ولما دخلت الدار شفت ام زعيل حشا العيب قاعده فى جنب مدود الحماره كيف كلبة المشد تعمل الحلة عليها قميص من قطن محطط كنت شريته لها من زمن الفرح بعشرة انصاص فلوس جدد وفوق راسها طرحه كبيره مثل الردا خدتها باربعة انصاص فلوس جدد وسرموج أخضر واحمر مصبوغ بحناو برسيم سابل للخوران وفى رجليها حجل نحاس مطلى بقزدير وفى يديها اسابل نحاس اصفر وفى اودانها حلق طارات قد خلت عليها شنغر بدقن كيف دقن التيس وشوارب مطرطره

كل من شافهم خزى على روحه فقامت ام زعبل ومسحت يديها من الجلة ولاقتنى بالحضن لاتقول الا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعدما الاقشتها ولاقشتنى ولاطعتها ولاطعتنى وعملت معها ما نعمل الرجال مع النسوان يعنى ديك القضيه وانتم تعرفوا انى حدق وشاطر ومايطلع من حنكى عيب وما انتم شفتم ايه من الفرح وبعد داودا فانى اغنى البهايم والحمرات انعلت الغنام ابويه وجدى وأنا فصيح قوى فقلت ياام زعبل ربنا يخلى لى شلشولك وقامتك أنا بانظر حلقك بيشتم الناس وهو مايل على اودانك وأنا رايح اغنى عليه فقالت لى يا ابوزعبل وحياة شاربك اللى كيف شارب الكلب الا تغنى لانا وحشنا غناك وقصايدك ومرادنا تسمعنا قصيدتك اللى تقولها فى الحلق فنشدت لها قصيد

ومن صلى على النبى يستفيد   ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

تبيع الورد فى الصبحه * قميصك زين الطرحه عسى الله أنشرك لحه * تجمع عندنا الجلات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ألا يا بوقيص هربيط * عسى الله أنضرك فى الغيط وأدى لك قدح محيط * وأدى لك شمال كرات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وأعطى لك شمال خبيز * وأعطى لك قدح جبيز وأجعل لك على تميز * فطيره دحن فى الصبحات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

أنا حبك كما العجله * ويازينك حدا الجله تعالى الغيط بلا مهله * وتتفرج على العجلات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

تعا عندى وكل جعضيض * وجيب لك يامليح حيض وأقلى لك كمانى بيض * بزيت حار من حدا الزيات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

أنا اخشى أن أقل تعال * تعاونى على دى الحال تعالى امشى وضال عمال * أروح بك دار زناو نبات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ودس لك أنا القبه * وجيب لك فول من القضبه وكل واشرب كمان شربه * تخليك تشبه العنزات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وجيب لك عدس مع بسار * وكسرة عيش مع فول حار وجيب لك مسرجة زيت حار * تنورلك كما النمرات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وحطك جنب مدودنا * والا جنب جلتنا وو ريك بوز بقرتنا * وهى تترش من القصلات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وان شا الله أروح طلخه * وجيب لك يامليح فرخه وفى الدار ان ترى الشخه * عليها صب من بولات

ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وخليك كيف أبو بربر * وتملقش وتتشخر وتتشقلب وتتغندر * وتبقى لى كما الكلبات
ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وتعطيه لى وتتبكه * وحطو فسك واتكه وانا ابو عفر ابودكه * أبيع المش فى الحارات
ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وناشاعر وشيخ الكفر * نشدت قصيد كيف الزمر وقومى وارقصى بالعفر * ودا يوم عيد وله طنات
ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحط اللحم والفشه * على الكانون والكرشه وتغدا وتعشه * ونعزم دار أبو كرات
ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ونختم قولنا الاباس * نصلى على النبى ياناس ويشنع لى وجع الناس * وينقذنا من الهلكات
ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هى وابنها عفره واخوه فرفع الليل حتى وقعت الرحى من على راسها وسمعوا الجيران نحو ناو قالوا يابو عفره سمعنا القصيد فسمعتهم أول وثانى وقالوا غدا يسمع بك نصرانى البلد ويقربك وتبقى تجلس حداه ركبه بركبه ويقول لك ياعرص تقول له ياسيدى وان شاالله يعطيك كيله شعير وقدح قمح فقلت لهم انا اعطانى شى أنعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره السقط تطبخه فقالت لى يابو عفره بقا مليك البخور فقلت لها وحياة شلشولك مابقى معى فلوس وانا فشلان فقالت لى من خلى شى لعقب الزمان ينفعه أنا خليت فى الصومعه اربع بيضات خذ هم ولا تقل لحد فان الناس تحسد الناس وخصا اليوم عيد وانت اليوم يابو عفره فى نعمه كبيره هات لنا بيضه هريسن وبيضه محلب وبيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عصفر تزعفر به نياب ابنك عفره وأخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام والحمد لله عندنا شويت زيت حار أدهن بها شعر راسى وتدهن بقيتها دقنك وشواربك وتنط بين الجدعان وتبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمين فخدت الاربع بيضات وجبت لها ماطلبته ولقينا فى كرش الجدى شويه فول صحيح خدته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت الطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشد وجونى الشباب والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا بالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره لقانة طعام فأكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمردينهم وكان يوم ماعاد يجى مثله فقالوا والله اصحابه زمانك يابو عفره ولى وراح وماتت الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يورد لاستاذه المال فأنزله فى محل فيه طاقه مفتوحه تشرف على حريم الامير فلما جاء الليل قال الفلاح فى نفسه ياترى يابو معيكه الامار لما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا ولكن انضر كيف مايفعل استاذك مع امراته ولما تروح الكفر احكى لام معيكه تعمل ذلك

العمله مثل ما نعمل الامارة وتحضيك ام معيكه بدا الذ العمله ولا بد ما يرطنوا على بعضهم البعض بالتركى
وانت تنضرطر يقتمايعلوا بحريتهم وتبقى تقول الجدعان أنا بقيت مثل الامارة وتبقى ام معيكه مثل
امراة الامير استادا البلد ثم انه صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة قال
فرأيت الامير جالس على سرير من قفص والاعاج اللى يقولوا عليه الناس وعليه الفرش يلمع
وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام اللى ما نعرف يقولوا ايه
شردم بردم بالتركى ومرة بالعربى الى أن اشتهى منها فقضاء الحاجه فخد من جنبه وردموا رماها بها فجت
له بحسنها وجمالها على أحسن حال وأتم سرور وعملوا الذ العمله وبعدها كل واحد منهم نام على سريره
ثم لما اصبح الصباح أخذ الفلاح خاطر استاده وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته ام معيكه
ومعها زلعه ملآنه ماء من الفحيرة فسلمت عليه وجلست هى واياه فى منادمة مثل منادمة القرود
أو بربرة الهنود الى أن سألته عن المدينة وعن استادا البلد فقال يا ام معيكه المدينه مليحه ولا اصعب
غير الشحاخ فيها الا انهم لا يشخوا الا فى نقره وهى مبنية كيف دارنا ولا مليح كانى الا امراة استادنا تشن
وترن وعليها خلقتان ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم أحمر واصفر وعلى راسها قفه مثل قفى
اللى ألبسه فى أيام العيد اللى شريته ايام الفرح بنص فضه جدد وفى ايديها اساور صفر الله أعلم انهم
من سباط النخل ولابسه قميص احمر مخيط مثل الزكيبه اللى نعبى فيها الفول الاخضر وفى سيقانها
حجل كيف حجل ام دعموم اللى شريته لها بنص فلوس جدد ولابسه شابه خضره الله أعلم انها اصبغتها
ببرسيم ويا محسنها وقت ذا الذ العمله اللى يعملوها الرجال مع النسوان نخاطرى يا ام معيكه تعملى لى مثلها
حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا أبو معيكه مثل الاماره فقالت له يا ابو معيكه احكى على
شفته من امراة استاذك فقال لها لما رحت المدينه وطلعت للاستاد حطنى فى مطرح فيه طاقه تطل
على الحريم وعلى المطرح اللى ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل وبقيت أتحسس كيف الكلب
فرأيت الامير استادنا قعد على خشبه سوده مربطه بشراميط بيض لها أربع رجلين كيف عريش
المقات اللى نعملها أيام البطيخ فى الغيط وقعدت امرأته على خشبه كيفها مثل جرافة الغيط وبقا
يكلمها بكلام الجنادى يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتى اشتهى منها ذا الذ العمله
فخدفها بنواره حمره مثل نوار أبو النوم فقامت تشن وترن حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله فقالت
له أم معيكه وحياة شاربك اللى مثل شارب التيس لاعمل لك مثل عمل الاماره وتنفش على مشايخ
الكفر اصبر لما يجى الليل تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى دخل الليل فقال لها اقعدى فى مدود
الحماره وانا اقعد فى مدود البقره قصادك ففعلت وقعدت فى المدود وعليها الشلاتيت والشراميط
وآثار الجله فيها وفيها الشخاخ أيضا قال فلما خطر للتعيس الناصيه قضاء الحاجه بعد أن صار ينادمها
بكلام مثل نبيح الكلاب شياط وعياط وسؤالات عن البقره وعن العجله والثور والجله وغير ذلك

أراد أن يرميها بشيء مثل ما فعل الامير فحط يده على المدودفرأى قالب طوب محروق فخذه وحدفها به فوقع في وسط راسها فشلقها وسال الدم فصرخت بأعلى صوتها فاقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم الخبر فأقبل هو وطائفته وسأل عن القضية فأخبروه بها فأخذه وضربه نمر باموجعا وأحضروا للمرأة جراحيا فقطب رأسها ومكث يعالجها شهرا كاملا الى أن برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله الخسيس كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات في البلد ﴿واتفق﴾ ثلاثة أنفار من خوفة الريف أرادوا الطلوع الى المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب الرأي فيهم اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادي وعسكر يقطعوا الروس واحنا فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركي والا قطعوا روسنا فقالوا واله اصحابه يابو دعموم احنا ما نعرف شي بالتركي ولا غيره فقال لهم انا تعلمت التركي زمان من مدة ما كنت اقعد حدا المشد والنصراني ركبه بركبه حتى تعلمته منهم فقالوا واله اصحابه علمنا التركي فقال لهم اذا طلعنا المدينه نروح الحمام اللي يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه ونغسل براودنا و يقولوا ان فيه نقره غويطه يشخوا و يخروا فيها وبعد ما نخرج من نعيم الدنيا ننشف ونلتف في بردنا ونتم امرنا أقول لكم قرداش محمد قولوا اهاه نوار أقول لكم معاكم شي برمنقار قولوا يوق يوق فيخاف صاحب الحمام و يقول لعقله دول جنادي غرب يقطعوا الروس و يخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى في مصر مثل الاماره و يشيع خبرنا عند الكفر اننا اماره نرطن بالتركي فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى لهم علينا كلام أبدا فقالوا واله اصحابه دي شوره صواب يابو دعموم قال فساروا حتى وصلوا مصر وسألوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابيط ورموا البرد والشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما شعلوا في البرك والابيار فقال لهم صاحب الحمام استروا أنفسكم فأرادوا أن يأخذوا بردهم ليستروا بها فرمى لهم صناع الحمام فوط قدم من رجيع الحمام فربطوها على عوراتهم غصبا عنهم وصارت عوراتهم في الغالب مكشوفه وابورهم مدليه ودخلوا الحمام مثل فحول الجاموس أو المعز أو التيوس حتى بقوا داخل الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ والسخام وغطسوا في المغاطس مثل التيران والجديان وخرجوا مع بعضهم البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم في حالة الاثوار وصور الابقار حتى لبسوا الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف وأرادوا الخروج بلا خلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجرة يا عرصات فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش محمد فقالوا اهاه نوار فقال لهم معاكم شي برمنقار يعني جديد فقالوا يوق يوق يعني ما معنا شي فقال لهم صاحب الحمام أي وقت يا تيوس تعلمتم التركي المعكوس و شتم أماره وما هذا التركي الذي يشبه الخرا أقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجره بزياده قال ثم انه أمر أصحابه بمسكهم وضربهم وأخذ البرد منهم وخرجوا من عنده وتداركوا في الاجرة

وقد

وقد اقترضوها من أهالي الكفر وخلصوا بردهـم وتوجهوا الى حال سبيلهم ﴿وطلع رجل منهم﴾
المدينة فصادف الجلاد ينادي في الاسواق على رجل يستحق القتل فظن أنه ينادي العونه يافلاحين
ففر هاربا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينة فقال لهم لا تطلعوا المدينة
فانهم ينادوا فيها العونه والسخره فقيل انهم مكثوا ثلاث سنين ما يطلعوا مصر خوفا من العونه
والسخره فانظر الى قلة عقولهم وخساسة رأيهم ﴿وطلع رجل منهم﴾ قريه على شاطئ النيل يوم
الجمعة فرأى الناس قاصدين الى صلاة الجمعة فاعتقد أنهم ذاهبون الى ضيافة أو الى هروبه تصنعها
لهم أمير البلد فذهب الناس الى أن دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس في بعض الصفوف الى أن
أقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاح ينظر اليه وهو مرتاب وخائف ومتحير الى أن فرغ
الخطيب واقيمت الصلاة وسمع نحيجهم بالتكبير والتهليل فاعتقد أنها هرجة وقعت بينهم قال
فصاح الفلاح يالسعديال حرام الله وكبر وصحب النبوت وخرج هاربا وهو يقول خدولك القوم
يا ابو كتكوت ولم يزل في خوف وكرب حتى وصل الى الكفر فلاقاه أصحابه وسلموا عليه فرأوا أحواله
متغيرة فسألوه ايش أصابك ودهاك يا ابو كتكوت فقال لهم يا ما قاسيت في دي السفره كانوا القوم
مرادهم ياخدوني ولولا اني صحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا اقتلوني فقالوا له ايش الخبر
يا ابو كتكوت فقال لهم وقعت هرجه كبيره ولا سلمني الا الله وبركة الشيخ أبو طيل فقالوا له احكي لنا
على ماجرى لك فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فرأيت ناس كتير رايحين زي قطايع الغنم
فقلت لا بد ماهم رايحين لضيافه أو لهروبه فرحت معاهم حتى دخلت دار كبيره فيها حجاره طوال
منقامه زي الدعايم بنوع العريشه اللي نعملها في الغيط وعليها قناطر سنيه زي مناطر الصابون وفيها
حبال مدليه زي حبال التيران في كل قنطره حبل وفي جنب حيط من حيطان الدار خشبه عاليه لها
سلالم زي سلالم الغرفه اللي نعملها على البيوت من الكرس والطين ونلطخها بالوحل من أولها
لآخرها والخشبه دي لها راس كبيره زي الناطور اللي نعمله في المقات وقصادها عريشة صومعه زي
العريشه اللي نحرص عليها الدره والحمص في الغيط ولها سلالم فطلع فوقها جماعه وقعدوا فيها
ساعه وقام واحد منهم وحط ايده في ودنه وقال كلام ما حد يعرفه الا واحد خرج من حاصل في
جنب الدار عليه عمامه كبيره الله أعلم انه قاضي ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم بقلب قوي
ووجه كاشر زي وجه تيس الوسيه وما ضال طالع على السلالم سلم سلم حتى قعد على السلم الاحراني
وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق راسه ونضر للناس اللي تحته وبهت فيهم وكشر على أنيابه وهو
ساكت غضبان كل من شاف شواربه شخ على روحه وحياة لحاكم ولا عمري شفت أقوى قلب منه
ولا أشد حيل ولولا انه راس صابيه ما كان عمل دي العمل وطلع وحده وصحب السيف على القوم
وبعدها واحد من الجماعه اللي على العريشه قصاده قام بقلب قوي وصار يشتمه ويسبه ويقول له

كلام كتير فانجمق لاخرينه وشتمه ولعنه ووقعوا فى بعضهم البعض شتم وسب ولعن وبعدها نزل الراجل اللى على الخشبه وهو ساحب السيف يعارك فى الناس اللى تحته قاعدين فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكبروا وقامت العيطه وكنت احسب نبوتى وخرجت هارب وما سلمنى الا الله وبركة الشيخ ابو طبل فقالوا له أهل الكفر والله يا ابو كتكوت لولا عمرك طويل ما سلمت من القوم وكانوا اقتلوك وأنت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم ياشيوخ الكفر ما عدت اروح بلاد البحر طول عمرى فانظر الى قلة عقل هذا الفلاح ومن جهله وصقاعة ذقنه لا يدرى الصلاة ولا الجامع من قيام الهرجه ﴿واتفق﴾ لثلاث نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرجن فى أزقة المدينة فلقين رجلا من جوف الريف وهو فى حالة رذيلة وعلى راسه قفص ملآن من الفراخ يريد أن يبيعها او يسد بثمنها مال السلطان فقالت احداهن للاخرى ماتقولى فى اللى ياخد الفراخ من الفلاح ده فقالت الثانيه وأنا آخد تيابه وقالت الثالثة كل ده ماهو شطاره الشطاره فى اللى تبيعه بيع العبيد أو المقداف أو اطرافه (قال ثم ان الاولى) التى التزمت بأخذ فراخه أقبلت اليه ورغبته بزيادة فى الثمن قال فمضى معها الى أن أقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له باب ثان من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتى واصبر حتى اجى لك بالفلوس ثم أخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها من الباب الثانى ولم يزل الفلاح جالسا على الباب ولم يأته أحد ورأى الناس داخلين خارجين من ذلك الباب فتحير فى نفسه وقال لا بد ان دى دار كبيره وسأل عن المرأة التى أخذت الفراخ فقال له الناس ياسقيع الدقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس رجال ونسوان داخلين خارجين قال فمشى الفلاح فرأى دربا كبيرا نافذا من الباب الثانى فاحتار وصاح ولطم على وجهه وأقام الصراخ فبينما هو فى هذه الحالة (اذ أقبلت عليه المرأة الثانية) وقالت له ايش صابك ودهاك يامسكين وانت راجل غريب وعليك مال السلطان ونحكت عليك دى العاهره وخدت منك الفراخ وتركتك فى دى الحالة فقال لها الفلاح وحياة عيونك ياسليمه ماهى غيرهم فقالت له امشى معاى الى بيتنا وأنا أعطيك شى من الدراهم صدقة عنى فقال لها الفلاح الله يجزيكى خير وأنا الاخر لما اروح الكفر ازورك بحزمة الحلاح وحزمة بصل وشوية قرله تبقى صاحبتى وان شا الله اجيب لك كمان عشرين قرص جلة قال فأخذته وسارت الى أن أقبلت الى بيت كبير عالى البنيان فسألت عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه هو وطائفته الى بعض المنتزهات قال فدخلت البيت فلم تر فيه أحدا سوى رجل كبير بواب فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرأت فيه بئرا من الماء ملآنة الحريم قال فوقفت ونظرت فى البئر ثم انها ولولت وصرخت وبكت بكا شديدا فقال لها الفلاح بتبكى ليه ياسليمه فقالت له يافلاح كعبك مشوم وقعت اساورى الدهب فى البير فقال لها ما تخافيش أنا أنزل وطلعهم لكى من

البير فقالت له تعرف تغطس فى الماء فقال لها دى صنعتى وطول عمرى فى الهم والغم وخصادى السنه اللى خرى فيها الضعيف والقوى ثم قال لها اربطينى فى حبل البكره ودلينى فى البير ثم انه قلع ثيابه التى كانت عليه ودلته فى البئر الى أن وصل الى الماء فأرخت الحبل عليه وأخذت ثيابه وتوجهت الى حال سبيلها (هذا ما كان منها) وأما ما كان من الفلاح فانه لم يزل يغوص فى الماء ويفتش فى قعر البئر حتى كل ومل واسود جلده من برد الماء وكانت ايام شتاء ولم ير شيأ قال فلما اشتد به الامر صار يصيح وينادى المرأة فلم يجبه أحد فبينما هو فى هذه الحالة اذ أقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح يصيح فى البئر وينادى طلعينى ياصبيه طلعينى يامليحه داما هوش مليح منك وداعيب عليكى وانا مات من الصقيع والبرد فقال له الخدم أنت انسى ام جنى فقال لهم أنا ابو زعبل بن جنيجل بن كاب المش فقالوا ادا عفريت لا كلام فقال لهم واقه ياوجوه الخير ما ناعفريت أنا راجل فلاح وحكى لهم قصته قال فدلوا اله الحبل فتعلق فيه فلما رآه الخدم وعلموا أنه انسى قالوا دا حرامى وقع فى البير فنزلوا عليه بالضرب والصك وطردوه وراح يجرى وهو عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف أين يذهب (قال فأقبلت عليه المرأة الثالثة) وهو فى هذه الحالة وقد صارت الاولاد تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها على ظهره ومسحت وجهه بمنديل كان معها وسترته بفوطة وقالت له أمرك الى الله يامسكين ياحزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك فى دى الحاله وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها يامليحه وحياة شلشولك خدوا فراخى وثيابى وحزامى الليف وشدى ومركوبى وما عدت أصدق كلام نسوان أبدا فقالت له لا تظن أنى من عواهر مصر أنا عمرى ما خرجت من بيتى غير النهارده ولما رأيتك فى دى الحاله شفقت عليك ومرادى أعمل معك جميل وآخذك الى بيتى ولبسك لبس مليح وخليك شلبى ظريف واعملك مملوك وحط لك خنجر فى حزامك وعلمك التركى وتبقى تقول شندى بندى على فلاص جماص فقال لها الفلاح أنا فى عرضك يامليحه تعملينى جندى وتعلمينى التركى وأنا على الحلال من ام شعيبر كل من عاد يقول لى كانى مانى فى رمانى قطعت راسه ولو كان أبو عوكل شيخ الكفر فقالت له سر بنا يافلاح على بركة الله تعالى قال فسار معها الى أن أقبلت الى منزلها فأدخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فأكل وشرب وارتاح فى نفسه ثم انها أتته بماء ساخن وغسلته بالليف والصابون وألبسته قميص وزبون وشخشير جوخ وقاووق قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصة وخنجر فى حزامه وحلقت لحيته وشواربه وجعلته مملوك حليق وأعطته بابوج جديد ومحرمة فى حزامه وقالت له اذا كلمك حد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا الح عليك حد فى الكلام بالحاقه وشدد عليك قول له كرته هرمه برك يه ولا تزيد عليه غير ذلك فان الكلمه دى أصل التركى اذا عرفتها ما يمضى عليك شهر من الاوان انت صنجق ويبقى لك طبل وزمر فقال لها الفلاح أنا فى جيرتك يامليحه تخلينى أبقى صنجق

و يصير لى سطوة فى الكفر وكل من قال لى كل خره اقطع رأسه وأبقى ان شاالله أزورك بربع كشك وعشر طور كعك من اللى تعمله ام شحيبر واعمل لك فاعه وا كبسها لك بالوحل والجلة وافرشها بالتبن والتفصل وتبقى تنامى فيها و يبقوا يقولوا الجدعان أبو شحيبر طلع المدينه فلاح ورجع جندى يقول شندى بندى و يقطع الروس قال ثم انها أخذته ونزلت من منزلها تمشى وهو يمشى خلفها الى أن أقبلت على سوق خان الخليلى وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده أنواع الاقمشة من الخز والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت له أريد منك كذا وكذا مما يساوى ألف دينار فأحضر لها ما قالت عليه وربطته فى بقجة كانت معها وقالت له ياسيدى يكون المملوك دعندك رهن حتى اروح الى بيت الامير وأعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر توجهى على بركة الله تعالى قال فأخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس (هذا ما كان منها) وأما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تأته المرأة فتضايق والتفت الى الفلاح وهو فى هذه الحالة فقال له ستك بطت علينا فهز راسه حكم ما أوصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز راسه أول وثانى ولم يتكلم فتضايق التاجر من الكلام وقال لجيرانه من التجار ماهذه البلية فى هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كأنه ما يعرف الا بالتركى قال فبينما التاجر على هذه الحالة اذ أقبل عليه رجل عسكرى فقال له التاجر بالله عليك ياسيدى تكلم لنا هذا المملوك بالتركى وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندى بالتركى فهز راسه فاغتاظ منه وسل عليه السيف وأراد أن يضربه فلما رآه بيد ذلك واشتد عليه الامر صرخ الفلاح فقال له كرنه هريف بولك عه قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب فصار الفلاح يتكلم و يصيح بكلام الفلاحين و يقول أنا فى جيرتك ياابو زعبل فضحك عليه الجندى وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعراه وأخذ جميع ما عليه وأراد بيعه للمقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله عريان محلوق اللحية وهو فى أتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمقداف بعشرين دينارا ومكث سنة وخلص روحه بالهروب ليلا اه ۞ وطلع رجل من الارياف الى المدينة فحصره البول والغائط فسأل عن عطفة يخرا فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذى فى الكنيف وقبض على أطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دى نقره غويطة طو بله أخرى أنا واياك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى حاجته على عجل وقام يجرى من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتى غاب عن أعينهم

﴿وطلع رجل آخر من الارياف الى المدينة فأدركه الغائط فصبر ولم يعرف له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكى الى ابن مصر حرسها الله تعالى وقال له تضايقت من البول والخره كلما أردت أن أشخ قدام دكان يمنعونى الناس ويشتمونى فقال له يافلاح المدينه ما يخرا فيها أحد الا بفلوس ان كان معك فلوس دليتك على عطفه أو نقره تخرا فيها والا تخرى على روحك فقال له وحيا ة قنتك ما معايا الا نصين فلوس جدد كنت بعت بهم بيض خدهم ودلنى على محل الخره وأبقى أزورك بعشرين بيضه وجاب كبر قال فأخذ منه النصفين ودخل به الى جامع وأتى به الى بيوت الاخليه وأوقفه على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقره غويطه شخ واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله يخرا ويقول قطن قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته فظن فى نفسه أن الشخص فى مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا ان قال هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الحزق الشديد فأكد ذلك سمع الفلاح وكان السبب فى تكريره هذه الكلمة التى يكررها الرجل فى بيت الخلاء هو أن زوجته لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا قطن وكان كثير النسيان فصار يكرر اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح وجلس على كرسى بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل الرجل فبينما هو فى هذه الحالة اذ أقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح فقال الفلاح قطن قطن فتضايق الجندى وتحنح له أول وثانى وثالث والفلاح يقول أنا ما بقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح والجندى يقول له يا أنجس الفلاحين ايش قطن قطن وأنت فى بيت الخلاء ولم يزل يضربه حتى أقبل عليه الناس وخلصوه منه ولم يزل يجرى حتى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه أهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال المدينة يا ابو دعموم فقال لهم المدينة مليحه الا أنك تاكل فيها بجديد وتخرى فيها بنصين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب ﴿وطلع آخر المدينة﴾ فصادف رجلا من غلمان استاذه فعزمه الى منزله وأحضر له سمكا صغيرا مقليا يسميه أهل مصر بساريه له لذه فى الطعم قال فصار الفلاح ينف منه ولم يعرف ما هو ثم قال فى نفسه دا شى عمرك ما أكلته ولا رايته ولا بد يا ابو قريطم أظن انها الكنافه اللى يقولوا عليها تطلع فى المدينه ويأكلها الاماره وغدا تطلع الكفرو يلاقوك المشايخ والجدعان ويسلموا عليك وتقعد أنت واياهم على كوم أبو عنطوز تنفش الصوف وتبقى زى الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تجعمص زى تيس الوسيه ويقولوا لك يا ابو قريطم قل لنا ما أكلت فى المدينة من الطعام اللى يأكلوه الاماره تقول لهم أكلت الكنافه فيصدقوا قولك ويقولوا تكذب يا عرص فالصواب انك تاخد لهم عضمتين من عضامها وتحطهم فى حفك ولما يكابروك تقلع بالعضم . . . قال ثم انه حط فى حفه شيأ يسيرا حتى

طلع على الكفر فاقبل اليه مشايخ الكفر زى الكلاب السعرانة وهم دندوف وشخشبة وزعير وبعيبر وتر وفتر وقنافد ولقالق وزراره ونبالة الحاره وسلموا عليه وقالوا له يا ابوقر يطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينه وما أكلت فيها فقال لهم المدينه مليحه قوى وفيها جنادى كتير قوى وفيها الخيار الاصفر خدت منه بجديد وخدت بجديد مقيلى وخدت من اللى يقولوا عليه الحضر كرشه اللى يبيعوها على الخشبه العاليه العريضة زى الجرافة وأكلت وتنعمت واشبرقت حتى خدت كمان وحياة لحا كم بجديد ترمس عملو وأكلت فول حار فقالوا له يا ابوقر يطم كسرت عليك مال السلطان وعمايلك دى ما تخلى رزق وانت عمرك بتصرف ولا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر وأقول لكم كمانى أكلت الكنافه التى بتا كلها الاماره قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه فقلع لحشه من على راسه وأوراهم عضم السمك فلما رأوه صدقوه وصدقوا كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا حربى وزغرطت النسوان وقالوا له يا ابوقر يطم بقيت زى الاماره وغدا استاد الكفر يشلش عليك ويقول بقى ابوقر يطم سعيد ويا كل ما تا كل الاماره ومتى ما بلغه الخبر شيعلك المشداف او الجرافه وأنت تكتم السر ولا تقول لا القريب ولا الغريب أكلت الكنافه أبدا فقال لهم يا شيوخ الكفر أنتم تكتموا الخبر وتحلفوا الى على الشيخ أبوطبل فحلفوا كلهم ان لا احد يبيع بدى القضيه فانظر الى قلة عقولهم وشدة جهلهم ۞ وطلع رجل منهم المدينة يبيع بيض فاشتراه منه رجل جندى وقال له امضى معى الى المنزل خد الفلوس فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى فى طريقه كنيف فدخله ليقضى حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطأ عليه فدق عليه باب الكنيف فتنحنح الجندى فصاح الفلاح وقال اعطينى حقى يا جندى ما يحل لك من الله تاخد بيضى وتخلينى واقف على باب بيتك كلما اكلمك تنحنح وأقام الفلاح الغارات والصياح فأقبل اليه الناس فخرج الجندى وهو قابض على سراويله ومسك أطواق الفلاح وصار يضربه بالمحرمة التى فيها البيض حتى كسره على رأسه وسال على لحيته وشواربه والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفر هاربا ۞ وطلع آخر المدينة يبيع تبن فاشتراه منه رجل وأعطاه الدراهم فأراد أن يأتى الى رجل صيرفى لينقدها له فسال عن دكانه فدلوه عليه فأتى اليه فلم يجده فسأل عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال للولد بالله دلنى عليه فأخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى أوقفه على بيت الخلاء والصيرفى من داخله يقضى حاجته قال فهجم الفلاح على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خد دى الفلوس وبين لى منها المتصوص من النحاس لانى راجل فلاح وعلى مال السلطان ودلونى على بيتك ده قال فاندهش الصيرفى وقام وهو قابض على سراويله يضرب الفلاح والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره ۞ ومما اتفق أن قيم الشام فى عدم الذوق سافر الى مصر ليزور

قيمها فى عدم الذوق و يفتخر عليه بلعوبه حكم ما تلعب أولاد الفن قال فسافر حتى وصل الى مصر
واجتمع بقيمها فى عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد يا قيم الشام قال أريد أن العب
معك فى عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون قيم مصر
والشام فقال له مرحبا وكرامه فى غداة غد ان شاء الله تعالى نجمع أصحابنا عديمين الذوق ونلعب انا
وانت فى عدم الذوق وتبين شطارتك قال فلما أصبح الصباح جمع قيم مصر طائفته فى عدم الذوق
وحضر قيم الشام وقالوا له العب واجتهد فى عدم الذوق قال فذهب قيم الشام واحتطب حزمة
حطب كلها شوك وسنط وحملها على أكتافه وشق بها بين الناس فى الزحام فصار الشوك والسنط
يشتبك فى ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه و يسبوه و يلعنوه الى أن تم ملعوبه وأتى الى قيم مصر
وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر بقى شىء عندك من عدم الذوق غير ذا تفعله قال لا
فقال له دى ما هى شطاره لان الناس استعدموا ذوقك لكونك أذيتهم وشوشت عليهم وأنا أفعل
أعجب من ده وهو أنى اخلى الناس يستعدموا ذوقى بالورد والنسرين والريحان وأشباهها فقال قيم
الشام هذا شىء له ريحه طيبه وزى ما تعمل فقال له بكره تشوف ما أعمل فلما أصبح الصباح قال قيم مصر
لقيم الشام تعال معى وانظر ما اخبرتك عنه البارحه قال فمضوا جميعا حتى أقبلوا على بياع الزهور
فأخذ قيم مصر منه شيأ يسيرا من الورد والنسرين والريحان ومشى هو وقيم الشام وطائفته حتى
أقبلوا على ميضأة المسجد والناس فى ازدحام وقت الصلاة فى بيوت الاخلية فصار قيم مصر يدخل
على الرجل وهو جالس فى بيت الخلاء ويمد الورد والنسرين والريحان و يقول له خذ يا سيدى شم
الورد وغيره يبقى نهارك مبارك واعطينى ما تيسر فيتناول منه الرجل ويسبه و يلعنه ويستعدم ذوقه
ويقول له ما اعدم ذوقك انظر أنا فى حرا والا فى نيازه صار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبه
وتلعنه بهذه الفعله قال فعند ذلك أقر على نفسه قيم الشام أنه عدم الذوق تحت حكم قيم مصر
وتحت امره وأخذ خاطره وتوجه الى بلاده (ونظير ذلك) ما اتفق أن ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل
الشام والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم
عليه فأخذه الى منزله ووضع بين يديه المأكل والمشرب ثم انه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم
مدة ثلاثة أيام حتى أكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة
أيام قال له يا اخى اخبرك عما حصل لى فى الطريق وهو أنى سافرت مع القافلة فعدمنا الماء فى بعض
المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرأيت فى جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابى
ونزلت فيها ولم أزل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل فى الاكل والشرب
مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقى عندى شىء نأكله واخر نزولك يا أخى ما فعلت فى
البئر فقال له فلما انتهيت الى قاع البئر وجدت فيه حجرا طاحونة فوضعته على عنقى ولم أزل طالع طالع

وصار يكررها فقال له ثقيل الشام أسسك ما معك أنت مكثت مدة ثلاثين يوما وأنت نازل في البئر من غير شئ فكيف طاوعك وأنت حامل حجر طاحونة أشهد لك أنك قيم الثقلاء في مصر والشام وأنا من تحت يدك انصرف عني قال فأخذ خاطره وانصرف بعد أن كتب له محضر بذلك أنه قيم مصر والشام في الثقالة والرذالة وعدم الذوق (واعلم) أن أهل الثقالة على أنواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر

وثقيل قال صفني * قلت ايش فيك أصف كل ما فيك ثقيل * حل عني وانصرف

وقال آخر

وثقيل تبسما * أصبح الكون مظلما حط في الشرق رجله * مالت الارض والسما

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغي الرحلة عنه والفرار منه قال الشاعر

لأرحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام ألف ميل
ولو كانت بلادك ألف مصر * ويروى كل مصر ألف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل
وأنشد في فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى) بعض الفلاحين رجلا الى القاضي وادّعى عليه أنه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيم الدابته فأحضر القاضي الرجل المدّعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا أنه ضربني وشوش عليّ فقال القاضي للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح أنا بيك يا قاضي تور وأنت اذا نزلت غيطي يا هل ترى أضربك أنا كسر قرنك ولا اخليك تطلع سالم والا ترعى غيطي فقال القاضي اخرج قبح الله ذاتك ما أجهلك وما أقبح هذا المثل الذي تشبهني به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب) من هذا المعنى أن رجلا فلاحا دخل على الامير حمار بن بقر وأنشد يقول

يا ابن بقر ما انت الا تور * والناس حدك عجاجيل لما تعمل بقرونك هاش * ولولا الكل جفافيل

ومعنى هذا الكلام أنت أيها الامير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل أي مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولو امن هيبتك مثل ما أن الثور اذا التفت بقرونه وهاش في العجول ولت من بين يديه فأنشد هذا الفلاح على حسب ما لاءم حاله وناسب جهله وهباله أقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الازرق والناموس الابلق واستعمالها في هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رأيت ام زغابه في المعاز يسل * تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل
وحولها شفت سربه من عجاجيل * وهم ينطوا وهي تلعب حناجيل

والعجاجيل

والعجاجيل جمع عجل كما أن الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من التحنجل وهي لغة ريفية فانهم يقولون فلان يتحنجل أي يجري جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام اني رأيت محبوبتي هذه وهي ام زغابة في معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه أيضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهي الاخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم فمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشيء منجذب اليه ﴿وطلع رجل﴾ منهم المدينة لقضاء حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه أصحابه وسلموا عليه فقالوا له كيف حال المدينة فقال لهم المدينة مليحه فقالوا له يا ابو عوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقه مليحه والزلابية التي يقولوا عليها الحضر خدت منها بجديدين وسمعت واحد ينادي في المدينة يقول حلاوة باردة يا تين فخدت منه عشرين جميزة باط بجديد وحطيتهم في مترد وعفصتهم بيدي وشربت عليهم جرتمونه من البحر فقالوا له هنيالك يا ابو عوكل لكن تنسيع وتعزق ولا تخلي فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وحود الخير الدنيا زايله ما ضيعناه وصرفناه فاضي وجدايد (وقال رجل فلاح) لصديق له يا فلان عملت السنة كعك في العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير فقال له حطيت فيهم ادام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له أفقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقي شيء عندك منهم قال بقي معي واحدة أتخس بها الجمارة من كفر دنديط الى كفر هربيط (وأرسل) بعض الامراء غلاما له فلا ... بنصف فضة وقال له اشترى لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فأخذ النصف فضه واشترى بار بعة جدد كعك وأر بعة جدد زعتر من غير دق ووضع الجميع بين يدي الامير فلما رأوه الحاضرين ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه الى بلاده (وأرسل) بعض الامراء أيضا غلاما له فلاحا وقال له خذ دي الدراهم واشتري لنا دبه (يعني بطة جلد يوضع فيها السمن أو العسل) فتوجه الغلام الى الرميلة وسأل عن بياع الدب فدلوه على القرداتي فأتاه ورآه يلعب بالقرد والدبه والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه وقال له مرادي نشتري للامير دبه مليحه فقال له القرداتي عندي واحده مليحه روح بنا نفرج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتي ومعهما القرد والكلب والدبه حتى دخلوا بيت الامير الذي ارسل هذا الغلام وكان في ذلك الوقت الامير حاضرا هنالك وعنده جماعة من الاكابر جالسون فلما رآهم القرداتي قام بيده في الطار وسحب القرد والدبه والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتي ان خدامك ده جاني وأخبرني أن مرادك تشتري دبه فجيتك بها وبالقرد والكلب تنضر لعبهم وتشتري ماتريد قال فضحكوا الامارة فأمر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فأطلقه وطرده من عنده فتوجه الى بلاده وأحسن الامير للقرداتي وأمره بالانصراف فانصرف (ورأيت) رجلا فلاحا يتكلم مع صديق له وهو يقول له يا فلان انت تعرف تقرا

قال له ابوه فقال له ايش هجاء ربق فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك ان فيها واو فقال دلتني عليها النقطه اللى فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ما قالوا العشاق فقال له ما قالوا يا ابو دعموم فقال شعر مقعص لا له أول ولا آخر

لقد اقول جنيشن خلوت به أنت * منزلنا يا طالعة القروشن

فقال له دا كلام مون فقال له دا كلام هارين الرشاد اللى وقع فى الجب لقفه التمساح نزل عليه الوحل فى جامع الطيلون اللى النار بردو سلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى بن أبو طالوب جرى له زى ما جرى (وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرأ الفاتحة حط يده على راسه وقال آه يا راسي فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له أنا ما باشكى لك أنا باشكى لربى وجع راسى ثم انه ركع وصلى وأتم صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف (وصلى رجل) آخر من الفلاحين فأحرم بالصلاة وقال يا رب خلى لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلع لنا زرعنا وخلى لى ولدى عنطوز فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح أنا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدى قبل موتهم (وصلى آخر) فلما ركع بان ايره لقصر ثوبه وانكشفت عورته فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلاح بقوله اطلقنى فضحك وأطلقه ثم انه أتم صلاته على هذه الحالة ولم يعرف الصحة من الفساد (وصلى آخر) فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا ابويه البقره روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخد حصير بحلبها فى المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة (وصلى رجل آخر) فلما جلس للتشهد جاء ولده وركب على أكتافه وصكه على قفاه وأمسك لحيته بيده وفيها الوحل والحلة فقال له يا ولدى انزل عنى حتى أتم صلاتى ثم انه تشهد وأتم صلاته فقال له رجل عارف صلاتك باطلة فقال له الفلاح سمعت ابويه وجدى يقول حديث عن أم عازبه حدثنا القدعه من لا يسقع دقنه ما ربى ابنه وأولاده الصغار مثل أولاد المعزه وأبوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجده وأمثاله ثم تركه ومضى (وصلى رجل منهم) فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنار ... والليمون وقبر معيكه المجنون جيتك يا رب بلحيتى وجلتى وقفاى ومركوبى لا تردنى يا رب خايب لا من رحمتك ولا من رجالك انا وكبر وركع وصلى وأتم الصلاة المشروبة (وصلى آخر) فلما قرأ الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم أبدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطل وخلى الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد (وصلى) فقيه ريف بجماعة فلما قرأ الفاتحة وأتى الى آخرها قال ولا الضالون فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له كفرت فقال له بل أنت كفرت (وحكى) أن رجلا من جهلة العرب صلى بآخر مثله فقال الامام هذا اللفظ شنشير كيف بتير جماعة راكبين فيل جتهم طيرا بابيل خلتهم مثل الفطير ثم ركع وركع الآخر وأتما صلاتهما التى لافيش ولاعليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته

عقرب فضرط من شدة اللدغة ثم رفع رأسه بسرعة وقال يارب أنت تعلم انى ماضرطت بخاطرى الا غصب عنى سامحنى يارب ثم انه تشهد وسلم (وصلى آخر) فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاضا فأخذ قرص جلة ووضعه تحت جبهته وأتم صلاته عليه (وصلت امرأة من نساء الارياف) فلما تلبست بالصلاة جاء كلب وأخذ من جانبها رغيفا فأمسكته وقبضت على أذنه وشتمته بيدها وخاصت الرغيف من فمه وأتمت صلاتها (وكان بعض الاولاد) يقرأ فى الكتاب فجاءت أمه واشتكته للمؤدب وقالت له ياسيدنا الولد هذا يؤذى ويشوش على وأنا أصلى واذا ركعت شلح ثيابه وشخ على فقال له المؤدب أحق ماتقول امك قال نعم ياسيدنا فقال له ما السبب فى أنك تؤذيها وهى فى الصلاة فقال له ياسيدنا الان عبادتها باطلة لا فنش ولا عليش لكن اسألها أنت ماتقول وماتقرأ فى صلاتها فقال لها المؤدب أنت تحسنى الصلاة فقالت كيف لا احسنها وانا اعرفها من امى وجدتى وجدة جدتى فقال لها اقرئى الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اذا جاءك الحج نصر الدين افتح له الباب يدخل ولو كان طواب فقال لها المؤدب قاتلك الله ماهذا قرآن ماعدا البسملة والحمدلة فقال الولد اسألها ياسيدنا ماتقول بعد الصلاة فسألها فقالت أقول ربى ما كانت تقول امى وجدتى سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرت يا ملعونة ثم انه التفت الى الولد وقال له أمرتك أن تخرا عليها فضلا عن الشخاخ ثم انه زجرها وطردها وخرجت من عنده (وصلى رجل فلاح) فلما كبر وأراد أن يقرأ دعاء الافتتاح قال لقيت وجهى للى شرح السموات والارض لا بى لا حنيفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فى أى ملة أنت قاتل الله الابعد فقال أنا من بنى عقبة فضحك عليه ثم تركه ومضى (وأما أحوالهم) فمشهورة وأضرابهم كثيرة وأمورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) ومايقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط فى الدين ونحو ذلك فنقول (سئل) فقيه ريفى عن تفسير قوله تعالى يا أرض ابلعى ماءك و ياسماء أقلعى مامعنى أقلعى فقال هذا الجاهل اى سيرى مثل المراكب المقلعة (وولى) بعض فقهاء الريف عقد نكاح فقال للولى قل أنكحتك بنتى خطيطه البيضاء اللون الشعرة الشعر اللى عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا حول بشرط أن تكون فى طاعتك وسيق لدارك وتزق لك الجلة وتفرش لك فراشها وتسرح لك فتيلتها على عينك ثم قال للخاطب قول قبلت نكاحها ونكاحها وهراشها وفراشها وفرشتها (وقال شيخنا العلامة) الشيخ شهاب الدين القليوبى نفعنا الله به زرنا سنة من السنين سيدنا أحمد البدوى عمت بركاته ونفعنا الله به فى الدنيا والآخرة فلما رجعنا من الزيارة أدركنا المبيت فى قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر وفيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش بيسير من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض عجول بقر مربوطة فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن العجول نتذاكر فى العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل

طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافى الرجلين من غير
مركوب وعلى رأسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقراء من الجامع
الازهر فقال لنا تقروا القرآن قلنا نعم فقال أسألكم على سؤال قدام مشايخ بلدى ان قلتوا الى عليه
ورديتم جوابى عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد فانى فقيه البلد وامامها
وخطيبها وما عمر حد غلبنى ولا عرف سؤالى قال فضحكنا عليه وقلنا له اسأل عما بدالك فقال يا فقهاء
الازهر الصلاة لها كام عنصر وفين عنصرها الاولانى وعنصرها الاخرانى قال الشيخ عفا الله عنه
فقال له رجل من أصحابنا الصلاة لها تلتماية وستين عنصر الاولانى من عناصرها رجليك والتانى
ايدك والتالت طرزك والآخرانى دقنك قال فسكت واحتار فى أمره فقالوا له أهل بلده غلبوك
مشايخ الازهر يا بوحنجول فقال لهم طول عمرى أسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ما شفت حد
جاوبنى عنه الا دول وأنا أقول لكم يا مشايخ البلد الحق انهم غلبونى قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه
الى منزله وأحضر لنا ترديين لبن دشيش وخبز ذره فأكلنا ونمنا فى مكاننا الى أن أصبح الصباح فحضر
عندنا ورحب بنا وأخذنا خاطره وتوجهنا والحال أننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وما عرفنا هذا
الكلام غير أن أصحابنا لشدة حذقه أجابه من معنى سؤاله وأعطاه كلام قصاد كلام (وسأل بعض
الفلاحين أخانا فى الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدنجيهى رحمه الله تعالى فين هى قبلة طرزك فقال له
دقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون (قلت) ونظير ذلك ما حكاه شيخنا أن مما اتفق فى
بعض السنين أنه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها وأخبره أنه من علماء العجم
ولا أحد يساويه فى العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده فى منزلة
عظيمة فقال له الوزير هل فيك قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم أسألهم بحضرتك سؤالا فان أجابونى
فأنا من تحت أمرهم والا يكون لى الفخار عليهم قال فأرسل الوزير الى علماء الازهر فلما حضروا بين
يديه وغص المجلس بأهله عرض عليهم الامر فقالوا يسأل العجمى عما بدا له فقام العجمى بين أيديهم
وسألهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ به فقالوا له يا وزير الاشارة لا تكون الا للاخرس ولا نعرف
مقصوده فقال لهم لا بد أن تجيبوه عن سؤاله وألزمهم بتلك المسألة لميله للعجمى ومحبته له فقالوا له
أمهلنا ثلاثة ايام حتى ننظر بقية مشايخنا فأمهلهم الوزير فتوجهوا من عنده فقالوا لبعضهم كيف
الرأى فى دفع هذا العجمى ورده الى بلده مقهورا فقال رجل منهم الرأى عندى أننا ننظر لنا رجلا من
أجلاف الريف ونحوهم لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا
ونلبسه لبس العلماء ونمشيه قدامنا ونمشى خلفه ونطلع به الى الوزير ونقول له هذا شيخنا وهو الذى
يجيب العجمى ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط الكلب على الخنزير قال فذهب هو وجماعة منهم
ليفتشوا على من بهذه الصفة فرأوا رجلا من أجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ

الساقين

السافين كبير اللحية على رأسه تخفيفة طويل وعليه جبة من الصوف لركبته وهو جالس في حانوت يأكل بيض مصلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة واحدة فلما رآهم ظن أنهم يريدون أخذ البيضة منه فأخذها ووضعها في فمه من داخل وأراد الهروب منهم فقبضوا عليه فقال لهم أنا في جيرتكم يا شعرا فقالوا والله لا تخف يا فلاح ولا تخش من شيء فقال لهم أنا خايف تخدوني لاستادي يقطع راسي وأنا عمري ما ضيعت ولا طلعت مسر غير السنادي وانا كنت جيعان ووجبت معايه أربع بيضات شويتهم أكلت تلاته وفضلت معايه واحده خفت منكم وشلتها في تخفتي وأنا على مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا والله احنا مرادنا نعمل معك خير وان طاوعتنا أعطيناك القرشين اللي عليك وغنيناك وبسطناك فقال لهم انا الاخر كل ما امرتوني به فعلته من أمر خف بير أو هدم حيط أو شيل طين أو جله عملتها لكم في ساعه أو ان كنتم رايحين في عركه مثلي عندكم وهاتوا الى نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا ألف راجل أطحنهم فقالوا امامنا اذا الانعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمي يسألك تجيبه عن سؤاله وتغلبه ولكن لا تتكلم أبدا الا بالاشارة حكم ما يكلمك بالاشاره فقال لهم خدوني للعرص ده وان طلبتم اضربه خطه بلكاميه قتلته ولو كان عند السلطان والوزير وأنا يا ما قتلت ويا ما سرقت وانا على مال السلطان وعلى اني أرد العجمي ده مغلوب (قال) فأخذوه وألبسوه لبس الفقهاء وعمموه على تخفته عمامة مدورة وحط البيضة من داخل عبه فقالوا له خليها هنا لما ترجع فقال لهم وحياتكم لم أخليها الا انها بيضة فرخي واول بيضها ولما أجوع آكلها فقالوا له خليها معك ومضوا على حالهم حتى أقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام اليهم وأعظم منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذي يجيب العجمي في سؤاله قال فجلس العجمي متأدبا جلوس طلبة العلم وجلس الفلاح ومد رجله لم يعتبر من حضر كأنه قاعد في زريبة بقر فلما رآه العجمي على هذه الحالة استعظمه وقال في نفسه لولا أنه من العلماء الاجلاء ما احتقر المجلس ثم ان العجمي أشار اليه بالسؤال يريد منه الجواب وأقام اصبعا من اصابعه الى نحو الفلاح فأقام الفلاح له اصبعين اثنين فرفع العجمي يده الى السماء ووضع الفلاح يده على الارض فأخرج العجمي من عبه علبة وفتحها وأخرج منها فروجا صغيرا ورماه الى الفلاح فأخرج الفلاح البيضة من عبه وأرماها الى العجمي فعند ذلك هز العجمي رأسه وتعجب منه وقال للوزير ولبقية العلماء قد أجابني عن سؤالي الذي أشرت به اليه وأشهدكم أني سرت من بلادنا ومن أتباعه قال ثم ان الوزير أكرم الفلاح والعلماء كراما زائدا وانصرفوا منصورين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح بعد ما نزلوا الى منزلهم نحن ما عرفنا حقيقة السؤال والجواب فأخبرنا عنه فقال لهم الفلاح يا خساره عليكم أنتم فقها ولكن ما تعرفوا ترّدوا الناس جواباتهم أنا لما قعدت قصاد وجهه رأيت عينيه احمرت وزاد به الغضب وشاور لي بصباعه كأنه يقول لي اجي انفسك والا خرقت عينك بصباعي ده فأشرت له أنا الآخر قلت

له ان لم تصح لنفسك والا خرقت عينيك بصباعيني دول ورفعتهم له فرفع ايده الى السما كانه يقول
لى ان لم اطعه والا صلبني فى السقف بخطيت ايدى أنا الآخر على الارض أقول له ان ردت تفعل
معي ما تقول خبطتك فى الارض خبطه طلعت عفاريتك فلما رآنى غالبه وظافر عليه أخرج لى فروج
دجاج صغير يورينى انه يأكل كل يوم فراخ وانه متنعم فى المأكل والمشرب فاخرجت له من عبى أنا
الآخر البيضة المصلوقة اوريه أنى متنعم وبأكل البيض المصلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله قال
فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمى وسألوه عن الجواب فقال لهم طول عمرى
أسأل العلماء بهذا السؤال وأناظرهم فما عرف أحد جوابى الا شيخكم هذا فقالوا له أخبرنا عن
السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم أقمت له أولا اصبعى اشير اليه بقولى ان الله واحد أحد فأشار
الىّ باصبعين يشير الىّ انه ليس له ثان فرفعت له يدى أشير اليه أنه رفع السما بغير عمد فخفض يده الى
الارض يقول لى وبسط الارض على ماء جمد فأخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه أن الله
يخرج الحى من الميت فأخرج الىّ البيضة يقول لى ويخرج الميت من الحى فأجابنى جوابا شافيا فما
رأيت أعلم منه فعرفوا أن العجمى كان فى مقصد والفلاح فى مقصد آخر على حد قول القائل

سارت مشرقة وسرت مغربا ✲ شتان بين مشرق ومغرب

فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) أن رجلا أمسك لحيته فضرط حماره فقال
صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف فقال أيها الناس الى كم ملتم وافى الحصيدة وفى
الزرع والقلع وغدا يجيكم الاموم ويحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم بالمزاريق فمالكم عند الله
عذر ولا تعويق واعلموا يا أهل بلدنا اللى وراه عدو وما وراه هدو وقواكم الله يا قرم قدامكم جيش حرام
فأنتم تحترسوا الا يجيكم العدو من جنب النقره فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصره وقولوا يا حنان
يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل وصلى بهم صلاة معزاويه لا فرض ولا سنه
(وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا أهل بلدنا ان عندكم قمح كثير وتبن وشعير وأنتم فى خير من
رب العالمين فانتم تنقوا الزرع والوسيه والا يجيكم الكاشف بداهية وبليه فغدا تسرحوا للعونة
والسخره وفيقوا للغنم والبقر واختنوا ايياركم وفيتوا الدور كم وجدار كم واكرموا الخطار بالعدس
والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله من
وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم (وخطب آخر) فلما شرع فى
الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط فى حسب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة
اسمعوا للخطيب وعدوا انه كلب ينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على أنه يسرقوا ياهم فول اخضر
من الغيط فذهبوا معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من القريه وأخذ كل واحد منهم عمرا كبيرا من
الفول وأخذ هو عمرين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة قال أيها الناس

قال

قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل مالك وما للناس لما كانوا يالك فى السرقة خذ كل واحد منا غمر واحد وأنت خذت غمرين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسأل فقيه ريف بعض العلماء) وقال له مرادى أقرأ الاجرومية على مذهب الامام الشافعى فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الحميدى رحمه الله تعالى) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان الشيخ الحميدى شيخ الصحافين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى أنظره لك فجلس عنده واذا برجل أقبل على الشيخ وقال له عندك ياسيدى مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال لهم أنا فقيه الريف أقرى الاولاد فى بلدى القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل أحدا اختصره فيكون أسهل على الاولاد ويحفظونه بالسرعة فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله (وسعى رجل) من الاكابر عند قاضى القضاة بمصر المحروسة أن يأخذ لرجل فقيه نيابة فى بعض الاحكام ومدحه عنده فقال ائتنى به فلما حضر بين يديه قال له القاضى هل تحفظ القرآن قال نعم أيد الله مولانا القاضى وعندى مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضى جهله وضحك عليه وطرده (ودخل بعض فقهاء الريف الجهال) على أبي حنيفة رضى الله عنه ورجل الامام ممدودة لوجع أصابها فلما رآه الامام فى هيئة حسنة وثياب فاخرة لم رجله وكان الامام يقرر فى مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام آن لابى حنيفة أن يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) أن اثنين اختصما فى آيتين كلام الله تعالى فقال أحدهما لعلهم يتفكرون وقال الآخر لعلهم يشكرون فبينما هم فى المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم أنه يحفظ القرآن هل هى يتفكرون أو يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى أننا نأخذ من كل كلمة جانبا ونجعلها الكلمة لعلهم يتفشكرون ويبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل) من علماء المسلمين قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس فى مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروى حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث فى أى كتاب فقال له فى كتاب عندى يسمى الدلهمة والبطال فقال أضعفت حين أسندت ثم قام عليه وأبطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت فى نفسى أسأل عن فقيه البلد وأنام عنده قال فسألت عنه فقالوا الى انظره على الكوم العالى فى وسط البلد مات له حماره وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده ويبيعه فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب ويمنعهم عن حمار الميت حكم ما ذكر لى أهل بلده وهو فى حالة رذلة وثياب دنسة حافى القدم

تعيس الناصية فسلمت عليه فرد على السلام بتكلف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص يا جر
روح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو في كرب كأنه يغازي القوم قال فجلست ساعة أنظر
في حاله وإذا برجل أقبل عليه من أهالي قريته وقال له يا سيدنا أنا قلت لامرأتي انت طالق بالثلاثة
وسألت فما احد رد عالي وقالوا لي ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وأنا خاطري تردها لي
وتخلصني من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه وقال له ان كان مرادك اخلصك من اليمين
ما آخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك ما تطلب فقال له خذ مراتك وقت السحر وروح بها بركة
الماء التي في المحل الفلاني وخليها تشلح ثيابها وتخوض في الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم
رجليها حتى يدخل الماء فرجها فان الماء سالك والملك ذكر فصدق عليه أنه نكحها قال الله تعالى
وهو الذي خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا الرجل أخذتني الغيرة في دين الله تعالى
وقعت عليه بالسب واللعن وقلت له قاتلك الله وعلمك وقريتك ونهيت السائل عن هذه الفعلة
وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك أن تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت
اني لا أبيت في هذه القرية لاجل هذا اللئيم ثم مضيت الى بلد أخرى ونمت بمسجدها الى أن طلع
النهار وتوجهت الى سبيلي (وقال بعض فقهاء الريف) لتلامذته قد ظهر لي في القرآن بحث وهو
قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك انه وجه ضعيف لانه حكى بقيل (ودخل بعض العلماء) قرية
من قرى الريف بساحل البحر بنواحي الجبل فرأى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به
الجوع فجلس يقرأ سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية ليسمعوا قراءته الى أن وصل
الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله ما فيه كلاب
وأنت تحط فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه
حتى نرسل الى فقي بلدنا الحاج مخالف الله ونسأله فان قال لنا القرآن فيه كلاب تركناه والا قتلناه
قال فأرسلوا خلف هذا الرجل فحضر شخص كأنه سارية الجبل من طوله أو عمود من عواميد
الصواري من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعر منها الجلود وهو ملتف بحرام ابيض دنس لا غير فلما
حضر وجلس أخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا وقال اصبروا حتى ابين لكم وأكشف لكم الحال
ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة
لا يتحرك ثم انه قام بسرعة عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة يتطرشح والسماء
وعرق وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتف فيه وجلس وقال لهم طلعت العشر سماوات التي خلقها الله
تعالى فرأيت أول سما فيها بقر وثاني سما فيها جاموس وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها ثيران
وخامس سما فيها كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدد أصناف من الحيوانات الى أن قال وشفت
السما العاشر مليانة غنم وأنتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم تعوز الكلاب ولا تسارقها وراعي

الغنم لابد له من كلب يحرس غنمه خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه وأعطوه رغيفين دره قال فأخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان بعض فقهاء الريف) يدرس فى قريه من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة أجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف فى الجواب لشدة جراءته فى الكلام من غير معرفة الى أن حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه فى المسائل واتيانه بكلام ليس هو فى كتب الفقه الا أن فيه رائحة المناسبة فقالوا أمر هذا المدرس عجيب فقال رجل منهم أنا أخبره لكم وأبين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم يأخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فأخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا رأينا فى بعض الكتب خذ الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى أرض الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم وأراد أن يذكر حديثا باطلا فقالوا له أمسك ما معك قبحك الله أما كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك فى الكذب عليهم وأما الكذب فى الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وأبطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا أن العلم أمانة وأن الشخص لا يجوز له أن يتكلم الا عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام (فقد سأل بعضهم) رجلا من أهل العلم عن وصف كلب أهل الكهف فقال لا أعرف وأتى والده وكان من العلماء فقال له انى سئلت اليوم عن وصف كلب أهل الكهف فقلت لا أعرفه ولم يبلغنى فى وصفه شئ ثابت فقال له أبوه لاى شئ توقفت فى الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا وأصبح ينادى عليه فى الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدى فانه رجل كذاب مدلس يقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة (وأوصى لقمان ابنه) فقال له يا بنى اذا سألك الناس فقل لهم لا أدرى فانك اذا قلت لهم لا أدرى لا يسألونك حتى تدرى وان قلت أدرى سألوك حتى لا تدرى (وقرأ بعض) جهلة فقهاء الريف واذا بطشتم بطشتم خبازين بريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرأ آخر منهم) ومنه ميزاب السمرات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذى ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن فقيل له الحمد لله لا شريك له من يقلها لنفسه ظلما فى أى سورة فأطرق ساعة ثم قال فى سورة الدخان (واشتكى) رجل ولده للقاضى وقال له أصلح الله مولانا القاضى هذا ولدى يشرب الخمر ولا يصلى فقال له القاضى ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فانى أصلى ولا أشرب الخمر فقال له أبوه انه يزعم أنه يقرأ القرآن وأنه فقيه البلد فقل له يقرأ شيأ منه قال له القاضى اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الزنابا * بعدما شابت وشابا ان دين الله حق * لا نغيره ارتيابا

فقال أبوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضي وانا الآخر كنت احفظ فيه آية آخرى وهي ارجى صبا كثيبا * قد رأى البعد عذابا

ثم قال القاضي للرجل خذ ابنك فانه ماهر في القرآن فانظر أيها المتأمل الى جهل الغلام وأبيه وتعجب من جهل القاضي الذي لم يفرق بين الشعر والقرآن (وكان بعض العلماء) كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها قولان فقال له رجل أفي الله شك فقال فيه قولان فكفر بحسب عبارته وبعضهم أجاب عنه بأن فيها قولين من جهة النحو (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلي فرأى أهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وقادوميت معلق في عنقه فتعجب من فعلهم وقال لابد أني أسأل فقيه البلد عن ذلك الامر فبينما هو متعجب من فعلهم واذا بالفقيه داخل الى المسجد للخطابة وهو أيضا مثلهم حامل قفة فيها مغرفة وخشبة وسكين ومعلق في رقبته قادوميتا ورآهم كلهم يصلون بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وسأله عن هذا الامر ومن أمر أهل القرية بهذه الفعلة فقال له أنا أمرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال حديث رأيته في كتاب عندي واسمه كتاب التيه وانظمه حدثني يحيى بن يحيى عن شعبان النوري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة وقار فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالتيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة تصحفت بقفة وسكينة تصحفت بسكينة وخشية تصحفت بخشبة ومعرفة تصحفت بمغرفة ووقار تصحفت بقار وأما سند الحديث فهو حدثني يحيى بن يحيى عن سفيان الثوري فتصحفت مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى أهل القرية وأبطلهم هذا الامر وسعى في خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وجهله وقلة عقله فأخرجوه من البلد بيد أمير البلد وطردوه (ودخل بعضهم) قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين بل يقول وأنتم يا أهل هذا البلد تشهدون أن محمدا رسول الله قال فتعجب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شيء يباع فيه فاذا هو خمر قد صبوه في اناء ويناول رجل منهم للناس ويقول هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذه أعجب ثم مضى الى المحراب ليسأل الامام فوجده قد أقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى مرفوعة وأقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله عن القضية وعن رفع رجله في الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم يا سيدي أن المؤذن الذي سمعته لا ينطق بالشهادتين نصراني احتجنا اليه لمرض أصاب المؤذن ورأيناه صيتا فاتفقنا معه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين وأما الخمر الذي رأيته يباع في المسجد فان المسجد له كرم عنب موقوف عليه

واذا بعناه من غير عصير لا يقوم ثمنه بالمستحسنين وأرباب الوظائف وأما رفع رجلي التي رأيتها فقد أصابتها نجاسة وأنا داخل المسجد وأدركتني الصلاة فقلت أرفعها وأصلي على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لاني خشيت من المشي عليها فيحصل التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل وأتى القاضي فدخل عليه ليسأله عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط فيه فتحير في أمره وقال له ماهذا يا مولانا القاضي قضيتك أغرب مما رأيت وأعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعى أهله أنه بلغ الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فأخذته لاختبره وقلت ان فعل وأنزل فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرأيته قد أنزل المني وتحققت بحلمه وبلوغه وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله أنتم وقريتكم جميعا وحلف أن لا يعود اليها بقية عمره (وتولى) بعض فقهاء الريف الجهال القضاء فأرسل الى من ولاه هديه وأرسل معها مكتوبا صورته بعد السلام على مولانا الافندى ان الواصل لكم هدية خروفين وسرموجتين الافندى خروف وسرموجة والنايب خروف وسرموجة قال فلما وصل القاضي مكتوبه أمر بعزله وتحقيره واخراجه من القرية (ونظيره) مكتوب فشين الذي ذكره سيدى علي بن سودون في ديوانه الذي ارسله لاهله من الصعيد قال في عنوانه يصل ان شاء الله تعالى الى درب المحروس الذي خشبته سنط واقية وبسلم ليد أهل بيت فشين وفي داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما في النخيل من الاوراق سلام لا يسعه طبق ولا طبقين ولا اطباق أطول من مقود زرافة ولو كان طاق أو طاقين أو طاقات من كل بدو سيب وفي هذا المعنى أقول لكم كان شعر

ان كان ابي مامات وامي تعيش * فبلغهم ياربي عني السلامات
وروح قل لهم اني مع الناس في البلد * وياما جرى لي بعدكم من نكبات
وانكم لفي غفله كبيره عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الاحله فشين مات

والذي نعلمكم به ان كسم للسع طيبين بالحياه اني ارسلت لكم صحبة القاصد على جوز وزفقس الصيف من ديك الوزه وأيضا خروف ابلق وخروف بلا بلاق وسبحان الله تبقوا تتكلموا جزافا ارسلتم تطلبوا حبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم لنا على عرضه وأرسلتم تطلبوا كشك وأنا ان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحه وان طبخته ما يوصل لكم حتى يبرد وطلبتم نيده وما قلتم لي بعسل أو بلا شي وطلبتم قليلات والفلاحين ما يزرعوا الاقرع طويل فيكون ذلك في خاطركم من حقه وبلغني ان امراتي حبله من بعدي فلا تخلوها تولد حتى أجى وان ولدت قبل ذلك لا يكون الا صبي وسموه دار الخطيب فاني دخلت دار الخطيب ورأيت فيها من الطعام شي كثير أعجبني وجرت لي فيه حكاية ولكن ما تقولوها لحد أبدا بقى فضيحه وذلك اني أكلت يوم بطيخ ونمت حشا كم العيب في بيت الفلاحين فشخيت في ثيابي وانا معذور بزيادة فان البطيخ يكثر الشخاخ فغسلت قميصي ونشرته في

السطوح فقام بالامر المقدور ضربه الهوا فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسلامتي رجفة خلتني ضعفت ضعفة لوضعفها غيري كان مات وعرفت انها ماهي بشارة خير وانها تدل على موت امي وأبويه والحمد لله اللي كانوا فداية واني صليت وصمت لله تعالى اللي ما كنت في قيصي ولو كنت فيه كنت انكسرت فقلت حوالينا ولا علينا ولكن من الرجفه وجعتني عيني التي تبقى ناحية المشد وقت ما اخرج من دارنا والذي تعلم به والدزوج الوالده اني دخلت يوم البستان أنا والخولي فرأيت فيه نخل شي طويل وشي قصير وشي مايشبه شي فقلت له دي ايه قال لي توت ودي ايه قال نخل ورأيت يا ابويه نخله كل ورقه قدر الصنة اللي تخفت امي فيها فقلت ودي ايه فقال لي موز فعجبني قوي وقلت له الموز يطلع في البستان فقال لي ايوه فقلت له والجبن المقلي يطلع فين قال يطلع في طاجن الجبان وأنا كل يوم اجي واطل من الطاقه وعمري ماشفت في طاجن الجبان جبن مقلي فوعدت الخولي وراحنته من امر اني الحيلة لامر اته اللي بلا حبل وأنه يعمل امر اني يوم وانا اعمل امراته يوم فلا تحاره يغلبني ويا خد امر اني وابقى يتيم وكأني وودن الشيطان مسدوده اصبحت اكتب لي محضر وآخذ خاطر الجيران مارأوا نخله جبن مقلي في طاجن الجبان والذي نعرفكم به اني لما طلعت البلاد واقيت الصابون غالي فبعت الحماره البيضه واشتريت لي حماره سوده على شان ماتتوسخش وكمان كلام كثير فاني لو كتبت لكم اللي في خاطري لكان كلام يجي من خد عندكم لحد عندي وبعد السلام على أهل الحاره كل واحد باسمه كتير كتير بتاريخ نصبيحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا السابع والتلاتين من جماد الاوسط سنة ما اعرفشي اللي تقولوا عليه بالاماره مطرت المطره وأهل البلد يبيعوا فوالك (ونظير هذا المكتوب كثير لا يحصى) فقد أرسل بعض فقهاء الريف مكتوبا سنة سبع واربعين وألف يقول فيه السلام من الفقي أبو علي اللي اسمه محمد على حضرة صاحبنا اللي يطالع في القرآن زي ما يطلع الزرع في الغيطان ويتكلم بالشهامه ويا ماله علينا شهامه اللي يبيع الكتب المنظومه من الكلام زي قصة الجارية والتودد والورد في الاكمام حاوي الكتابة في السطور ومن يعرف كتاب النخ والعصفور وانا في شوق واشتياقه لا يحمله جمل ولا ناقه ولا حمار ولا حمارين ولا بغل ولا بغلتين ولا زرافه وفي هذا المعنى أقول لك كمان

السلام عليك ياسيدي والرحمه * سلام من هولا يا كل بعدك لقمه

الاصايم عن الزاد وهو زي الاعمه * وانا قصدي اشوفك ولو في الضلمه

وانا كنت اريد اجيلك وحياة راسك ماعوقني الاسر موجتي مقطعه وانا اقول لك شوف لي كتاب كنت شفته من زمان وسمعت به آه عليه ويا ما قالوا لي عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وما جرى فيها من العجايب والغرايب وانا بارح كتير اجي اشيع لك كلام افتكرته وعاود نسيته الله يسامحك ويسامحني الله الله لا غالب الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جيرانك على اليمين

والشمال

والشمال وكتب هذا الكتاب أبوعلي واسمه محمد وكتب عنوانه يوصل ذى الورقه مع أبو عماره اللى يبيع فى بلدنا الفول الاخضر والمش والزيت الحار يوصلها البولاق وواحد يبقى يوصلها السوق الكتب اللى يقولوا فيه حراج حراج * فانظر الى شدة هذا الجهل والى هذا الكلام الذى يشبه الوحل وأمثال هؤلاء الجهال كثير ولقد أحسن الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالى نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة حيث قال

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد يسمى بالفقيه المدلس
فحق لاهل العلم أن يتمثلوا * ببيت نفيس شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

(ومما ينسب لسيدى عبد العزيز الديرينى)

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم
واجعل على الرأس طيلسانا * واعقد على المنكبين واختم
واجلس مع القوم فى صياح * لا بالبخارى ولا بمسلم
الا صباحا ونقض كم * ولا ولم لا ولا نسلم
وان لقوا الوقف يأكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بيض واريا * وقلبهم بالسواد مظلم
فان ترى فى الورى فقيها * فصح وقل يا سلام سلم

أى اذا رأيت فقيها على هذه الحالة فاسأل الله السلامة منه والبعد عنه نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (ذكر شعرهم ورثاهم) قيل مر بعض أهل الارياف بجماعة من الادباء ينشدون الاشعار فى معنى العشق فقال لهم زيدوا يا معشر القوم من ذى القول الملح منذ كرونى نشيدا مليح قالته وانا حرت فى الغيط اكنى عشقت ام معيكة وكنت رايح أموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة أنشدنا ما قلت فى ام معيكة فانشد يقول مراثيا

ماضال قلبى يشخطط من ورا المحرات * حتى أتتنى صبيه رايحه بتبات
فقلت يا ام معيكه ارحمى من مات * قالت أنا رايحه احرا واجيلك بتبات

أقول هذا الكلام من بحر الخرا الوافر الذى ليس له أول من آخر وقائله من أبلد البشر أو من أغشم البقر وتنا عليه باحتياط متخبط خبط متخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندرية لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط ومعناه النميم ومبناه السخيم (ماضال) هذه كلمة يستعملها أهل الارياف وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق وأصلها مازال يبدلون الزاى صادا لاعوجاج ألسنتهم واشتقاقها من الضل أو الضلال أو من الضئيلة وهى الحية قال الشاعر

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

ومصدرها القشروى ضل يضل ضلالا فهو ضال ومضلول (قيصى) على وزن حريصى أو جعيصى واشتقاقه من القمص أى قمص الحمار يقال حمار قماص أو من بلد يقال لها منية القمص ومصدره قمص يقمص قمصا فهو قامص ومقموص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشحطط) مأخوذ من الشحططة أو من الشحوطة أى ينسحب و ينجر على الارض يقال شحططه اذا جره على الارض وهذه من لغات الارياف وقال بعض شعرائهم مواليا

شحطط محيبك ورخه ألف فرقله * واكوه بالنار حتى يلتقى عله

حتى يلين ويبقى قرص من جله * قوم اطعمه عدس ويسارو بسله

والشاهد فى قوله شحطط محيبك وشحطط على وزن ضرط بتشديد الراء وضرط فيها مناسبة من وجهين الاول الوزن والثانى اذا شحطط وجر على الارض أو فى جورة أو فى نقرة ربما ضرط من شدة ما يحصل له من المشقة وألم التشحطط فكان المعنى ظاهرا قوله (من ورا المحرات) أى من خلفه ووصف قيصه بأنه صار ينجر خلف المحرات لاحد أمور اما لانه غلب عليها الشقا وكثرة الحر والتعب خلع كمه من يده كما يفعلها الحراثون اذا اشتد عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا أكابر الحراثين وأما غيرهم فانه فى الغالب لا يحرث الا عريان أو عليه خلقة مقطعة لا تستر العورة فهذا يدل على أنه كان من اكابر الحراثين ويحتمل أن قيصه كان مشرمط فصار ينجر خلفه و ينشبك فى الشوك والحلفة أو يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين فصار ينجر خلف المحرات ومن شدة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى أحد ولم يجد له مروة يلمه من الارض حتى جاءته تلك الصبية (والمحرات) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها محاريث ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال الشاعر

تقال عمرك يا محرات تاعب جاعتك * لما اليوم المحشر ما انت مفارق

فالحراث دائما فى تعب شديد وهم مزيد وليس فى الفلاحين أتعب منه خصوصا اذا كان فى معاناة الجراقة السلطانية وهو أقل عقلا من غيره لانه فى النهار رفيق الاثوار وفى الليل رفيق السواقى الدوار فلم يكمل له عقل * ومثله فى قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النسا ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال قبوله شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا آخر وجه المشتوم الشتمة الى المؤدب بقوله يقول لى الولد دم الحس فقال يا سيدنا والولد الآخر يقول لى يا ابن القحبه يا سيدنا ويقول لى دم اخرق عينك يا سيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ * وقد وجد عند مؤدب اطفال طبلة وزمارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال أجمعهم بالطبلة وأفرقهم بالزمارة وأضربهم بالفرقلة (ورأيت فى بعض الكتب) أن مؤدب أطفال كان يعلم الاطفال القرآن فى

غرفة لها فاتفق الاولاد على ان يبنوا على باب الغرفة حائطا ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلا ولما أصبحوا جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشد وسطه وعدا فى طلبها وما زال فى البرية يمشى حتى قارب الليل فلم يجد شيأ فرأى صومعة فيها راهب فسأله هل رأيت غرفة فيها ألواح ودوى فقال الراهب فى نفسه انه أحمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الطهر وأنت لا تلحقها ولكن بت عندى الى السحر وأنت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد لحقه الجوع والعطش وأضره التعب فأحضر له الطعام فأكل وشرب حتى شبع ثم أسكره ونومه وقام اليه وجرده عن ثيابه التى كانت عليه ولبسها الراهب وألبسه ثياب الرهبان وشد له زنارا وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الغرفة رجعت الى البلد فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى الى البلد فرحا مسرورا فلما رآه الناس قالوا له أنت صرت راهب قال لا والله الا أنى بت عند راهب وقلت له نبهنى وقت السحر فأيقظ نفسه وتركنى قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك يا راهب نبه نفسى حتى اروح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة عنك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى أيس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدة جهله (وكان أيضا بعض مؤدبى الاطفال) اذا وقف يصلى وركع أخرج رأسه من بين رجليه وقال شنتك يا ابن القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجد ويتم الصلاة وقوله (حتى أتتنى صبيه) أى لم يزل على هذه الحالة السخيمة والعيشة الذميمة والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار فى الليل والنهار حتى مرت عليه هذه الصبية وهى ضد العجوز وصبية على وزن مليئة أو رزيه مشتقة من الصبوة على وزن اللبوة أو من الصابون أو من مصبنه فشعلته بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها الاسما وهى من ملاح الريف وخصوصا اذا كانت فى وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهى متضمخة بالنجاسة وتلك الروائح (وهى رايحه بتبات) أى والحال أنها مروحه من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا فى الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتلقيط الجلة الناشفة والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم آخر النهار أو فى نصفه على قدر تمام أشغالهم فيجدوا العدس والبيسار أو المدمس قد طاب أمره وحسن طعمه فيأكلوا ويتمتعوا بنسائهم على الافران ومداود البقر وأشوان التبن وغرف الجلة ونحو ذلك (فقلت يا ام معيكه) أى أنه لما اشتعل بحبها عند ما أقبلت اليه وهى مروحه من الغيط كما تقدم نظرها فأحبها والعين توقع القلب فى أشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام قال القائل

عينى نظرت وشبكتى من عينى * ما يقتلنى الاسواد العين

وقال الشاعر

نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين منى بل صباها

فآها كيف تجمعنا الليالى * وآها من تفرقنا وآها

فاحتاج أن يخاطبها و يتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من أنهم يتذللون لمن يحبونه و يبذلون له الارواح فضلا عن الاموال و يموتون بحسنه و جماله لان احداق الملاح تذيب أجساد العشاق وحلاوة الجمال تزيد فى الاشتياق ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب ولله در معن بن زائدة حيث قال

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ * ـل على أننا نذيب الحديدا
وترانا عند الكريهة احرا * راوفى السلم للغوانى عبيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بأم أو بأب كما هو مقرر ومعيكة تصغير معكة وهى على وزن ركة أو حكة أو دكة أو لبكة وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علما عليها لكثرة ما كانت تمعك شعرتها الى جذور الشعر عند اشتداداً كلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاداً كلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصا فى زمان الصيف و بعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس أيام الشتاء لان الشعرتين اذا التقتا تتولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر أسود كالزنجى
فقلت لها ماذا الذى قد رأيته * فقالت طواشى كاتب الدخل والخرج
وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فأسقى أباه هذا بجهد بلاحرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك معكا فهو ماعك ومعوك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء أهل الريف موالياً

قومى امعكى ياخطيطه شعرتك بالخيط * لما أجيلك هديه طور نين مخيط
واعطيك وحياة راسى نعل من هو يط * وابجى لعندك وشل رجليك جوا الغيط

ومقول القول (ارجى من مات) أى تعطفى بالرحمة والشفقة على من أشرف من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت أو بالخناق المستعجل وهذا على حد قولهم حزين و واجى لانه مع كونه فى حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وتراكم الهموم والقهر حصل منه هذا العشق الذى يفضى الى الموت وكأنه يقول أنا يا أم معيكة قد أشرفت من حبك على الهلاك والموت غرقى لحالى وانظرى ما أنا فيه من معالجة اخوانى الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وأنت صبية نظيفة وتكرهى الشعره المنتوفة فاسمحى لى بسحبتين فيما بين العلمين وأزور الشيخ أبو قبيه ولو أخذت البشت والجبه والا يحصل لى من بعدك وغرامك الموت فلما فهمت من حاله هذه القضية وابتلت بهذه البلية ورأت الذى لها مثل الذى عليه وشبيه الشئ منجذب اليه قال الشاعر

رأيت مجذما فى قاع قبر * وآخر أبرصا يخرا عليه فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

أبدت اليه العذر الذى أوجب لها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهى فى تلك المشقة العظمى

والداهية

والداهية العميمة وهي حدوث الخرا عليها بلا انكار ومكابدة دفعه مع المشقة والاضرار لانه ثقيل في الصرم خفيف في الكم اذا ادرك الشخص بين ناسه خرى في لباسه (قالت) له على سبيل الوفاء بالوصال ولم تدعه يقاسي ألم الحب والنكال (أنا رايحه اخرا) وفي رواية خاطري اخرا والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الاولى اولى لتأكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارى لها أيضا والمعنى أن مرادي افرغ نفسي من هذه القضية في نقرة اخرا فيها مثلا أو فوق سطح أو في جنب شجرة او في الغيط أو نحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المرأة منهن تجلس في قضاء الحاجة وسط الزريبة أو فوق الكوم خارج البلد وأي نقرة وجدتها بالت وغوطت فيها لان دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

سألت بني الارياف ما البيوت لكم * مراحيض قالوا الامر احيض للقوم

فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمه اياه حالها وغرضها كأنها تقول له اني اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما تضايقت من هذا الامر المشروح ورائحته عليك تفوح ولكن عندما أزيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكورة أوفي بالوعد ولم الشتات (وأجيلك بتبات) أي بأمر ثابت محقق واجابرك فيه وأصله بالثاء المثلثة غير أن هذا من ألفاظ الارياف فكما أنهم يقولون في الميراث ميرات بالتاء المثناة فوق فكذلك يقولون تبات ونحو ذلك بالمثناة الفوقية ووقع في رواية اخرى اجيلك وابات لكن يكون فيه الايطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلا شئ فعلى الرواية الاولى يكون المعنى أنا قولي ثابت في المجئ اليك والبيات عندك والبيات مأخوذ من بيات الفراخ لان نساء أهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بتبات وتبات الجناس المحرف أو المصحف على اللغة الاصلية ويمكن أن يكون قوله رايحه بتبات أي هذه الليلة وقولها أجي وأبات أي الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثاني وان كان هو عينه في باطن الامر هذا نتيجة الفرق بين تبات الاول وتبات الثاني فان الاول منسوب لقول الرجل والثاني لقول المرأة ولعلها أرادت بتأكيدها البيات عنده عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاء بالوصال ويكافئ العاشق بلذة القرب والجمال وقالت في نفسها هذه النصيبة هل المحب لا يرضيه مني الا البيات على كمالها ينتلي بتلك المقابح ويشم تلك الروائح وهي آثار جلة الغيط وارقدنا واياه في الفرن أو في مدود الجاره أو على الجرن أو فوق البالة الناشفة لان نهاره كله في الحرات والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه في كد المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال الشاعر

قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن   فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن

وتأكيدها فى البيات يفيد أيضا أنها تريد من هذا العاشق أنه يتهيأ لما يناسب حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول المدمس ونحوه ومصدره بات يبيت بياتا * وقولها السابق اخرا لفظة الخرا فيها لغات ذكرها صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه الغائط والعذرة ونحو ذلك انتهى * ومن أشعارهم القشروية

وقلت لها ولى على وشرشرى * عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذى عرضه من الحسينيه لبركة الفيل وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلامه الثقيل ولفظه الهبيل أن هذا القائل لما ولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج أن يتذلل لجمالها وأن يتمتع بمحاسنها وأن يتحمل منها المشاق والدواهى والبليات كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من الافلاس فهو فى أشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حلّ الجوع جسمى حلّ * وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من له الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك

فالعاشق يحتاج الى ثلاثة أمور أن يكون اجرى من كلب وأوزن من صيرفى وأذل من يهودى وعشق الفسقة على أقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حدقة وعشق علقة فهى أربعة أقسام ونحن نوردها على اخواننا المتاعيس على التمام * فأما عشق الشفقة فهو أن يميل العاشق الى الولد الجميل أو المرأة الجميلة ويكون معه أو مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح فى محبوبه والشفقة عليه حتى يصير عليه أحن من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرات ويتحمل من أجله البليات ويكون حريصا على أمواله مشفقا على حوائجه مسرعا فى قضاء أوطاره حتى يقضى منه المرام على أتم حال قال الشاعر   لقد صرت فراشا للحبى وسائسا * زمانا الى أن نلت منه مراديا

وأما عشق النفقة فهو أن يكون الشخص صاحب ميسرة وأموال فهو لا يحتاج الى تعب فى جلب محبوبه بل كل محبوب أظهر له الدراهم يحضر عنده على أحسن حال وأتم منوال قال الشاعر

نخرة العشاق يا من عشقوا * ذهب بنثره أو ورق
واذا باب الرضا قد أغلقوا * يفتح الدرهم ما قد أغلقوا
هكذا قد قال فى تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا

وأما عشق الحدقة فهو أن يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطرفه يشير اليه أنه مسكين وعاشق وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء

لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله أطال الله بقاءك أدام الله جمالك أسعد الله أيامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له أن مراده الوصال لما يرى من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظرة للوطى الا فراسة * وما تحت عين العلق الا منجم

فيعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

ان أجد وجها مليحا * ألق فى القصة خفه أو أجد هذا وهذا * لم أجد فى الحى غرفه
أو أجدها تيك جمعا * ألق فى الحارة زفه فلهذا طول عمرى * تائب من غير عفه

وأما عاشق العلقة فهو أن يكون العاشق عديم الذوق سيئ الخلق كثيف الطبع والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع أو صكه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه أنواع البلاء وألقاه فى أشد المصائب لا ينفك عنه ولا يخلص منه الا براده كرها لا برضا قال أبو نواس

اذا رقد الندامى خل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب أو خوف الرقيب

ولعل الناظم من هذا القسم بدليل قوله بولى على وشرشرى أى أن محبوبته لما رأته عالقا بها كعلوق النار فى الحطب أو الزنبور فى الخشب علمت أنه لا يفارقها الا أن يقضى مراده منها لعدم ذوقه وصفاقة وجهه ولم تقدر أن تمنعه بصك ولا بشئ نجس فلاجل أن ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها وأوهمت أنها تريد البول عليه أو على لحيته حتى تملأها ولكنها فى وهم منه وحيرة فأكد عليها بالقول وأمرها أن تفعل فقال (وقلت لها بولى على وشرشرى) أى أنى لا أبالى بما تفعلينه معى من النجاسة ولا أتكدر من الخساسة لانى عاشق مشوق وقليل الهندام والذوق وفى هذا المعنى يقول القائل

أحكم وأخرى عليكم وعلى بابكم من فوق * بالله اعذروا العاشق الخرا عديم الذوق

فلا أبالى بالبول على وعلى لحيتى لانى (عريض القفا) وتخينه ومن شان عريض القفا وبليد الطبع أن يكون (للنائبات صبور) وأن لا يضجر ولا يقلق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته وعدم ذوقه قال الشاعر

يعرض قفاه للهموم جميعها * وذلك لسوء الطبع فهو بليد

وقوله بولى مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهى شئ يعمل من الخوص أو الحلفاء يحملون عليها الزبل وربما يكون فيها الجلة والوحل فسميت باسم ما وضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف أو المحل باسم الحال ومصدر مبال يبول بولا ومبالا ومبولة ومبلة أيضا وهى ما يبل ويمتنع فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاى شئ اكتفى الناظم بقوله بولى على ولم يصرفها

فيقول بولى على بولا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب القشروى عن هذا الكلام وهذه الاشكال القشكلية وهو أن كلمة بولى فيها تكرار اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان فى حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولى أو يقال ان هنا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف قال الشاعر

بالت على مبالة ومبلة * حتى اكتفيت ببولها وانا أبول

اى وأنا أبول عليها أيضا فيناسب بولها بولى لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت أنا الآخر عليها بيقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

ملكنا الحسن جودى باللقا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب قيل أذى

أفسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

أى اذا دخلوا قرية أفسدوها وقوله على أى بولى على ذاتى جميعها حتى يشمل البول شواربى ولحيتى وما جاورها بحيث لا يبقى فى منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا وباطنا وقوله وشرشرى معطوف على بولى وهى من لغة الارياف وقد وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق وهى مشتقة من الشرا أو من الشر أو من الشرور أو من أولاد أبى شرشر وهم جماعة فلاحون أو من الشرشرة وهى آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح فى حزامه اذا سرح فى الغيط يحش بها الزرع البهائم وفى شرشر جناس مذيل وهو مشرشرا وأكد على محبوبته فى القول بلفظ شرشرى لكونها أنثى ولو كان ذكرا لكان الانسب أن يقول له بل على وطرطر لان المرأة اذا بالت شرشرت بمعنى أن بولها ينزل من فرجها مشرشرا حكم أسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان ايره ضيق المنفذ فكان المناسب أنه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق فى الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال زب فهو فى الارض يخرق

وفى رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا أن عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف أهل قبيلته وهم بنو عبس من العدو أن يدهمهم على حين غفلة ان شعروا بموته وكانوا على أهبة سفر فاتفقوا أن يجعلوا ابنة عمه مكانه وبزوها بزى رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت أمام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا فى كونها عنترة وتحيروا فى هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأى وفراسة فقال لهم أنا أكشف لكم الامر وهو أنى أوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق فى الارض فهو عنترة وان كان مشرشرا فهى عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجده عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة مشهورة فى محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينعظ والدهر مقبل * عليه ولم تخطر عليه ببال

فصوره

فصورة في وسط الكنيف بقمقمة * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صقيع اللحا وعريض القفا مشتق من العرض أو من العرضية وهي ما يلف على الرأس بلغة الريافة ويسمونه أيضا الكر أو من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو الغمام لان قفاه صار متعرضا للبول والصك وغيره كتعرض الغمام في أفق السماء والقفا مشتق من القفوة أي قنوة الانكشارية التي يلبسها ملازموهم أو من القفة أو من القفقولة وهي بوشة صغيرة يطبخ فيها أهل الريافة طبيخ اليسار وقيل هو من قفوت الشيء اذا تبعته لان القفا دائما تابع للرأس ولا يفارقه أبدا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال الشاعر

الرأس يتبعه في السير أربعة * وجه وذقن وآذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليدا جبان القلب قال الشاعر

صاد يا ابك يا بحر الوفا وقفا * فما قه عنك نطع واقف وقفا

وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله النائبات جمع نائبة نائبة وهي ما ينوب الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا أتتك مصيبه

فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبه

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبور وقيل بمعنى صابر وعلى هذا أيضا يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر أو من الصبارة التي تعلق على أبواب البيوت وقد تنبت في بعض المقابر فهي لشدة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر

واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمي من الشرر

الى آخرها هذا وقد أتى لفظ العبرانة بمعنى العبور في نظم الشيخ بركات وسبب قصته أنه كان رحمة الله عليه من المداح واتفق أنه سافر الى بلاد الروم ووصل الى مدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له مارا في بعض شوارعها فسلم عليه وسأله عن حاله وحال الملك فقال له يا شيخ بركات قد أجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لا بد أن أمدحه أنا الآخر وأثني عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك في قديم الزمان أنهم لا يمنعون أحدا عن أبوابهم فخرجت اليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سيأتي في نظمه وقالت له ما تريد فقال أريد الملك فقالت له تأتي اليه في وقت غير هذا وان كان ولا بد فعرفنا حال الملك نخبره به فأخذوا دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرايه * جابسلم ماقدرشي   من عجوز خلف دار * كالاسود الضاريات

وطواها وأعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة في يد الملك وقرأ البيتين أمر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى ذاته وبلادته وثقل نظمه وهيئته ضحك عليه فقال له ماتريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم أجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه ألبسه برذعة حمار وأمر أن يجعلوا في فيه اللجام وعلى ظهره الثفر كعادة الحمير ثم أمر أن ينادى عليه في المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الالفاظ ثم أنعم عليه بعد ذلك وأمر باخراجه من المدينة قلنا ولهذا ذكروا أن الشاعر لايهدي قصيدة للملك أو غيره حتى يتطرف في ألفاظها ثم يهذبها أو يعرضها على أرباب الخبرة من أهل الذكاء والفطنة لئلا يقع في محظور مثل هذا (ولنرجع) الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عبرايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة النيل بمصر أو من بركة الجمل وقوله عبرايه أي يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله جابسلم ماقدرشي أى أتى يريد السلام ماقدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة في منعه كالاسود أى السباع الضاريات العاديات التي تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب رأسها فيصير قربها هم وجماعها غم الا على من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(و يقرب من هذا المعنى) أنه وصف لابي نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا ليختبر فصاحته حتى دخل مصر وسأل عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد عليه السلام فأنشد أبو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله في رجل * أضناه حب عجوز بنت تسعين

فاجابه الحداد بقوله   يبكي عليه فقد أودى بمهجته * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له أبو نواس مثلك لايكون الانديما لامير المؤمنين فقال مالي ولامير المؤمنين أنا صنعتي تكفيني ولاحاجة بي اليه فتركه وانصرف   وقد تطلق العجوز على الخمرة اذا عتقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في حق الهدهد لأعذبنه عذابا شديدا قيل أراد أن يزوجه بعجوز وقال سيدنا على كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تأخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلاء وذات الولد دعوة وذكروا أن أصل حرب البسوس من امرأة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها فضربها كليب بسهم فقتلها فذهبت الى جساس وألقت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم أربعين عاما   وذكر بعضهم أن فتنة التتار التي لم يوجد في

الاسلام

الاسلام أعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امرأة عجوزا (وأما حيلهن) في القيادة وجمع النساء منهن للمفاسد فانها تغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز السوء لا يرحم صباها * ولا يغفر لها في يوم موت
تقود من السياسة ألف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكي وتنوح فقلت لها ما الذي دهاك فقالت لي يا سيدي وقعت لي اسورة من ذهب في هذه البئر قال فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابي ونزلت البئر في طلب الاسورة فأخذت ثيابي وانصرفت وتركتني عريانا ففتشت في البئر فلم أر شيأ ثم خرجت من البئر فلم أرها فسرت الى منزلي عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وأمورهن غريبة فينبغي التحرز منهن والبعد عنهن فهن أصحاب العجائب وأرباب الدواهي والمصائب * فان قيل لفظة قدرشي في نظم الشيخ بركات التي تقدم ذكرها بمعنى قدر فلأي شيء لم يكتف بها مع أنها أقل حروفا من قدرشي فكان حقه أن يقول جابسلما قدر وكان هذا أولى وأخصر في اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشي أبلغ من لفظة قدر وأيضا ربما اختل النظم فراعى في ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر وأما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالبنا به لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى (ومن أشعارهم الشعرية البيتان الآتيان) وسببهما على ما قيل أن جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شيء من الحلوى والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم والخزي على وجهه قد لاح فلما رآهم في هذه الحالة انقض عليهم بلا محالة وقال لهم ذكرتموني زمان العشق للملاح وقولي فيهم بلا مزاح وأراد أن يأكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لابد ما أرمي عليكم أنقاض أي ألغاز بلغة شعراء الريف ثم أنشد يقول

والله والله العضيم القادر * هو عالمابسر ايري وخبايطي
ان عاود القلب المشوم ذكركو * لأقطعوبن مهجتي بصوابعي

هذا الكلام من بحر الهلفطة والمعاني المشرمطة وتفاعيله مخلبطه متخابطه وعرضه سقين من زنجبيله لشربين وطوله باحنياط من السمرولدمياط وأما شرح معانيه المخمطه وحل مبانيه الملغمطة فقوله والله والله العضيم القادر يريد القسم غير أنه لم يقع الموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة أمثاله من أهل الريف فاختل المعنى في ذكر الصفة وان كان الموصوف الذي هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هو عالمابنصب عالما مع أنه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا أن لسانه لم يساعده على ذلك لان ألسنة أهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب معرفة الكلام المناسبة لهؤلاء القوم

وقوله بسرايري وخبايطي السراير جمع سريرة وهو ما يسره الانسان من خير أو شر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطه فخبايطي على وزن سبايطي مشتقة من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا ألقاه على الارض أو من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط أنسب بالمقام بل هي أولى قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله

ان عاود القلب المشوم ذكركو * لأقطعو من مهجتي بصوابعي

هو جواب القسم والقطع هو فصل الشئ وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه والقلب مشتق من التقلب قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه * وما القلب الا أنه يتقلب

والمهجة معلومة والصوابع على وزن القراقع وهي معلومة أيضا وأسماؤها الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام وهي خمسة بيقين لا شك فيها ومعنى الكلام أن هذا البليد أقسم بالله العظيم القادر على كل شئ العالم بسرائره وخبايطه أي ما أسره من الافعال القبيحة والبيات الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والبط في الدور وقرط الزرع وسرقة الجلة ومواسته على زرع شريكه وأخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التي يفعلها هو وغيره من أراذل أهل الريافة وقوله ان عاود القلب المشوم أي ان رجع الى محبتكم بعد ما قاسى من همومكم وترككم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح لكم في الغيط في الحر ويصالحكم بالزبل ويسرق لكم الجلة وترسلوا له التقه علاها خرا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان الناس ومن زرعكم ويطعمكم وأنتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذي فعله فهو الآخر اب عاد قلبه المشوم ووصفه بأنه مشوم لانه وافقه على محبة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم أي تحرك بذكركم بعد هذا كله لاقطعو من مهجتي أي أنزعه منها بصوابعي وفي رواية بضوافري والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو في حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم قلنا الجواب أن هذا قطع معنوي لا حسي بمعنى أنه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه وخالفه لقطعه بصوابعه أو بضوافره كما تقدم ومن هذا المعنى قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

يا قلب لا كويك بالنار * وان كنت عاشق لازيدلك

يا قلب حملتني العار * تريد من لا يريدلك

وقوله من مهجتي فيه شئ فان القلب ليس في المهجة وانما هو في الصدر مما يلي الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له أدنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على

هـذا النمط لان قافية البيت الاول خبابيطى والثانى صوابعى أوضوافرى وهو غير الوضع العروضى ولا يساوى قشرة بيضة وناظمه أثقل من حجارة المرضة غير أن قائله من أرباب القحوف المتلاوبة والمناسبة مطاوبة (مسئلة هبالية) لاى شئ ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين أو الموسى اذ من شأن القطع أن يكون بآلة محددة وكون انقلب لها لا يتجه قطعه بالصوابع ولا بالضوافر قلنا الجواب القشروى أن يقال انما ذكر القطع بالصوابع لكونه أخف فى الالم من السكين أو لان الحركة والعمل لا يتأتى الا بالاصابع اذ لا يمكن أن يقطع الشئ الا بيده وأصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع فيكون فى الكلام حذف والتقدير لاقطعو من مهجتى بسكينة قابض عليها به وابعى ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أى مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أو أن السكين اذا قطع بها قلبه يمكن أن يقال فلان جرح نفسه بسكين أو قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفى عن نفسه الريبة أو انه من باب خلبطة النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعو من مهجتى بصوابعى وسكينتى لكان أولى للجمع بينهما أى الصوابع والسكين الا أن الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا المعنى الثقيل فاتجه الجواب وبان الصواب * ومن أشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك * وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك

يامن عجنستى قلبى فى وحيلاتك * ياريتنى قرص جله بين اديانك

هذا القول العكيس والنظم الخسيس والمعانى الغلسة والالفاظ الهبالية من خرافات الاسرائيلية والتشابيه التى خرجت عن الاوضاع وتمجها النفوس والطباع وهو ان شئت أوزانه وتخلبطت أركانه فهو على أربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله باتفاق من الخانكة لبولاق وعرضه بيقين من باب زويلة لسويقة السباعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله (هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك) يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهية الجارح للقلوب عند سماعه فكأنه يشبه ازرقة وهذا من العجب العجاب أن هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الانسب لها والعشته اياها وشبه الشئ منجذب اليه والطيور على أجناسها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لم يكن فى بلده أكبر منه ولا أكثر هبابا وأن غالب نساء الكفر تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا أوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمى ولم يقل فرنى لكونه كان فقيرا لا فرن له الا بالتصحيف وهذا من قبيل التغزل القشروى لانه لما عشق هذه المليحة ورأى الكحل فى عينيها أراد أن يتغزل فيه بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية فنظر ببلادة طبعه فلم ير شيأ أسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا ألف محلا صار يرى كل ما فيه حسنا وكذلك اذا ألف شخصا لا يراه

الابعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا الاو يلوح له ما ينفيه عنه و يشفع عنده فى قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال آخر يقولون فى البستان للعين نزهة * وماء غدير صفوه غير آسن

اذا شئت أن تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

(وعادة نساء الارياف) أنها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبخ البيسار وتقمير البتاو وتنشيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحب تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبيخ فشبه كلاتها به لكونها اذا غاب فى هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام بهباب ثم انه لما شبه كلاتها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها أنها تفهم من ذلك أنه محب لها ومصر على عشقها أراد أن يشبه مدلاتها أيضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وأن يكون التشبيه من ماهية ماسبق من تشبيه كلاتها فقال (وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره أن مدلاتك فى الطول تشبه حبل طور ابن خالى والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر و يجعل فى آخرها جلاجل من فضة و برق ونحو ذلك وتسمى أيضا مضنات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل) هذه نحو من ذراع أو أقل منه وحبل الثور ربما يكون أكثر من ذراع أو ذراعين غير ما يكون ملتفا على أدنيه فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو فى الشئ والتفنن فيه لانه لما عشقها و رأى هذه المدلات مرخاة على صدرها ولم ير فى بلده أحسن من ثور ابن خاله ولا أطول من حبله شبه مدلاتها به وأتى بهذه الاشعار الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظمه التعيس وأما كونه حرم نفسه من أن يقبل كلامه عند محبوبته التى خاطبها باستعارته ثوب ابن خاله وحبله وكذلك فرن ابن عمه وهبابه ولم يد كرشيا يدل على المال حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله أنه عاشق مفلس فليس له دواء غير الصك بالنعال كما قالوا فى هذا المعنى مواليا

اللى معه مال لو طلب الثريا نال * واللى بلا مال صكوه الملاح بنعال

وان كان معك مال هاته تبلغ الآمال * ما كان معك مال طردوك الملاح فى الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشاوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالى بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة فى الثور بالطاء أو بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يامن عجنتى قلبى فى وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبته قلبه تعجن الوحل والطين عقب المطر يعنى أنها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر فى الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة و يكون فيها الزبل والجلة والوحل يبقين و يسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند أهل الريف ثم انهم يجعلوه

جواليس و يلبسوا به بيوتهم وأفرانهم و ربما جعلوا منه معدا وذللبقر وغير ذلك مما يحتاجوا اليه
فلما رآها فى هذه الحالة أخذت قلبه وعجنته برجليها فى هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيها لها على
أنه لا يجوز من المحبوب أن يملك قلب المحب و يعجنه ويدوسه فى الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل
يترفق به ويرق له ثم انما استشعر من ذلك سؤالا كأن قائلا قال له المحب ليس له تصرف فى نفسه بل
القلب والروح لمحبوبه فلو أنها ألقتك و زقتك وقلبتك فى الخرا مثلا فضلا عن الوحل لا تلمها فتمنى أن
يكون قرصا من الجلة بين يديها وأضاف الوحل اليها لانها مالكة له ومتصرفة فيه و يفهم من هذه
العبارة أنها كانت تعجن الوحل فى محلها حتى يكون ملكها وأن الوحل كان فى زريبتها يقين كما أن
الجلة والزبل فيها أيضا وقوله وحيلاتك تصغير وحلات وقوله (ياريتنى قرص جله بين ادياتك)
حينئذ تأكيد و بيان أن المجنة التى كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل يقين
وقوله ياريتنى قرص جله الى آخره بابدال اللام راء فى ريتنى من لغة الريافة وأصلها ليتنى وقد
وجدت فى القاموس الازرق والناموس الابلق والمعنى انى أتمنى أن يكون بين يديها قرص جلة من
هذا الوحل الذى عجنته وأكون وحل ابن وحل أى وحلا بطريق التمنى و ابن وحل بطريق التشبيه
فاتجه الجواب عن هذه اللغة القشرو ية وتنزل نفسه منزلة قرص جلة وهو شئ خسيس اشارة الى أن
العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا التشبيه الحقير المشابه للحيته التعيسة وتمنى أن
يكون قرص جلة بين يديها وهذا هو الانسب لمحبوبته لانها دائما فى عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهى
دائما فى هذا الامر فأتى لها بما يناسب حالها وما تحبه وأعز ما يكون عندها الجلة والوحل فما أخس
هذا العاشق وما أرذل هذه المحبوبة وقوله بين اديانك هذه لغة أهل الريف والمعنى انى أتمنى أن
أكون قرص جلة تقلبينى بين يديك من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلى فى قرص الجلة حتى انى ألتذ
بكونى مرفوع فى يديك وتمس ذاتى أصابعك فتحصل لى الراحة و يزول عنى ألم المشقة ولو أن صورتى
انقلبت قرص جلة فانى لا أبالى من النجاسة ولا أسأم من الخساسة لما فيها من الراحة و بلوغ المنى
ونحو ذلك و يقرب من هذا المعنى قولى

وهيفاء لما جئتها حين حلبها * تمنيت أنى مرطها وثيابها

لكن هذا ألطف فى محبوبة لطيفة *(مسئلة هبالية)* لاى شئ اقتصر فى العبارة على الوحل
وكان حقه أن يضيف اليها أيضا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا الجواب القشروى)
أنه اذا كان الوحل ثابتا يقين فيكون الزبل والجلة فيها من باب أولى فلا اعتراض على الكلام
واتجه الجواب بلا ملام (وقوله) هباب على وزن تراب أو كلاب أو سراب مشتق من هبوب الريح
أو من هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما رأتنى كلابها * فقلت محيبا قد علانى هبابها

(وهبهب) وادفی جهنم (وفی الاحیاء للغزالی) فی کتاب ذم الکبر والعجب عن محمد بن واسع قال دخلت علی بلال فقلت ان أباك حدثنی عن أبیه عن النبی صلی الله علیه وسلم أنه قال ان فی جهنم وادیا یقال له هبهب حق علی الله أن لا یسکنه الا کل جبار وایاك یا بلال أن تکون ممن یسکنه ومصدره الهباب یقال هب یهب هبابا وسمی بذلك لکونه یهب من الاقران (وقوله ابن عمی) العم أخو الاب وقد یطلق ویراد به الاب کما یطلق الاب ویراد به العم مثل قوله تعالی واذ قال ابراهیم لابیه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ أب وهو مشتق من العمی أو من العموم ومصدره العم یقال عم یعم عما هذا ووجه الشبه بین المشبه والمشبه به السواد الذی هو ضد البیاض وهو أقبح الالوان (کما اتفق) أن بعض الملوك أرسل الیه بعض الاکابر هدیة لا تلیق به وهی عبد أسود فقال الملك لکاتبه اکتب له بوصول هدیته وأوجز فکتب الیه أما بعد لو وجدت لونا أقبح من السواد وعددا أقل من واحد لارسلته الینا والسلام ویقال ان السواد مأخوذ من السودد وهو العلو والرفعة ونصر یقال ساد یسود سودا وسوددا (وقوله) کحیلا تك الکحل مشتق من المکحلة أو من الکحال أو من تذکرة الکحالین قال الشاعر

جبال الکحل تفنیها المراود * وکثر المال تفنیه السنین

(وفی الحدیث) اکتحلوا بالاثمد المطیب فانه یحد البصر والسنة الاکتحال به وترا عند النوم (وقوله) وحبل طور ابن خالی الحبل مشتق من الحبلی أو من الحبالین والطور تقدم معناه وهو مشتق من الطور أو من الطارة التی یصیدوا بها السمك وأما بالثاء المثلثة وهی اللغة الفصیحة فهو مشتق من ثوران الارض لانه یثیرها بالحرث لانه معد لذلك والساقیة أیضا بخلاف البقرة فانها معدة للعلف والولادة قال ابن سودون موالیا

الثور والبقر مدی العام ومن قبله * فی مصر والشام مع غز مع الرمله
فذی بحبل وتولد عجل او عجله * والثور فی الساقیه یا کل بغرقله

(وقوله) ابن خالی الخال اخو الام فعلی هذا یکون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخیلاء أو من الخیل أو من الخلخال أو خیال الظل ومصدره الخیل یقال خال یخیل خیلا ویطلق علی الخال الذی یکون علی خد المحبوب فیزیده حسنا وجمالا کما قال أبو نواس

یکون الخال فی خد قبیح * فیکسوه الملاحة والجمالا

(وقوله) کیف مدلاتك المدلات واحدته المدلة علی وزن سبلة أو المدلة مشتقة من الدل أو الدلال قال الشاعر

له دلال ودل زانه غنج * سبحان من خصه بالحسن فی الناس

أو هی من التدلیة لکونها تدلت علی الصدر أو علی الحوران أو الاکتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلی یقال تدلت تتدلی تدلیا فهی مدلاة (وقوله) عجنتی العجن مشتق من المعجنة أو من العجین

قال

قال الشاعر والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان باليقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) في وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل أيضا وهو مشتق من التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال يا وحل مثلا أي من طبعه وخصاله تشبه الوحل نجسة خبيثة (وقوله) ياريتني قرص جله القرص هو الشيء المدور مشتق من التقريص أو من القراصة أو من القرصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجله فيها أيضا وهي مشتقة من جله البهائم (وقوله) بين ادياتك جمع يدوقد ورد هذا اللفظ عن القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر

جاءت لنا بأديات تشير لنا * تمشي اليها سحيرا بالرجيلات

(وفي نسخة اخرى) ياريتني قرص جله بين رجيلاتك والمعنى واحد في النجاسة وعلى القول الثاني تكون الرجيلات جمع رجل وهي من الترجيل أو من الرجلة قال الشاعر

اذا اشتقت الرجلان فهي كرجلة * والا فرجل كالترجل اذورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفي الابيات من أنواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كيلاتها وطول عدلاتها بباب الفرن وحبل التور ولبعضهم

يلاعبوا تحت ظل السمر من مرج * كما تلاعبت الاشبال في الاجم

(ومن أشعارهم أيضا) مواليا

سألت عالحب قالوا اشت ملنا به * صحت دمعي بكرسايه وجلايه

وشلت وجهي لربي قلت مولايه * جاب لي رغيف وعجوره وتمايه

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس النظام وهو من بحر زبل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقل مستثقلن ثاقل ومعناه النميم لا يهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سألت عالحب قالوا اشت ملنا به) يريد به أنه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره وصار دائما لا يفارقه طرفة عين فان من أحب شيأ أكثر من ذكره ولو أنه في أعظم المشقات وأصعب البليات قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج أعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) أن رجلا زاد به العشق فمرض فأتوه بطبيب فأخذ يجس نبضه ثم قال الطبيب لغلامه هات الفرجية فتحرك نبض المريض فقال الطبيب أنت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجية فقال له نعم يا سيدي فقيل

له من أين عرفت ذلك فقال أمسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرك فعلمت بالفراسة أنه عاشق ومحبوبته اسمها فرجية ومن هذا المعنى ما ذكرته فى بعض القصائد من قولى

شكوت ما بى فقال الصحب أجمعهم * انظر طبيبا لقد أمسيت فى وجل
فرحت نحو طبيب كنت أعرفه * يدرى رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يا رعاك الله خذ بيدى * وانظر لحالى وداو القلب من علل
فجس نبضى وقال الحب قارتعدت * فرائصى وفؤادى صار فى خجل
وقال أنت سقيم فى هوى قمر * بديع حسن رنا بالأعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا أراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وأن يعلم محله ومنزله ويسأل عن حاله وفى أى مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فسأل عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا السؤاله ان محبوبك الذى تسأل عنه مشت أى ذهب وراح من التابة وهى محل يجعلوه الجاموسة على شكل دائرة أو نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه أوانى اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسموه التابة فيقال تابة الجاموسة وتابة الغنامة ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله فى زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما الطخوها بالجلة والوحل أيضا لاجل تمكين البنا وسميت بذلك لانها تاوى هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من أولاد الجاموسة أو الغنامة الذين هم رعيان الجاموس أو الغنم بدليل أنه سأل عنه الجماعة القاطنين بهذه التابة فلما علم أنه مشت منها باخبارهم له تشتت شمله وأدركه البكاء والنواح عليه بدليل قوله (مسحت دمعى بكرسابه وجلابه) أى حين علم أن محبوبه مسافر ومشى من التابة ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التابة لاحد أمور اما أنه انكسر على أبيه مال السلطان فهرب لئلا يأخذوه عنه رهينة أو أنه راح فى طلب عجلة أو بقرة أو ثور فشت فى البرارى لينظر ماذهب منه فسأل هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب الغلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هو عادة العشاق وأساوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه أيضا (كما اتفق) أن بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتى * يسيل المخاط على لحيتى
وليلك عندى اذا ما خربت * يكون لسانك فى ثقبتى
نسيمك عطل ماء السما * وأورثنى الكسر فى ركبتى
فان لم تغثنى بلطف الدوا * فان الهوى مسهل معدتى

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعى بكسر الدال المهملة جريا على اللغة الريفية أى لما حصل لى هذا الامر مسحت دمعى السايل مع المخاط الذى هو من لوازمه بكرسابة

فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه أيضا بجلاية أى أنه استعار له ممسحتين عوضا عن محرمتين وهذا مما يناسب عشقه لهذا المحبوب وأيضا فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما فى قطع الكرس وشيل الجلة وعجنها وارقها وكذلك المحبوب فالخسة على الضم والاشيا مناسبة لبعضها البعض اذ لو قال مسحت دمعى بمنديل أو بمحرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور أن يكون له محرمة أو منديل الا نادرا الا ان الظريف من أهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده فى كمه أو فى لحيته غالبا لك بغير مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك فى وقت سؤاله عن محبوبه لانه سأل عنه أهل التانية وهم دائما فى حالة رذلة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو أيضا فى حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم فى الخساسة ورئيسهم فى النجاسة ولا يتصور أن يكون مع أحدهم منديل ولا محرمة لان مناديل النجاسة فى الغيط ذقونهم ومحارمهم أكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده فى قرص جلة أو فى القلقيل أو فى الحشيش أو نحو ذلك (فان قيل) لاى شئ مسح دمعه بكرساية وجلاية وكان الاولى أن يمسحه بكمه أو بطرف كرته أو بشئ كان عليه من ملبوسه (قلنا) لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط أو كان عريانا كما هو دأب الفلاحين فى غالب أوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لا غير فربما كان وقت سؤاله عريانا فى حفر بئر أو قناة أو شيل زبل او جلة أو نحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل أو أنه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن أن الكرساية والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين أنهم لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بها أو أنه من الخضوع الفشروى والتذلل لمحبوبه أو أنه اراد أن يفهمه اذا رجع واجتمع به أنه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرساية أو بجلاية ليتحقق أنه محب له وأنه تعاطى لاجله أخس الاشيا والاولى أن يقال ان هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص من أولاد الفلاحين نشأ من حين ولادته الى أن يموت فى الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لا يجلس الا على النجاسة وربما أكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا أولاد خرا فكان مسحه بالجلاية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة أرباب التانيات واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وأفاق لنفسه وتيقن أن محبوبه يطول رجوعه اليهم ورأى نفسه جيعان ولم ير أحدا يرسله الى داره ليأتيه بشئ يأكله من الخبز الشعير والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين فى أخر مأكولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا الفلاح لاسيما اذا كان فى حالة حفر البئر أو شيل الطين أو فحت قناة أو شيل الوحل وتراكمت عليه الدواهى والتعب من عقب حفر البئر أو شيل الطين أو العشق الذى هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه وقد أبطأ عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وساخت

عليه نفسه لانهم يقولوا الجوع كافر (وسمعت بعض الفقهاء) لما خلق الله النفس سلط عليها أنواع البلايا وقال لها من أنا فقالت أنت أنت وأنا أنا فسلط عليها الجوع وقال لها من أنا فقالت أنت الله الذي لا اله الا أنت فكان الجوع على النفس أصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تأكل كثيرا تنام كثيرا فيفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت أن تحيا صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا

كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل أكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر أخبر عن نفسه وقال في مناجاته لربه (وشلت وجهي لربي قلت مولايه) أي لما طال على الزمن في حالة بكائي وفي صحبي الدموع وأشرفت نفسي على الهلاك من ألم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهي لربي أي رفعته وهذه لغة ريفية وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه أي رفعه وقوله لربي أي الخالق ومربيى ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة النظم وأما الهاء في مولايه فلاجل الروي ثم كان من ضمن دعائه أنه قال أطلب عنك ياربي ومولاى ان تيسر لى ما آكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذي أذهل عقلي وأجاع نفسي وأسال مخاطي ودمعي فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما أشار له بقوله (جاب لى رغيف وعجوره وقتايه) أي حضر لى انسانا أعطاني مجموع هذه الثلاثة وأكلت وسددت مجاعتي وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم (فان قيل) استجابة الدعاء لها شروط أن يأكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح في وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهي مسح وجهه بالكرساية والجلة ووقوفه أيضا ينتظر هذا المحبوب لاجل مايرفعه جنب المدود أو الجرن وأيضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ماذكر وهو الرغيف ومامعه (قلنا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج أو من باب ماورد ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل في قوله تعالى في حق سيدنا موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال قد أجيبت دعوتكما أي بعد أربعين عاما *(مسئلة هبالية)* ما الحكمة في ذكره في الابيات الكرس والجلة والرغيف والعجورة والقتاية وهذا لا يناسب ذلك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن أن يأكل القتايه والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره مما يناسبها فما فائدة ذكر ذلك مع أن فيه أنواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه نوعا من البديع فالكرساية واحدة الكرس والجلاية واحدة الجلة والعجورة والقتايه كذلك وذكر القتاية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى الجناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبال وأما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سألت عن الحب السؤال هو أن يسأل الشخص عن شئ وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من

السيل أو السيولة أو من السآلة ومصدره السؤال يقال سأل يسأل سؤالا والحب مشتق من المحبة أو من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء (وسمعت امي) وأناه غير تقول ناشي من شي بطني على بطنه زالمدلي يعمل شغله ولم أفهمه الابعد مراجعة أمي مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا (وقوله) شت مشتق من الشتات أو من الشبة التي تستعملها النساء لجر الكتان والتايه مشتق من التوهان أو من وادي التيه (وقوله) مسحت من المسحة على وزن المروحة أو من المسحة على وزن ديحة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلاية كذلك من معناها والكرسانة من التكرتس أو من كرس الزربية وقوله شاشت وجهي الشيل مشتق من الشالية التي يوضع فيها اللبن أو من الشلف الذي يشال فيه والتبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والمجورة من العجر أو من العجيرة وهي حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر يعجر عجرا وا قتابه مشتقة من القت الذي يربطوه الحصادين من الفلاحين أيام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفي البيت من أنواع البديع المقابلة لانه قابل وجهه بالكرسانه وقابل لحيته بالجلايه وقابل بطنه بالرغيف والعجورة والقتابه وهذا يدل على أنه كان مشغولا ببطنه أشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنوي أيضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم النشروي من غموم وهموم ومعاني عليها الخراطة وم لا يعرف الا بالذوق ولا يدرك الا بالشوق (ومن أشعارهم مواليا)

رقاص طحونتنا يشبه خلخالك * ورحينا في الزربية قالت اشعالك

الاوكلاف يتوق لي ياصي مالك * طور ابن شيخ البلد حاله كأحوالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على أربعة أضرب من التخابيط وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن لاهطن وطوله من غير حصر من شبرى لمصر وعرضه مع المسية من باب النصر للصليبة ومعنى ألفاظها الحويطة وحل معانيه العبيطة أن قوله (رقاص طحونتنا يشبه خلخالك) أي رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلي بالقصدير كما تفعله نساء الارياف أو من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذي شبه به صوت خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقاص ولهذا عرفوه بأنه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه به نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامه الا على تقدير مضاف أي صوت رقاص طحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك الخارج من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا أنها كانت تلبس في كل رجل حجلا كاملا لاجل ظهور الصوت (فان قيل) ان رقاص الطاحونة له حس مرعب عند دوران الحجر وله قرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يجعله الطحانون لاجل معرفة الناس أن

هـذا محل الطحن فيأتوا اليه للطحن فيه أولاجل دوران الثور أو الفرس فانه مادام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فأين المناسبة بينه وبين الخلخال وأيضا جعلها الخلخال مشابها الخشب فى غاية البعد خصوصا اذا كان الخلخال من الفضة فان الشئ انما يشبه بما كان مثله (فالجواب) أن هذا النطع لم ير الخلخال أصلا ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحون فتفطن بسوء طبعه وعدم ذوقه أن صوت هذا الرقاص لم يكن فى الدنيا أحسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته به لاسيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس أو الحديد فانما اذا كان كذلك ومشتبه محبوبته فان حسه يقارب فى السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف *وألطف ماسمعته فى طحان هذان البيتان

طحانكم قد زها جمالا * فما يطاق السلو عنه ورق خصرا فليت شعرى * بكم يباع الدقيق منه

وأحسن ماسمعته فى محبوب فلاح قول بعضهم

ربّ فلاح مليح * قال ياأهل الفتوه كلنى أضعف خصرى * فأعينونى بقوه

أقول هـذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان أفعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر أن هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فدحه فاتضح الجواب وبان الصواب *ثم انه أضاف الطاحونة الى نفسه لكونه كان ملازما لها أو قاطنا فيها ويحتمل أنها كانت ملكه أو أن هذا من باب بنى الامير الجدار ثم ما كفى هـذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذى لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه الخرا ماذكر من النظم الركيك والمعنى الدكيك حتى خيل له أن الرحا تخاطبه بالمقال وأنها تفهمه عن شرح الحال فأخبر عنها وقال (ورحينا فى الزريبه قالت اشحالك) يشعر هـذا الكلام بأن الرحا خاطبته وأنها سألته عن حاله وقالت له ماحالك اليوم يامسكين وقد وصلت الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له وأما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها ماهى فيه فى هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التى قبل حرف الروى منصوبة كان الخطاب له وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتى أن نصب اللام وخفضها لا يضر فى الشعر ويفهم من قرائن المقام أن محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا فى الزريبة فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا أى لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من أهله ثم انه لما علم من حالها أنها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبتها الحجارة وأنه يريد منها ما يريد الراهب من الحجارة أراد أن يعرّفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما

يتفق لبعض أصحابه واخوانه من الاثوار من نحول جسمهم من ضرب الفرقلة وتعب السواقي والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتاسى به ويتسلى بحاله فأتى بأداة الاستثناء فقال (الا وكلاف يقول لي ياصبي مالك) وفي نسخة بدل مالك والك بالواو (طور ابن شيخ البلد حاله كأحوالك) أي أن هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار أيضا وهو الذي يكلف البهائم والاثوار ويتعاطى خدمتها المار أي هذا العاشق ومقاساته للاهوال من أجل محبوبته وقد صار في حالة رذيلة خصوصا عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار وأذبله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى في فؤاده * اذا ما رأى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وأيضا رآه في حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله وشاهد ما هو فيه من النحول وشدة النحول قال له ياصبي مالك أو والك على الرواية الثانية لغة عند أهل الريف والمعنى واحد أي ما حالك هذا الذي أنت فيه وما سببه مقاساتك الخطب وانما خاطبه بلفظ ياصبي لكونه اعترته الصبوة أي المحبة والميل وسيأتي اشتقاقها أو أنه كان من صبيان البلد أي من شجعانها وقد أذله الحب وأنحله الغرام والمعنى انك لست مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك وأصابه ما أصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الذي هو أعظم الاثوار وأكبرها فان حاله الآن مثل حالك قد انحل جسمه واصفرت ذاته مما قاسى من التعب وما كابده من النصب وما أكله من الضرب على أضلاعه وما حصل له من شدة أوجاعه وهذا من باب التسلية والتأسي بالغير كما سبق وأراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح أنه في الغالب لا يضرب الامثال الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر آلات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذي هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك وأتى بهذا التشبيه الخسيس المبني على غير تحسيس ليناسب عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانه لئلا يخرج تشبيهه عن ماهية ما هو فيه لانه دائما في معاشرة البهائم والاثوار وكذلك محبوبته فاتجه الحال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول الرجال وقائله أثقل من الجبال وأما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص طحونتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة في عود من الخشب أو الحديد فاذا دار الحجر قرقعت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص على وزن القص أو من قرنه في البحر الغربي يقال لها مرقص ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص والطاحون على وزن الملبون والمعجون مشتقة من طحن القمح أو من الطحين ومصدره الطحن يقال طحن يطحن

طحنافهو طاحن ومطحون والخلخال مشتق من الخلخلة أو من الخيلاء أو من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة والرحى جمع رحا وهي حجران صغيران أحدهما مركب على الآخر الاعلى يدور على الاسفل وفي وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثاني يقال له القطب (قال ابن دريد) رحمه الله تعالى في مقصورته

وان سمعت برحا منصوبة * للحرب فاعلم أنني قطب الرحا

والرحى بضم الراء واحد تهار حا كما تقدم وهي مشتقة من الراحة او من الروحاء محل بأرض الحجاز أو من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحا يرحو رحا قال الشاعر

له راحة مشتقة من رحائهم * تروحني لما أروح الى أرضي

والزريبة مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربون فيها او يجعلون فيها او ربما يلون فيها أيضا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربا والكلاف مشتق من الكلفة أو من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الاصرد أو الجارية بعد بلوغها ودليله أن هرون الرشيد مر يوما بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها فانشدت الجارية تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف

الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هرون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف أو بلفظ التوار فيكون مشتقا من التيران ومصدرها العلف يقال علف يعلف علفا وقوله ياصبي مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاق الصبي من الصبوة أو من الصابون أو من قناطر الصابرني وتقدم تعريف النور لغة واصطلاحا (مسألة هبالية) لاى شئ أتى في النظم بالثور فقط وكان من حقه أن يأتي بالعجلة أيضا أو بالبقرة حتى يكون الناظم في مقام الثور والمحبوبة في مقام العجلة أو البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التي هي أبلغ في النظم (قلنا الجواب القشروى) أنه بينهم من ذكر الثور ذكر العجلة او البقرة كما أن ذكر عنتر بينهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض على الناظم في غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس ابن فلطس الذي قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاى شئ حصر الناظم الرحى والزريبة مع انها ليست معدة لذلك وانما هي معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم أنهم يبولون فيها ويحروا أيضا حتى يغرقوها فما الحكمة في ذلك (قلنا نعم) وان قلنا انهم يبولون فيها بيقين فان البول لا يدوم وربما كانت جوانبها سالمة من البول فجعلوا فيها الرحى لاجل الطحين أو يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المرأة منهن ثوابها دائما متضمخة بالجلة وغيرها في غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال (ومن أشعارهم)

مواليا) رأيت حريفي بفرقله يسوق تيران * لو كرّ أصفر على راسه كما اللبسان
يا ريتني كنت لوحدو ومن الحدوان * أو كان لي شلق فوق راسي من الكتّان

هذا المواليا من بحر التخريف ومعنى التخريف بالتقدير من منودلابي صيرو أما معناه الخارج عن الادراك الجارح لقلب ذوي المروآت الذي يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت ولا ربع فان قوله (رأيت حريفي بفرقله يسوق تيران) هذه الرؤية بصرية أي شاهدت ببصري لا بيدي ورجلي حريفي أي محبوبي وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريفي أي صديقي أو صاحبي أو محبوبي ويقول له يا فلان تعال حرفني أو لاقشني يا ابو واسعه أو هارشني يا أبو عريضة أو حارفيني يا مليحه أو يا ابو كاره او يا ابو كرّ ونحو ذلك من هذه الالفاظ وسيأتي كيفية لقشهم على المردو النساء في الارجوزة الآتية في آخر الجزء ان شاء الله تعالى وقوله بفرقله يسوق تيران يريد به التغالي في وصف المحبوب حيث جعله سواقا بفرقله لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التي هو فيها من لبس أو صنعة أو نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقا له (كما اتفق) أن بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فمر به يوما وهو يضرب به فأنشد يقول

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبي ضربا بالنواقيس
فقلت يا نفس أي الضرب يعجبكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

فانظر الى رقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا لحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغني الفلاح عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقله أيضا والفلاح عنده التيران في مقام الاولاد كما أن السواق عنده الفرقله أعز من أخيه وامه ولهذا تراها دائما على كتفه لا يفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كفى هذا العاشق الماسخ والهم الراسخ ما وصف به محبوبه من أمر تعاطيه الفرقله واشتغاله بسوق التيران وأنه عنده من أكابر الرعيان ومن أعز السوّاقين الاعيان حتى وصف ما على رأسه فقال (لو كرّ أصفر على رأسه كما اللبسان) هذا على حذف مضاف تقديره ان لهذا المحبوب كرّا وهو الشئ الذي يلفه على رأسه يشبه في لونه نوّار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بان له كرّا أصفر على رأسه يشبه نوّار اللبسان وأنه متميز عن غيره من السوّاقين والرعيان بهذا الكر فقل أن يلبسه أحد من جنسه واذا فرض أن أحدا يلبسه لا يكون كله أصفر كنوّار اللبسان بل ربما تكون أطرافه فقط من عفصرة أو معصفرة كما يفعله أهل الرياقة لاولادهم (فان قيل) لاي شئ شبه كرّ محبوبه بنوّار اللبسان ولم يشبهه بالزعفران أو العصفر أو نحو ذلك (قلنا الجواب) واضح وهو انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات

وانما يعرف ما تظهر صفرته من أصناف النوار مثل نوار البسان لانه فلاح والفلاح لا يعرف الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بقر فلقلة فكان الانسب أن يشبه كزه بما يعرفه والا لو فرض أنه شبه الكز بشئ لطيف أو وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال عن وجه هذا الاشكال ثم لما علم أن محبوبه دائما يمشى بحدوة فى رجله اذا احتاج الى حرث الارض أو حصاد الزرع أو الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى أن يكون حدوة فى رجليه من الحدوان فقال (يا ريتنى كنت له حدوة من الحدوان) أى يا ليتنى فأبدل اللام راء على لغة أهل الريف كما تقدم أكون دائما حدوة فى رجليه ولو كان بها النجاسة حتى أتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف فانظر الى قلة عقله وصقاعة لحيته حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان بل هو جدى من الجديان وأرذل من هذا التمنى فى هذه الابيات قول بعضهم فى المدرجات يا ليتنى كنت له سنداسا * أو كنت فى أقدامه مداسا فتمنيه فى الشطر أشنع من تمنى هذا الفلاح لان السنداس أشنع من الحدوة لانه محل الشئ المستقذر ثم الشطر الثانى من قبيل ما نحن فيه * ثم ان هذا الفلاح لما لم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى أن يكون محبوبه مرفوعا على رأسه فقال (أو كان لى شلق فوق راسى من الكتان) الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف أو الكتان وربما سمى أهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان فى رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه لاجل ما يعصب راسه به اذا اشتد وجعها من ألم الصداع أو الضارب أو الدواهى والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله * فان قيل اذا كان هذا العاشق قصده أن يكون محبوبه فى صورة شلق من الكتان يربط به راسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائما فى تعب منه مع أن العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع الشروى لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائما فوق رأسه مرفوعا لان الرأس ما رأس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق أحد من العشاق فى التواضع أو أنه من قبيل الاشتغال به بربطه على رأسه وعلى الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لرأسه وللحدوة التى فى رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلى وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى ما لا طمع فيه على حد قول بعضهم

ألا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(مسئلة هبالية) لاى شئ تمنى هذا العاشق أن يكون حدوة ولم يتمن أن يكون وطا مع أنه المناسب وربما كان ألطف وأظرف من الحدوة وأغلى ثمنا والحدوة فيها يبس وعجرفة أكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويتبسله خصوصا فى أيام الاعياد ونحوها والمحبوب لا يليق به الا الشئ النفيس فما

الجواب

الجواب (قلنا الجواب) عن هذا البحث القشمروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحرّاث لا يليق به المشى فى حالة الحرث الا بالحدوة وأيضا هى أكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها فى الارض المحروثة فى سروحه ورجوعه وفى شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها أكثر والقذارة أوفى وأوفر فتكون بمقامه أنسب وأوفق بحاله من الوطا وأقرب وأيضا هى المعهود والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح أنه لا يسرح ولا يروح الا والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل فى نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا العاشق أن يتمنى أن يكون له حدوة لانها عنده المحبوبة المألوفة فهى أحسن من الوطا وأيضا العاشق من شأنه أنه يحب ما يألفه محبوبه ويهواه ومن شأنه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لا يليق بالمقام كما قال بعض الملوك فى جاريته وكان مغرما بها ومشغولا بحبها

أيا ربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال أنت لا بد لى منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال هرون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسيات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة أخرى) فان قيل كان من حق الناظم أن يقول (أو كان لى شلق فى وسطى محزم به) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان أو الليف والحبل لا يكون معدا الا للحزام أو لربط شئ ونحوه وأما وضعه على الرأس فنادر قليل الحكمة فى ذلك (قلنا الجواب) عن ذلك أن الشلق وان كان معدا لما ذكر الا أن الغرض للناظم خلاف ذلك وهو أنه يريد رفع محبوبه على رأسه حتى يصير فى أعلى مكان وأشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وأيضا يمكن الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين أنهم يلفوا على رؤسهم الحبال اذا كان فى شغل دق الكتان أو فتل الحلفة فيجعلوها مقام الكرة ويربطوا بها رؤسهم ويحتفلون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم وأما اذا جعلنا الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق راسى من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب (شرح لغات الابيات) قوله حريفى مشتق من الحرفة أو من الحرافة أو من حروف الهجاء أو من حرف الماجور (قال الشاعر)

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح فى القاموس الازرق أنه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدرها الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة أو من الفرقال على وزن المثقال أو عبيد الزبال ورأيت فى القاموس الازرق والناموس الابلق أن

الاصل في وضعها الطراشة التي تلعب بها الخلايبص في السامر وعملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها في الاصل فرقيعة وان الذي صنعها اصار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل وأضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته وأقاموا الضمير المذكور مقام هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك علما في هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة كما قالوا مثل ذلك في بعلبك ومعد يكرب ونحوهما من المركبات المزجية (فان قيل) اذا كان أصل الفرقلة الطراشة فلاى شيء ترك الناظم الاصل وأتى بالفرع والاصل أشرف من الفرع الا في بعض مسائل ذكرها العلماء (قلنا) انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقا فالبهائم وهو من أولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم * ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة * وقوله يسوق على وزن فسوق مشتق من السواق أومن الساقية أومن السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة (قال الشاعر)

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وسقس لقدود رد

* والكر ما يلف على الراس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكر كرة على وزن الخرخرة أومن الكراويا أومن الكرب أومن كر الشيء اذا حله يقال كر عرضية فلان اذا حلها من على راسه ومصدره الكر يقال كر يكر كرا * وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع في البرسيم له ورق عريض يأخذه أهل الريف وينزعوا أوراقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسموا مجموع ذلك كبر باللبن وسيأتي ذكره في كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه أصفر وزهر الكتان أزرق (قال ابن سودون)

زهر الكتان مع اللبسا * ن هما لونان ولا كذب كيهود في دير خلطوا * بنصارى حركهم طرب

وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نواره بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وربما اشتبه أيضا بنبات يسمى فسا الكلاب وورقه أيضا يشبه ورق اللبسان وفسا الكلاب فيه يقين منافع مذكورة في منافع النباتات أومن بئر اللبسان وهي بئر مشهورة في أرض مصر يطلع فيها نبات يدخل في علم الصنعة الالهية ويقال ان هذا البئر هي باب الكنز الذي تأتي اليه الحبشة وتأخذه في آخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا * والحدزان على وزن الجروان واحده الحدوة وهي جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكها ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقة واذهاب الحفاء والعياء عن الرجل ونحو ذلك ومصدره الحدو يقال حدا يحدو حدوا وقيل مشتقة من الحداية وهي طائر معروف من الفواسق الخمس التي جوز الشارع قتلهن (فان قيل) ان الحداية من شأنها

الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها (قلنا) هنالك أدنى مناسبة وهو أن الحدوة اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا وطرحته اذا أسرع صاحبها في المشى فكان هنالك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه (فائدة) ذكر صاحب القول المهاب في وصف الغراب واقعة عجيبة وهي أن بعضهم افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيأ فعبس في وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فرغ وجهه على الارض ودعا الله تعالى واذا بحدأة ألقت عليه شيأ فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تساوى جملة من المال فأخذه واتجر فيه وصار في يسر الى أن مات فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه * ورأيت في القاموس الازرق والناموس الابلق أن الحدوة مشتقة من الحدادى واستشهد على ذلك بشاهد فشروى فقال

والحدوة اشتقاقها قد صححوا * من الحدادى فاستمع ما رجحوا

والحدادى على وزن الجنادى جمع حدابه * والشلق مشتق من الشاوق أو من الشلقة أو من الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال شلق يشلق شلقا * والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل) لاى شئ تمنى أن يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص أو حلفة أو نحو ذلك (قلنا) لعل شلق الكتان أقوى من شلق الخوص والحلفة أو لعله من باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فهما لا يعرفان غيره فأتى بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدى لناسب أن يأتى بشلق الحلفة لكون الصعيدى يألفها ولهذا يقال صعيدى مصاص حلفة أو كان خواص لناسب أن يأتى بشلق الخوص فاتضح الجواب وزال الاشكال وتم المقال وقد انتهينا مما أردناه من شرح بعض كلامهم ودشهم وقشارهم وحل لغاتهم بلا مرا وكشف معناه الذى يشبه الخرا الذى لا يعرف الا بالذوق * ولا بد أن نأتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل ويقول الشعر وهو ذاهل (فمن ذلك) ما اتفق أن هرون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف أخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا بارعا فى النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدرى النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدى أشعر من أخيه وأقوى جراءة وأشد فكرة ومعرفة فى النظم والنثر وان شاء الله تعالى فى غد أقول له ينظم الشعر ويعرضه على أبى نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة فى غد ان شاء الله تعالى نسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار أرسلت خلف ولدها الامين وأخبرته بالقصة التى وقعت بينها وبين أبيه وألزمته بنظام الشعر وأن يعمل أبياتا ويعرضها على أبى

نواس فأجابها الذلك واعتزل فى محل خال عن الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته الباردة حتى عمل أبياتا يأتى ذكرها تشبه رص القلقيل ثم انه أتى الى أمه وأخبرها ففرحت وأرسلت الى أبى نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدى الامين فقد صار ماهرا فى الشعر بارعا فى النظم فقال له أبو نواس أسمعنى ما قلت فأنشد يقول نحن بنو العباس * نجلس على الكراسى

فقال أبو نواس نعم وأنتم لذلك أهل ومحل وأنتم أصحاب الرتب العالية كل الابيات فأنشد يقول

نقاتل الاعادى * بالسيف والمزراق

فقال له أبو نواس أتلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وأمر بسجنه فسجن أياما فتفقده الخليفة فقيل له هو فى السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فأحضره وأحضر الامين وسأله عن السبب فأخبره بالقضية كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا أنه رأى فى شعرك خللا ما عابه فقال أنا أنظم غيره وأقوله قدامك حتى تنظر نظمى ونباهتى فيما أنظمه فقال له افعل ما بدا لك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجوارى ولم يبق أحدا عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل أبياتا وأتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك أبو نواس فقال لهم اسمعوا شعرى فقال أبو نواس تكلم بما قلت فأنشد يقول

يا قاعده فى الاربع * ما مثلك فى الابلد شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل

والسمن فوقك سايح * مثل الحصان الابلق

فلما سمع أبو نواس هذا الكلام قام يجرى فقال له الخليفة الى أين فقال الى السجن يا سيدى ولا أسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فحقق والده زبيدة بلادته وبكتت (وأسمج) من هذا النظم ما قاله مرجان الحبشى وكان أميرا بثغر اسكندرية وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه أيضا وها أنا أسرد لك هذا النظم الخسيس محو با بالتخميس وهو

يا رسول الله قل من الناس المعروف * أصبحت بينهم مثل الطير المنتوف

بعدما كنت مثل الخروف المعلوف * يا رسول الله أغثنا غاثة الملهوف

لقد أضرت به أشرار من اللكماء

يا رسول الله ما عادفى حد خير * يا رسول الله ما بقوا ابو قرواص غير ولا كبير * يا رسول الله كن لى منهم نصير

يا رسول الله أصبحنا بينهم مثل الحمير * وهم يسوقونا بالعصاء

يا رسول الله احنا من رعيتك * يا رسول الله احنا من جملة أمتك * يا رسول الله احنا فى جيرتك

يا رسول الله بحق صحابتك * أجرنا من النار لها سعراء

وأنا أمدح نبى ربه استخاره وعزه * يا ما غزا الكفار بعسكره وغزه * ومن صلى عليه ربه لم يخزه

وقدعرج به ربنا وعزه * وقدرأى من آيات ربه الكبراء

ضاهيت بها همزية الابى صيرى * والفرق بينهما يلوح للتحرير * وانظر الى الصير هومثل البورى
والاجبل مصر مثل الطور * والاالصقر الصائد مثل البوماء

أنا انتخبت ألفاظها من القاموسا * ومن عارض نظمى فى لحيته يلقى موسا * ومرله فى الادب رتبة أو ناموسا
لابد أن يميز بين الجاموسا والناموسا * وأولاد الحلال ماهى مثل أولاد الزناء

نظمى هذا ماهو مثل نظم الناس * نظمى هذا مثل درة فى كاس * ومن يسمع نظمى يقول دهاس
قد فقت فى النظم أبو النواس * أنا مرجان والحبشان لى آباء

أنا مرجان والى اسكندريه * وأدرى بحور النظم بالكليه * ومن عارض نظمى يلقى بليه
أنا أصبحت مثل الشمس المضيه * ونظمى مثل نظم أبو العلاء

نظمى مثل درة فى حق * لهفى على فتى عارف محقق * هو ابن المخاض مثل بنت الحق
ولا النمل السباعى مثل البق * وأنا أصبحت مثل القط أصطاد الفاراء

أنا أصبحت مالى فى نظمى نظير * ولا اضاهى قولى لا كبير ولا صغير * وأنا اعطانى ربى الخبير
أنا مرجان الحبشى الامير * استخرج الدر من البحراء

وأختم قولى بمدح طه الزين * ياسعادة من زاره فى حنين * وقبل حجرته وشاف بالعين
وقال له ياجد الحسن والحسين * اشفع لمرجان ينجو من النار اء

فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله به وظن هذا الغبى البليد أن نظمه فى غاية البلاغة واستحكام الصناعة مع أنه أجهل من الحمار وأجمد من الاحجار * ورأيت له أيضا نظما أثقل من الحجارة وأنجس من ماء الحرارة قد حكى فى ترتيبه القلقيل فى الرس وفى رؤيته ذقن العرص عارض به لقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب الربانى والهيكل الصمدانى سيدى عمر ابن الفارض نفعنا الله ببركاته فى الدارين

سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها * كميت من الكرم ختامها مسك
ودارت علينا سقاة فى يدها كؤس * كل ساق منهم يحكى لنجمة الفلك
ويا ما شفنا من خمرتنا ورأينا من سكرتنا * أمور محتبكات ومرتكبات ربك
وشاهدنا العجائب ورأينا الغرائب * واندكت جبال الناس من أطوار نادلك
مدامتنا هذى تعلو على مدامة الفارضى * وأين الثريا من الثرى ولعمرى بعيد من الدرك
مدامتنا ما مثلها فى الكون مثل * ولا عند الرهبان والقسوس وأبناء الترك
مدامتنا هذه من ذاقها فى كأسها * قال من طعمها هذه مثل السمك
ومن أوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر * لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يكو

ومن أوصافها كان ان شربها ضعيف * طاب لوقته ولم يعد قط يشكو
ومن أوصافها ان مرمن كوم على ديرها * وشم ّرائحتها من بعيد خلص بلاشك
ومن أوصافها ان صبت فى قارورة صبا * تشا كل الامر وراح الطرف من حسنها يحكو
ومن أوصاف خمرتنا ان شربها أبكم * لترجم بكل لسان مثل سنا الملك
وقد شرب منها مرجان شربة * فأضحى بها هائم فى الكون بلاشك
فدونك مدامتنا الا تحود عن شربها * ففى شربها يا خالى البال الحلك والدلك
وفى شربها فى حانها وسط مجلسها * من يد ساقيها السعد والملك
وأختم خمرتى هذه بصلاتى وسلامى * على نبى عربى جاه الجل يشكو
وعلى آله وأصحابه كلما حطوا الحجاج * عند سيرهم الجول وفكوا

فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخمرية وفرنها لكون ناظمها قلب طولها فى عرضها * وقد اتفق أن بعض القضاة من الاروام قال للنائب نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب أسمعنا اياه فقال

شين الشرع لها شاره * وتقطع مثل المشاره

ما تقول أيها النائب فى هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد أن ضحك عليه وأشار بكلامه اليه وأنا الآخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضى تكلم أيها النائب وصاحب الرأى الصائب فقال

سعيده كانت مزاره * وتحب طبخ البيساره

قال فهام القاضى طربا من كلامه ومن شدتما أعجبه من نظامه وأعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه فى عز واكرام وهيبة واحترام الى أن عزل وأدوات سفره قد حضرت و ودعه النائب بقوله فلا رجعت * وكتب بعض البلداء ممن يدعى النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلى مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هندو عن أخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما الان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لا يأكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير أنه كان يغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل التستر على أحواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فأرسل اليه يقول

بعد أزكى السلام منى نهاضه * لحبيب يحب دون بغاضه
اسمه السلسيلى والشيخ محمد * زادك الله فى الانام رياضه
أنت فى ذا الزمان قمح غزير * وسواك الانام مثل النفاضه
أنت أرسلت فى الكتاب بتسأل * عن عريب فانها لمن ياضه

وهنـد زادت عن الكل عجبا * بسواد العيون لا بالغلاضـه
من يحب الملاح يسلى الدراهم * وعهد نا ما تملك شى قراضـه
وأنا اسمى راز قى الشيخ محمد * ألضم القول أطرزه بالنضاضه

فلما قرأ الشيخ هـذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها الفقيه يقرؤها له لانه كان بصـرافينشرح ويزول عنه انقباضه * ويقرب من هـذا النظم المرثية التى رأيتها لبعض الشعراء البلداء فى رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فأحببت أن أثبتها لما فيها من الابيات المجرفة والمعانى المقلحفة وهى هذه

أحمـد الله لطيف اللطفا * فى ابتدائى بمـديح صـنفا
وعـلى أزكى البرايا كلها * صـلوات الله جاءت بالوفا
وعـلى الآل جميعا كلهـم * وعـلى اصحابه والخلفا
بعـد هـذا ابتدى مرثية * فى امـير مـوته قـد حتفا
جاءه الموت سريعا عاجـلا * وعليه عزرئيل عكفا
بعـد ما مات بلغنى مـوته * عنـدها دمعى بعينى دلفا
ودموعى من عيونى قد جرت * مثل ما تجرى سواقى مرصفا
قلت لما مـوته قـد جاءنى * صـائحا يا اسـفا يا أسـفا
مات من فى الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم مات الارض كادت أن تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعـده * ونبات الارض حقا قد جفا
كم له وسط المدينه سمعة * كالصناجق بل وأعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حين تنظره العـدا ترتجفا
قـد تولى وانقضت أيامـه * يانعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع أمواله قـد قسمت * أخذوها أهل الطمع بالجزفا
لما ذا الأمـير أتانى نعيـه * خفـق القلـب له وارتجفا
والاعادى فـرحوا فى موته * لاجـل مال ينهبـوه جزفا
من معادن فضـة مع ذهب * وكنـوز أخرجوها قففا
ورثوهـا بعـده أعـداؤه * فرقوها اليوم بفـرد العلفا
من جواهـر لاتضاهى كثرة * لامعـات نورها قـد رصفا
ويواقيـت زبرجـد لؤلؤا * ودلاس سابغـات رعفا

قدرت في بيت مال عدّها * ألف الفي ألف الفي مقطفا
وعلى الكاشف منها أخذا * بعد ما أسرف فيها مجحفا
أودعوها بيت مال بعدما * أخذ الكاشف منها واكتفى
كم أتى في بيته من مرأة * مع بنات لابسات الغدفا
ثم قد نحن عليه حزنا * وعليه الناس صلت صففا
كم أمير جاء في تربته * ووقع فوق التراب الشقفا
كم فقيه جاء في موته * وتلا ياسين ثم الزخرفا
يا ترى قدمات بالبطن اذى * أو وبا او بالرعاف ارتعفا
ليتني شاهدته في كفن * ذي بياض حين فيه لففنا
ليته لو عاش قرنا كاملا * لكن الموت عليه زحفا
يا ترى من عاد يخلف بعده * في مكارم قل فيها من وفى
فعسى يأتي حسين بعده * يفتح البيت ويسقي منصفا
ليت شعري لو تخلف بعده * وتكرم مثله كي يخلفا
حيث أخلى داره من حسه * رائد الموت عليه عطفا
هكذا الدنيا وأما طبعها * تقهر الناس وتأتي بالجفا
كل ما فيها تراه زائل * تنقلب بالغدر مثل المجرفا
ليس يحجبني الامارة كلهم * كالامير ابن الخواجا مصطفى
كم غمرنا احسانه مع جوده * كم عطايا زائدات بالوفا
كيف لا أبكي على من جاد لي * بعطايا ما عطاها خسرفا
رب فارحمه وخلي بعده * امه والست وابنه يوسفا
قد توفي في جماد الاول * سادس الشهر خميسا شرقا
عام أرخ من ثلاثين مضت * بعد ألف من سنين تعرفا
بعد هجرة من أتانا رحمة * بالهدى أزكى البرايا شرفا
يا الهي اغفر لناظمها اسمه * عابد الرحمن وابنه يوسفا
جده يسمى محمد مغوري * فارض عنه بالطيف اللطفا
وارحم الوالد وأجداد له * والامير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتي وسلامي دائما * للنبي والآل أصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قرية من قرى الكفار فقال له أطال الله بقاء الملك أنا فلان بن فلان عاش أبي من العمر ستين سنة وعاشت امي

أربعين سنة وأنا في سن الخمسين سنة وقد عملت لك أبياتا تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التي ما كتمها
ثم أخرج له رقعة مكتوبا فيها

قد فتح السلطان بلدة * وأتى بسعد البلدة فلما فتحها أرختها * حا كاف في شهر ذي القعدة

فقال له الملك لم أر أبرد من كلامك الاشعرك ومن نثرك الالحيتك قال فخجل الرجل ومضى الى سبيله
(أقول) قد سبق لك أن هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب
الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر أن يعرض قصيدته
حتى يهذب ألفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال
بعضهم في ذلك لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها

فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوسا تهذي بها

* وعشق بعض الفقراء غلاما فأراد أن يحاويه فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة
وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وأراض بعيدة وأماكن صعبة شديدة
ويدخل بين الجمع ويشخص ببصره الى السماء فيقول الحاضرون شي لله ويقول لهم انظروا
يا محجوبين الاولياء وهم طائرين فوق النجائب وقد أقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه
ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء فلما رآه الغلام على هذه الحالة اعتقد أنه ولي وقال في نفسه أنا لي
مدة أخدم شيخي ما رأيته شاف نبي ولا ولي ولا أخبرني بشيء من هذا الا يقول لي صلي وصوم وما أشبه
ذلك والاولى أن أخدم هذا الولي الفقير لعله أن يطلعني على الاولياء والنجائب الطيارين داعماتي
الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه وأقبل على هذا الشقي وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولا زلت
سامعا واعلم انني تعبت من شيخي وهو يقول لي صوم وصلي واعبد ربك الذي لا اله الا هو ولم أر منه
بركة ومرادي أنظر الاولياء الراكبين النجائب الخضر فقال له هذا الشقي اعلم يا ولدي أن الطريقة
ليست بصوم ولا بعبادة فأنت تريح نفسك من هذا التعب وأنا أصب لك عمود النور في بطنك فتنظر
سائر الاولياء من وقتك وتقبل على النجائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوي والسفلي
فقال له الغلام فتى تصب لي عمود النور هذا فقال له حتى أدبر لك ماء الحياة وأستقطره فقال له
يا سيدي شي لله وما يكون ماء الحياة هذا فقال له شيء أبيض يجري في قصبة الذكر عند وصول الوجد
للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيأ من هذه الامور الذميمة
فقال له ذلك الشقي الممقوت قم بنا على الخلوة فأخذه ومضى الى أن صار وافي خلوة التعس والنكس
والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدي على بطنك حتى أصب لك عمود النور فعند
ذلك انطرح الغلام على بطنه وصار هذا الشقي يترجم ويبرجم ويهمهم ويرغي ويزبد ويظهر الزور
والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت في

قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار فحطه على باب تلك القبة المشيدة الاركان المزخرفة الالوان ودكه فيه فلم يمنعها الا الخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يفلته حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزناً أن لا نجائب عنده * ولا الاولياء الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وأمسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط (وحكى) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى أنه كان سائراً بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلاً مقتولاً بجنب حائط والدم يجرى على أوراكه فوقف ساعة ينتظر أحداً فلم ير أحداً ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلاً فقيراً قائماً يصلى وقدامه ابريق وفى رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى أتم صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد يا شقى تلبس على الله وعلى الناس ما هذا الخو يشتو تقتل النفس التى حرم الله قتلها فلاى شئ قتلت هذا الرجل الذى مررنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع الى الله تعالى ويدعوا على الذى قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فرأوا معه السكين الذى ذبح به هذا الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما أنت فقير بل أنت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخوانى الى هؤلاء الفقراء المتزندقين وأعمالهم الخبيثة التى لا تحصيها كتب ولا دفاتر ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة فى الدين والعبادة على اليقين وأن يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخالص النيات وترك المحرمات فى مواضع الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول اللهم احشرنا فى زمرتهم وتحت لوائهم آمين يارب العالمين (وسمعت) بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة وهو أن البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وأن الشخص جنته وناره وحسابه فى نفسه وأن الدنيا لا تفنى ولا تزول وانما هى شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول أبى العلاء المعرى

أتى عيسى فأبطل شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبى بعد هذا * فضل القوم بين غد وأمس
ومهما عشت فى دنياك هذى * فما يخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتى * وان قلت الصحيح دخلت رمسى

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه وما تدخلت فى جسد من الاجساد فى آدمى أو فى حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التى كان عليها أولا وهكذا سائر العوالم

فانظروا

فانظروا يا اخوانى الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى (ويحكى) أن رجلا صالحا أضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من الأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى أن تكلموا فى القران فقالوا لهذا الصالح أتزعم أن القرآن كلام الله فقال نعم ومن شك فى هذا كفر فقالوا والله ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم وأخرجهم من منزله على أشأم حال نسأل الله تعالى السلامة فى الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت أعتقده فجلست معه يوما فتكلم فى فضل العبادة فقال لى يا سيدى ألى عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدى أحمد البدوى نفعنا الله به وقال كن لى يا أبا الفرجات وتقبل عبادتى ويسر لى رزقى فقلت له ما هذا الكلام لا يتقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدى أحمد البدوى رجل من أولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد أشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له فى ملكه فقال لى يا سيدى انما أفعل ذلك عن شيخى الذى كان يقول لى قبل موته اقصد بعبادتك سيدى أحمد البدوى فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها فى هذه المدة فاسدة باطلة ثم انه أدركته العناية فتاب على يدى وأنقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله وأخلص فى عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قدهام فى الجمع وغنى فقال

ياهايما خدمن خراطيز كلبتى * والطخ حالك والخانسر ين وورالك

(وعشق) بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل أشقى منه وعرض عليه حاله وشدة محبته لهذا الغلام فقال له ذلك الشقى خذ مصران غنم واملأه زيتا والفه على بطنك من داخل الثياب وقف فى وسط الجمع ودردش باللسان وخبر عن الشام وعن الزيتون وأدخل يدك بلطافة وأنت بجانب الغلام وحل المصران وخذ فى يدك شيأ من الزيت وارفع يدك فى الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت فى جيبك زيتونة خضراء فأخرجها بلطافة وأرها للغلام وللناس فيعتقدون أنك ولى من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا أتاك وقال لك علمنى الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنى ولا يصح تدبيرها الا فى الخلوة وادخل عليه بهذا الحيلة حتى تقتضى منه المراد قال ففعل ما أمره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش باللسان وأخبر عن الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده وأظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شى لله وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له يا سيدى أكون معك وأطلعنى على الكرامات والولايات

بقاز له ياولدى الولاية لاتنال الا بالنقطة الخارقة فقال له ياسيدى ومتى تفعل ذلك فقال له ياغلام هذا لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة أحد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فأخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام فكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فمانعه الا الخصيتان فصاح الغلام الامان الامان ماهذه ولاية قاتل الله الابعد ثم قام من عليه بعد أن قضى مراده وتحقق الغلام أن هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا معا حتى اتفق اجتماع فقراء فى مولد فقام هذا الشقى بجنابته فى الجمع وترجم وهمهم وقال

علونا على قبه مليحه مرخه * وصبينا فيها من النور جانب

فأجابه الغلام بقوله ماعدت تنظرها من اليوم ياقبيح * وماعادلك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا أن الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى ورقى عليها وأن الغلام فات مرتبه وحجبه عنها وفاق على شيخه فى الولاية والحال أنه مارقى الاعلى هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصب فى تلك القبة الدمعة الخارقة الحارة الدافقة وقبل الخدود ودفع فيه العمود فهم فى سكرتهم يعمهون قاتلهم الله أنى يؤفكون وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الفتى فى حجره والده وان * تدروش قام النائكون وراءه

أى ان احتوى عليه جماعة من الفقراء أو من طائفة المجدين المحلقين اللحى أو غيرهم من خواسر العوالم قاتلهم الله تعالى أفسدوا عقيدته وشغلوه عن الدنيا والدين ودار معهم فى التعاسة والخرى والنجاسة حتى تطلع لحيته فيتركوه خرابلا ذوق لادمى النيك يشبع ولاس المال يجمع ومنهم طائفة لايطلبون الامرد ولا الملتحى وشاب ويتناوبون ويظنون أنه الصواب بقول من قال

أشهاه طفلا فى القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال آخر بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى زان من يحب الغوانيا

فقل لاصحاب العماء تعقدنا * فلا أنا لوطيا ولا أنا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا فى المحبة ولوكان فى العشق فان الامرد اذا جاوز ثمانى عشرة سنة تجتنبه الذنوب ولا يرغب فيه الا وقت القل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وطهرت لحيته وتغير حاله وعمه الغم وخفى الخال الذى فى خده وصار وجهه مثل قفاه وتلى عليه لاحول ولا قوة الا بالله وقد قيل فى المعنى

الملتحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا

سر والله ناظرى * مذرأى ذلك الشقى شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * أذهب الله حسنه والجمالا

طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

(ولوالدى) عفا الله عنه فى المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

فاربت للطلوع فى الحذق * أثرت ظلمة قبيل النبات

كانتشار الظلام فى الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

(وقال آخر)

ما فعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود ولا بفرعون مذ عصاه * ما فعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من أبناء العشر وذوى اللطافة فى الطى والنشر فاذا بلغ خمسة عشر صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولواحظه لعذاله ملسنة وهذا هو الغرض والمرام عند أهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فان حبهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بادية وضلالتهم عادية واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة ومن فعل هؤلاء الطوائف الذى ابتدعوه والامر القبيح الذى اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال أنها اذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله أربعة أبالسة كانهم من جنس القساقسة أو من دير الرهبان أو من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة أنفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به فى بعض المحال يقرؤن فواتح وتضيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم فى غبرة وعفرة كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما صار وا به من بلد الى أخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم فى خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شى لله يا شيخ فلان وربما زغلط النسوان ورمين عليه الطرح بقدر الامكان * وأخبرنى بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيان انهم مكثوا دائرين بميت من أول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس هذه فانظر رحمك الله البدعة القطيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التى ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هى اثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل أن يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر

وأن لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وأرباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من أعجبك حاله ودلك على الله مقاله ولنختم هذا الجزء بارجوزة تتضمن ما ذكرنا فى هذه الاوراق وما عاينا من أحوالهم بالشاق كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدى دائما وشكرى

ثم الصلاة والسلام أبدا * على رسوله الكريم أحمدا

كذاك كل آله وصحبه * ومن قفا بعدهم من حزبه
وبعد فانى ناظم أرجوزه * لطيفة مفيدة وجيزه
تخبر عن حال ذوى الرذاله * كذا عوام الريف لا محاله
فخذ هداك الله ما أقول * فى نظمها وعنه لا تحول
اذا أردت وصف أهل الريف * أهل الشقاء وذوى القحوف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديموا العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا
فاعلم هداك الله للصواب * لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا لفضل منه حقا تعرفه * ولا لامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل * اذ ليس للامر الشديد يحمل
وليس يرجى لقضاء حاجه * بل دأبه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * أو تتخذه سيدا أو جاها
تصير فى خدمته والنفع * فى الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما أردت منه تخلص * يرميك فى هم له ينغص
فاسمع لقولى ان ترد فلاحا * لحاجة فاترك نجاحا
ولا تؤمنه على معامله * فليس يعطيك سوى المماطله
وان تردعه سريعا يختصم * يقول لك حتى أسد الملتزم
وان بقى شئ من الزرع فلك * خذه والا لا تطول أملك
وان أطلت معه المحاججه * أتاك بالشر مع الملاكمه
ويصحب النبوت والحزاما * ويلزمك بماله الزاما
وربما يقول للملتزم * هذا يريد أن يزيل نعمى
ويأخذ الزرع بذلك الحيلة * والمال يبقى بأمير بلدتى
وأخرب سريعا سور الارض * من حق فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين * عنه ويمسى حائرا فى شين
فليس فيهم أبدا نجاح * وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعه * وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونطهم فى الوحل ثم الجله * وشربهم للثور ثم العجله

تسيحهم قم رح بنا للساقيه * واحسب لتامال البلد فى الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه * شعرته من طولها ملفوفه
وان لحفر البئر يوما قصدا * ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستر * بل ايره مخطط مطرطر
وماسه للحر والبرد برز * وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف * مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم فى الطر * فى حالة البرد ووقت الحر
ونطهم فى الحر بالغيطان * كنط الوحش فى الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ * مثل عفاريت أتت فى الغيظ
وان يريدوا المزح والملاعبه * مثل نباش قد أتت محاربه
تلقى لهم حينئذ زعيقا * تحسبه يا صاحبى نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد * فى عفر وغبرة وطرد
وان تجمعوا تلعب الكوره * تراهم فى غارة وغوره
من كثرة الصياح والزعيق * والجرى فى الزقاق والطريق
أولادهم ان لعبوا المداره * أوجلسوا للرقص والزماره
أوسرحوا بقصد جمع الجله * أوالتقاط سبل أورجله
مثل عفاريت أتت فى زوبعه * أوفرق من القرود الجائعه
صنائعهم اذ يلعبون فائح * كأنهم بهائم سوارح
وان هم فى حاجة تعللوا * وعلل الصبيان تلك العلل
وان أتت مواسم كالعيد * تراهم فى النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء * فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر * وان تشأ فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت * مثل قرود فى القيافى أقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه * ان قال شخص بالضد الذمه
شخص يميل منهم لسعد * للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام آخر يميل * يصيح فى اغرائهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا أنفاسه
فذا يصيح بالسعد أسعدوا * وآخر يا لحرام أنجدوا

فذانك الاقطان دون لبس * عندهم أمر بقتل النفس
فيخربون الارض بالغارات * ويرصدون القتل فى الطرقات
وان أتتهم للقتال عسكر * فروا الى جبالهم واستتروا
وعند ما عادوا الى البلاد * عادوا الى الشر والفساد
فما جزاهم غير قطع الرأس * وشنقهم وضربهم والحبس
فقسوة القلب لهم طبيعه * وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم فى الحر من غير وطا * ونومهم فى الغبط من غير غطا
وطرحهم فى ظلم الليالى * فى الجرن يا صاح أو التلال
قد يبست جلودهم فى الحر * كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم فى الطين ثم الوحل * وضربهم للنورج ثم العجل
وحفرهم فى البئر والسواقى * ومشيهم أيضا بلا طواقى
ومنهم من لا يزيل شعرا * والرأس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شاربا أو لحيه * ولا ينظف قلبه من خريه
وشدة فيهم على الخناق * منها يطول الشر باتفاق
وضربهم للاب ثم الام * وصبرهم للجسر ثم الطم
وأكلهم فى العدس والبسله * كمثل أكل كلبة أو عجله
ومن تراه منهم يصلى * تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس * ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جثا يوما على الفسقيه * تجد له طيزا كما البرنيه
كذاك من يجنبه وآخر * وذا مخاصم وذا مشاجر
وان أقام عندهم ذو فضل * فهو حقير عندهم فى ذل
ولن يطيعوا الشرع الا غصبا * أو يوجعوا الاجل ذاك ضربا
وهم عبيد قابض الاموال * فعندهم كالعم أو كالخال
ويجلسون عنده فى أدب * أو يتقى الواحد منهم كالصبى
وليس فيهم رحمة لعالم * لكن لاهل الشر والمظالم
فالشر والعدوان فيهم شائع * والخير والاحسان منهم ضائع
أخلاقهم تروى عن ابن حجر * طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مرويه * عن ابن شلتوت له معزيه

دقونهم تروى عن ابن وحل * وانضرط القسام وابن زبل
فلاجزاهم ربنا خيرا ولا * لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه * اذا أتى كأنه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف * سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جثا وماعلى ابجمان * كأنه الناطور فى الغيطان
يفترس الا كلمن يسار * ويلعه عن ضغ ذاك عارى
يقول أروى لكم روايه * تنبى عن التمييز بالدرايه
وفى غد أروى لكم قصيده * اشترى عبلا الفريده
كذلكم دلهمة البطال * وسيرة الراهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيحه * وام جابر بنت ابو فريحه
وأروى لكم ماقد أتانى عن أبى * وأبى قد قال أيضا عن أبى
وقال جدى ذاك أبو نمنداف * صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضوء ولا طهاره * كما روى عن جدتى شراره
قاضيهم اذا أتى لشغل * مثل رئيس قد أتى بالطبل
يسرك عن البعل أو الحماره * كأنه الراهب أبو زراره
وعند ما يجلس فى المناخ * تفرش له قطعه من الاتخاخ
وبعد ذا يأتى اليه المشتكى * ثم يقف على عصاه متكى
وبعضهم على العصا يلف * رحلاه وهو ثقيل خف
يسأله يا قاضى الهموم * هات لعندى ابن أبى دعموم
وحبة دقنك حاتى سرقها * وارنع قفف من زبلنا حرقها
وقد أخذ بحياتى رأس حدوتى * وعمى المشرمطه ولبدتى
احكم بحكم الله يا قاضى البلد * والاضربتك ألف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد * حيث سرق ومنه تقطع يد
رح يا فقشايا عرص يا ابن الزبله * ادفع له قيمة هذى العمله
وصالح الخصم وهات لى فرخه * والا على دقنك أشخ شخه
ان عقد النكاح ليس يدرى * منه سوى زوجت ست عمرو
وليس يدرى شاهدا ولا ولى * ولا يعرف محصنا عن عالى
اذا قضى قضيه وبتها * يجرى سريعا عندها يا ليتها

فقيرهم شعاره الابريق * والنط والصريخ والتصفيق
وناس مريدي ومريد جدي * وذا الولد بدا يتي وعبدي
يسير طول الليل خلف ظهري * غير مصلي مغرب أو ظهر
الابإذني أو بدا تشويشه * ومن رآه قال ذادر ويشه
وعندما يأتي به الموالدا * من خلفه تلقاه حقا لابدا
ويدخل الجمع به يدروش * وباللسان بينهم يدردش
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا * ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا أخبر الشيخ الولي * عن أوليا جاءت من ارض الموصل
هذا يجي بين السما والارض * على النجايب ما عليه من فرض
ولا بقي عاوز الى عباده * هذا بقي في نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره * هذا ولي فسية الحاره
وان تسله حالة الطريق * يقول ما نعرف سوى الابريق
وهز وسطي ثم طرق يدي * وميلان لبدتي وشدي
ان قدم الماجور احط كفي * واطلع بلقمه مثل دور الخلف
وبالدراويش بجنب الشط * أمشي وابريقي تحت ابطي
وانزل على من لي عليه مياده * أقل له البيته وهات العاده
وهات لي الفرخ مع العليقه * وليس يعرف غير ذي الطريقه
ومذهبي يا سعد باحرام * ولا أقل بأن ذا حرام
أخذت عن شيخي بهذا الفعل * فهو حقيق مشبه بالعجل
ومنهمو طوائف خوامس * وكلهم بجمعهم أبالس
لا يعرفون الصوم والصلاة * ولا يرون الحج والزكاة
تراهمو جميعهم أنعاما * لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات * وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر * وقتله قد حل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم أراذل * وليس فيهم رجل يماثل
لأهل فضل أو لذي كمال * بل كلهم في رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا * فشعره يشبه طمع العذرا
أو قبح قول جابلا روايه * أو رص قلقيل بلا درايه

ان لم تكن ذقت الخرافي العمر * فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رزيه * لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم أجلاف مع أوباش * مثل عبيد الجون والكباش
أسماؤهم تخبرك عن أوصافهم * ألقابهم تنبيك عن أشرافهم
وهم حنيجل وجليجل وقطا * والحاج عنطوز بن أبو فردة وطا
وعفر مع دعموم مع زعيط * كذا خرا الحس وأبو معيط
ثم قليطه وشلاطه قد ورد * كذا الهاطه وزعاطه في العدد
شقليط مع مغليط مع خبيط * صغار مع بهوار مع صرميط
بز بوز مع عموز مع قروش * سمعوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش عنهم ذكروا * كذا حسين بن بتين شهروا
كذا سمعنا أنهم يكنوا * ابو شوالي ومنادر يعنوا
كذا أبو عفر أبو دعوم * وابو الدواهي مع أبو الميشوم
أبو شادوف أبو جاروف أبو نطاح * مشكاح أبو رماح أبو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا * والحاء أيضا عندهم قد تكسر
محمدين قد سمعت منهمو * كذا بهام وعقرب فيهمو
والقلط والضراط قد روينا * ويبدلون الصاد أيضا سينا
فهذه أسماء مثل الوحل * أو أنها شبه ضراط النمل
وان ترى الاسماء لا تعلل * فانها والله بئس العلل
وان ينادي الشخص منهم آخرا * يجيبه بقبيح لفظ كالخرا
وان ينادي المرا يا داهيه * تجيبه لما يشخ عليه
وعندهم من أفصح اللغات * كقولهم في الارض ذا امراتي
وضب في البوشه وهات جوادي * ماضال آني مازال هذا الوادي
يعنون بالجواد مركوبا حضر * كذا الذاهبوا الى الكرا من السحر
جعبو بتي راحت من المرجونه * سري اسكني جوا حدا الطاحونه
قومي الحقي لي في الزريبه نقره * لاجل أقوم بالليل وفيها أخره
غدا ترى الجدعان نطوا في المراح * يوم الهرويه في الزريبه بانشراح
جمارا جابجمص مصمطجله * اليوم الوعنزين وعنده عجله
والحج عنطوز قد حضر في كرشه * اليوم وراح هريط وجاب له كرشه

وحطها فى الدست يطبخها بفرحه * بفرتها خدها ابن راس المسمه
اليوم بلدنا شيخها ابوعوكل * وابوفسوه وابوضرطه وهيكل
والحج قلوط الكبير فى هودج * والحج جماس بن حزق النورج
وانما اسماؤهم مناسبه * ذواتهم وافعالهم مقاربه
نساؤهم أيضالهن أسما * نفده دبه بعدها ونجما
زعره وبعره ميكله خطيطه * باوه وعاوه شايعه حريطه
شيخه زراره مع شباره سموا * كذا معيكه وركيله ضموا
سقسقه أيضا كذا شلبابه * وخريوه وفسيوه وعطليه
كذا شقيره ثم غاسوله ورد * حده وابده وعطيه فى العدد
وطالبسه وهاربه حطبيسه * كذا فريجه بنت ابوعربه
وقد سمعت رجلا ينادى * يجه خدوه اغسلى الزبادى
واحلى التمره وهاتى الجحاله * روحى حلما الجدعان وشوفى النخاله
قومى وحطى العدس فى القصروله * انتى واليا بنت ابو بعبوله
ياداهيه ياداهيه تعالى * جتكى من الحيط بنت ابوشوالى
قومى تعالى تعشى يا فى الموضع * ابنك بيخرى هى تقال كل واشبع
هاتى لنا قطعه وسخ من ابنكى * الطخ بها الجلد وشوفى نتكى
ياداهيه روحى وهاتى البقره * أنت وبنت الحس قنالك خضره
ياداهيه روحى وشوفى النقره * فى وسطها جلد طريه خضره
وحولها شوفى الحمار والعجله * والسى بعرتها اعمليها جله
فهذه اسما النساء نخرا * شبيهة بالوحل عند الخرا
ولقشهم يابن الوطا ياحدوه * ياخرا الحس وابن بنت الفسوه
ياعلق ما تجى عندى يابوكار * يالى بتخرى كل يوم فى الحاره
وانتا بتقعد للمسافى الشونه * وكم بيكروك فى الدره بالعونه

(تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثانى من تجزئة المؤلف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه انه لما كانت الهمة البارده والفكرة الكاسده تحركت أياما قلائل لتأليف كتاب صار في الاوراق حاصل في أحوال أهل الريف باتساق ومالهم من نظم ونثر وحب واشتياق وصار بحرا لا يرى في الكثافة له شبيه ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه وكان كالمقدمة للقصيد وقد حوى معاني تشبه قحوف الجريد وختم بالارجوزة الحاويه لما فيه من النثر والاشعار وغايته أنه اغتراف من بنات الافكار أردت اتصاله بهذا الجزء الثاني وحل معاني القصيد التي عليه مدار تلك المباني فحركت فكرتي الخامله وأطلقت عنان اليراع لبيان تلك الامور الحاصله لحل معاني نظم القصيد مسكبا عليه انسكاب الوابل على الصعيد بالفاظ يفوح معناها كريح النسوى ومعاني تشبه في الرضع خابط عشوى فساعدتني الفكر قلما اليه قصدت وتحركت معي لما اليه أردت وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود (فنقول) ذكر نسب الناظم وما حواه وذكر الموضع الذي ضمه وآواه وسبب سعادته وحصولها وصفة لحيته هل كانت طويلة أو قل طولها وكيف مال عليه الدهر في آخر الزمان حتى أنشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان فنقول (أما نسبه) فعلى أقوال فمنهم من صرح أنه أبو شادوف بن ابو جاروف بن شقادف بن لقالق بن بحلق بن عفلق بن عفر بن دعمرم بن فلحس بن خرا الحس فاذا ذقت الكلام بمعقول عرفت انتهاء نسبه على هذا القول (وقيل) ابو شادوف بن ابو جاروف بن بردع بن زوبع بن بحلق ابن عفلق بن بهدل بن عوكل بن عمرو بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الاول لابن خرا الحس وعلى الثاني لابن كل خرا وهو الاصح لان أكل الخرا أبلغ من لحسه (وأما قريته) فنبها خلاف قيل انه من تل فندروك وقيل من كفر شمر طاطي وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك في بعض أشعاره يخبر عن نسبه فقال شعر

ابوشادوف أنا قال لي ابويه * ونظمي حق ماهوشي هبايل * أنا بانا سى في قولي دلايل

بكفر يعرفوه ناس أوايل * باني قد تربيت باجاعه * عليه وجتني ديك أم نايل

وذا قولي وابو شادوف اسمي * فكن صاحب فهامه بافسا قل * يسمى كفر شمر لي طاطي

* وشعري حق من جاني يسايل *

وسمعت شعرا لبعض أهل الريف يدل أنه من تل فندروك وهو هذا

ابوشادوف عنه مخبرينا * كلاما ما كاشبه الحديد * سمعنا من قديم ومن جديد

وعاش ياقوم وانشا لو قصيد * بتل فندروك وفيه تربى * بقول حق جانا بالوكيد

وذا قولي وانا غندافا اسمي * وكم من نظم اجيبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد فى كفر شمر طا الحى وتربى فى تل فنسدر ولد (وأما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدا وقال آخر كانت معتدلة فى الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان فى ابتداء عمره فى سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سيأتى كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها بدهن الفراخ والزيت الحار والتمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من أكل الطبوع والصيبان ونحو ذلك أى أنها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها اضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر

ذقن طالت فافسدت * عندما اضر طولها قصروها فاصلحت * عندما قل طولها

(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل طويل الذقن قليل العقل) كما اتفق أن بعضهم كان له صاحب طويل اللحية واسمه يحيى يؤدب الاطفال ففقده أياما فسأل عنه فقيل له هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه انه مات له ولد أو أحد من أقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح فقال له عظم الله أجرك وأحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له أتظن انه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى أينما كانا

لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه من أحسن الناس وأجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها أياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول

اذا ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقلت لولا أن أم عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلنى الحزن واعترانى الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم فى يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما أبيض من الصوف مطوى فقال له لاى شئ لا تضع هذا الحرام عليك يقيك ألم البرد فقال أخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى وأجود اللحى ما كانت معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا أو شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا قلنا الجواب أن الله تعالى كان قد أعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وأنها كانت خضرة اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط أو يقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو فى حكم مسلوب العقل لادعائه الالهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) أحذر الناس وأشطنهم الاجاردة فينبغى لمن صاحبهم أن يكون

منهم

منهم على حذرلشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور * كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من أشطن الناس وأحذرهم قال الاجرود قال أريد أن تطلعنى على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة أذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا وجلسوا تأمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وأن الرجل منهم لا يمسك الملعقة الا من طرفها ويأكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمر به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا أمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وان لا أحد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما أمر قال فأرادوا الاكل فلم يقدروا وأرادوا القيام فمنعهم الملك وأمرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد أن يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا فى أمرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل أجرود فقال لهم ما بالكم لا تأكلون من الطعام فأخبروه بالقضية فقال هذا أمر سهل أنا أدلكم على حيلة تأكلون بها ولا تخالفوا أمر الملك كل رجل منكم يطعم الذى قبالة وجهه وكذلك الآخر عند ملعقته يطعم من أطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والآخر يفعل مع الآخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وأمر له بصلة وخلع على الوزير * ووقف رجل أجرود بين يدى بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك انى متعجب من شكوى يعنى أملك أجرود ولا يغلبك أحد فقال العفو يا ملك ان كان فى وجهى بعض شعرات فان خصمى أحلس أملس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وأنصفه من خصمه وأمر له بصلة (وأما سبب سعادته فى ابتداء أمره وكيف مال عليه الدهر) فعلى أقوال أحدها أنه لما انشأ وصار له من العمر عشر سنين كان فى قوة وشهامة ومعرفة فى رعى الغنم والنط فى الغيط والمشى فى الحر حافيا عريان وكان يشيل الجلة الخضرا على رأسه من الغيط الى الدار فى أسرع زمن حتى ان الرطوبة المتحللة منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها باقية جسده كما هو عادة أولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجلة أو بقرة وهو سارح الى الغيط أو مروح فيعكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافة القشروية لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكورة حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الدارة والطبلة والزمارة والعياط والغارة وضرب الكلاب بالسخام والهباب حتى انه من دون رفاقته صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر القريتين

شعر

أبو شادوف من يومه مجمص * شبيه الحر ويتنطط بقوه

ويسرح غيط أبوه ويجمع * من الجله الطريه فى القروه

وهو عريان وشايل فوق راسو * ووجهه صار كيف وجه البعوه

وما قد سال من الجله الطريه * يسيل عليه وما عنده مروه

ويقعد شهر ما يغسل لوشو * ولا شهرين وجسمه فيه قوه

ويسرح للفصي في الجرن يكنس * ويطرد مثل كلبنا أم جروه
ويا زينو أبو شادوف لما * يجي الجا رس يقطم وسط ربوه
وينزل ينسر دفيها وراه م * ويزطط كما عفريت خلوه
أبو شادوف من صغر ومدلل * تربى عندنا كابن جروه
أبو شادوف عطاه الله نعمه * لبس لبده وعندوا اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد * حدا الصراف ورأسو جنب حدوه
يقول سيدي يقول يا معرص * تحدا المال أو الخابك دعوه
وهومن مثل أبو شادوف يقبض * وابوه وعمتو بانت أم فسوه
ونختم قولنا بمديح محمد * رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه يا ربنا صلي وسلم * وأصحابه الكرام أهل الفتوه
وكان الناس يحسدونه رضي الله عليه وعلى قوته وشطارته وشدة فمعه في نقرة الطبلة وصوت الزمارة وكان أبوه قد ملك في حال حياته حمارا أعرج وعنزتين وجحشة في ثور الساقية ونصف بقرة وعشر فرخات وديكهم وأربع كيلات تخاله من شعير لك شعر أربعمائة قرص جلة ومامورة يخزن فيها الزبل أيام الشتاء وكان عنده قلة مكسورة وزير أقرم وحوابة يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت له هذه الحالة والسعادة توفي الى رحمة الله تعالى كما في المثل أن الشيء يوم يبعد يموت وما أحسن ما قال الشاعر إذا تم شيء بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم
فكفنته ابنه أبو شادوف في ردا من محرالكتان ودفنه في تربة تعرف بتربة أبي جادوف شيخ بكفر شرطاطي وقيل بتل قدروك وقد يجمع بين القولين فيقال انه مات في كفر شرطاطي ودفن في تل قدروك وقبره الآن يعرف بقبر أبو جادوف بزوره النسوان ويلعبون بجانبه الكورة ويترددون عليه البهائم في بعض الاوقات وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال شعر
الا كونوا اسمعوني يا جماعه * رايكو يا شيخ في كل ساعه
أبو جادوف ولى اليوم عنا * وخلا العنزة والبقرة بتاعه
وخلى بنت عمو أم فلحس * شيخ اليوم تبكي وسط قاعه
وابو شادوف يعيط وسط راسو * أبو يامات وعدنا في شناعه
وراح من كان شيخ الكفر يحكم * على الجدعان ودوليك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره * على كلبه وينلع دلاعه
ويلبس لبدتو من فوق راسو * ودقنو بارده فيها سقاعه
وحولو جرو ابن نزى فحس * وأهل الكفر ما منهم شجاعه

تقول ريس على جوق المغانى * أرا الخلبوص جايشفع شفاعه
وحسو راح ربي ارحم عضامو * وبشبش طو بتوفى كل ساعه
وأبو شادوف ياالله ابقى شبابو * ويصبح شيخنا صاحب فقاعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحولو * جماعه فى جماعه فى جماعه
ويتمنطز ويسرح فى السهارى * ويتجمعص ويقعد فى السراعه
ونختم قولنا والدائم الله * ونا الكاس حق مافيه اندناعه
وأنا شاطر وشاعر طول عمرى * والضم لضم يتلمع لماعه
جعلتو فيه يحزن من يشوفو * ووقتو يقولى اليوم وداعه
وضال على الزبن أصلى طول عمرى * نبي الله وأطلب لى الشفاعه
وابو شادوف اناالاحد غيرى * وضير بقدم تكتم دى الجماعه

قال ولما فرغ العزاء ورتق الزمان وآخذ خاط أبو شادوف المشايخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير المعمول بالنخالة والشعير ولطخ قبره بالوحل والبلاله وتمل بجابيه مدودنا بجباله سحب النبوت وتمشى كالنعوت وانتشى على الكفر وأطاعه زيد وعمرو وجلس على ركبته ودف مورط وعيط واتطط وغنى وقال وافتخر بهذا المقال وأنشد وجعل يقول شعر

أبو شادوف تمرتى باسلامه * أتول اتقول وناصاحب فهامه
ولولا أنا ابويه فى تراو * أنا فى الكفر شيخ بلاملامه
واحكم على المشاه واسرح واروح * وأخوض البحر الى حد الحزامه
واشد على الحمار وأركب وحولى * جماعه شبه شمعه فى ضلامه
أبو عنطوز وأبو بربور وعسلق * ودم الخس قطال وابو عمامه
وأنا ماعاد كيفى اليوم واحد * وأضال انى جمعص فى شهامه
وأطحن قرن من خالف كلامى * بنبوتى وأدسر بو عضامه
أبويه كان قبلى شيخ عليكم * خلاونى وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بعد نخ جمد * وأصحابوا الملاح أهل الكرامه

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التى حصلت له بعد وفاة أبيه على التركة فاغروا عليه الحكام فأرسلوا اليه وعارضوه فى جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا مطمورة الزبل التى ادخرها وهى التى كانت سبب السعادة له بعد موت أبيه على ما قيل ثم صار يدارى الناس ويتملق لهم بالكلام الى أن تناست القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطموره ليلا وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشر ين نصف فضة وأخذ بهم بيضا وطلع مصر

فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا سبب السعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل وأخذ بثمنه بيضا فكانت سعادته من مجموع ثمن الزبل والبيض فلا تعارض فى ذلك وكان يعطى و يتكرم فقصدته الشعراء والادباء من أطراف الكفور حتى انه أجاز شاعرا بخمسين بيضة وكيلة شعير وأعطى آخر مائة قرص جلة وجاءه آخر بغرارة فملأها زبلا من أولها الى آخرها ودفعها اله * وكان قد أقبل عليه الرزق زيادة عن والده فكان عنده ورتين وعشرين فرخة بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت أعوج ولبدة وخلقة زرقاء وقفة ملانة نخال وعشرة حزم عروق جوز ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى فى رزقه فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) أن بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض الى محل كذا خذ منه ألف دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى فأتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلانى خذ منه خمسمائة دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى ولم يزل يأتيه مرة بعد أخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال أفيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب وأخذ الدينار و بورك له فيه وصار فى نعمة وسعادة زائدة فالشخص اذا قنع شبع وبورك فى قليله قال الولى الصالح العارف بالله تعالى سيدى يحيى البهلول رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين آمين

استقنع بقليلك * يا بيك الله بكثيره

وقال كم عارض بعد رشاش * ينهل من المزن أنا مالى فياش * ايش على منى
أقلق من رزقى لاش * والخالق يرزقنى

وقال رضى الله عنه

يا ابن آدم قل طمعك * ذا السعادة وعد سيدك لا تقل دابا الشطاره * أو تحصلها بايدك
لو تكن تبع زمانك * غير رزقك ما يجى لك ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشى قبالك
من له فى الغيب شئ * لا يموت حتى يناله

وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه

وجدت القناعة كنز الغنا * فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى عليه منهمك
وصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس كأنى ملك

حتى مال عليه الزمان وجفته الاهل والخلان ونفد جميع ما كان معه من المال وصار فى أكبر الهم وأشد الاحوال ولم يجد له خلا ولا مساعد ولم يبق الا الذى خلف له الوالد وأخذ مشيخة الكفر من كان خدامه ولم ير له مساعدا ولا صديق ولا صاحبا ولا رفيق كما هو عادة الدهر فى رفع الاسافل وخفض السادة الاماثل فهو كالميزان فى فعله أو المنخل فى حاله ونقله كما قال الشاعر هذه

الابيات رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذى شيم شريفه

كمثل البحر يغرق كل حى * ولا ينفك يعلى كل جيفه

أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذى زنة خفيفه

وقال آخر الدهر كالمنخل فى فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل

يحط لب اللب من تحته * وترفع القشرة والفسول

فحوادث الدهر تأتى على غرر ويذهب الشخص على خطر وقد قلت فى مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تأتى على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الضرر

واعدد لها من دروع الصبر سابغة * تقيك شدتها اذ ترمى بالشرر

كانت ليالى بها اللذات مثمرة * قطفت منها ثمار العز فى الصغر

الى آخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى الرب الجليل وممن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان (ما حكى) أن بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقلة الذى انفرد فى زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك فى بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقاء والمحبون ولم يأته أحد الى نصف النهار فتبين للملك أن الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به وأعاد ابن مقلة الى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلما رأى اخوانه أن نعمته عادت اليه عادوا له يهنوه وأقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك أنشد يقول شعر

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا

عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا

يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

قيل مكث يكتب بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة ما اتفق أن رجلا كتب رقعة وألقاها اليه بحضرة الملك ليقرأها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر أن ينطق بهذا الحرف (وصورتها) أمر أمير الامراء أن يحفر بئرا على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما أن تأملها غير الالفاظ وأتى بالمعنى وقال حكم حاكم الحكام أن يجعل جب على شاطئ الوادى ليستقى منه الغادى والبادى وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى وقيل أربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت فى الفصاحة ولقمان فى الحكمة وابن أدهم فى الزهد وابن مقلة فى حسن الكتابة والخط قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة * وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم

اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس * ونودي عليه لا يباع بدرهم

وأما ضد هذه الاربعة فقد درّ من قال فيها

سماجة أطروش وثقل ابن قمئة * وغفلة قربان وعكس ابن ابهم

اذا اجتمعوا في المرء والمرء موسر * لكان فصيح القوم عند التكلم

وعمادهم حادث الدهر وعلا بالهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا وبعد الغنا فقيرا فما اتفق أن رجلا ركبته الديون فترك عياله وخرج هائما على وجهه الى أن أقبل على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وآلمه السفر فمر في بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلا فدخل معهم الى أن انتهوا الى محل يشبه محل الملوك فدخلوا الى ذلك المكان وهو تابعهم الى أن انتهوا الى رجل جالس في هيئة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنه من أبناء الوزراء فلما رآهم قام اليهم وأكرمهم فأخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رأى من البنيان والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو في حيرة وكربة وخائف على نفسه حتى جلس في محل بعيد منفردا عن الناس بحيث لا يراه أحد فبينما هو جالس اذ أقبل عليه رجل ومعه أربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها أنواع الحرير والديباج وفي أعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها في محل معد له ثم غاب وأتى بأربعة أصحن من الذهب ملآنين من الطعام الفاخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحنا على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد أن يتقدم الى كلب ليأكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب فعرف بحاله فتأخر عن الاكل وأشار اليه فدنا منه فأشار اليه ثانيا أن كل من هذا الصحن وتأخر الكلب فأكل الرجل حتى اكتفى وأراد أن يذهب فأشار اليه الكلب أن خذ الصحن ببقية ما فيه من الطعام والقاه له وستره بكمه ومكث ساعة فلم يأت أحد يسأل عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة أخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه بضائع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار في نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة فمضت مدة من الزمان فقال لنفسه لابد أن تسافر الى مدينة صاحب الصحن وتأخذ له هدية سنية تكافؤه بها وتدفع له ثمنه وان كان أنعم به عليك كلب من كلابه فأخذ هدية تليق بمقام الرجل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أياما وليالي حتى أقبل على تلك المدينة وطلع النهار يريد الاجتماع به فأقبل على محله فلم ير الا طللا باليا وغرابا ناعيا وديارا قد أقفرت وأحوالا قد تغيرت وحالا للتنافر قد أرجف وشكلا تركه الدهر قاعا صفصف كما قال بعضهم هذه الابيات

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي بالديار رقود

لما انتبه ناللخيال الذى سرى * أرى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ما صنع الدهر بها علانية اعترته الحيرة عن يمين والتفت فرأى رجلا مسكين فى حالة تقشعر منها الجلود ورؤيته تمن الى الجلود فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان وأين بدوره السافره وشموسه الزاهره وما هذا الحادث الذى حدث على بنيانه وما الامر الذى لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتأوه من قلب حزين أما فى كلام الرسول عبر لمن اقتدى به وسمعه حق على الله أن لا يرفع شيأ فى هذه الدار الاوضعه وان كان سؤالك عن أمر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجب أنا صاحب هذا المكان ومنشيه وساكنه وبانيه وصاحب بدوره السافره وأمواله الناضره وتحفه الزاهيه بجواريه الباهيه ولكن الزمان قد مال فأذهب الخدم والمال وصيرنى فى هذه الحالة الراهنه ودهمنى بحوادث كانت عنده كامنه ولسؤالك هذا عن أمر وسبب فاخبرنى عنه وازل العجب قال فأخبره القصه وهو فى تألم وغصه وقال له قد جئتك بمدينة بها النفوس ترغب وثمن صحنك الذى أخذته من الذهب فانه كان سببا لغنائى بعد الفقر ولزوال ما كان عندى من الهم والحصر قال فهز الرجل رأسه وبكى وأنّ وشكى وقال يا هذا أظنك رائه مجنون فان هذا أمر لا يكون كلب من كلابنا تكرم عليك بصحن من الذهب أنا ارجع فيه ولو كنت فى أشد الهم والوصب والله لم يأتنى منك شئ يساوى قلامه فامض من حيث جئت بالسلامه ثم قبل الرجل أقدامه ويديه وانصرف راجعا يثنى بالمديح عليه ثم انه عند فراقه ووداعه أنشد هذا البيت الذى يبتدئ بسماعه فقال

ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام

وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالى بسهام الهموم من قسى المصائب فأصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر النجوم ويساور الهموم يسكب على فراق الاحبة الدموع ويرجو عود الدهر وهيهات الرجوع شعر

فليت شعرى والدنيا مفرقة * بين الرفاق وأيام الورى دول

هل ترجع الدار بعد البعد آنسة * وهل تعود لنا أيامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففى الصبر خير لو علمت به * لكنت بادرت شكرا صاحب النعم

واعلم بأنك ان لم تصطبر كرما * صبرت قهرا على ماخط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من منطوق حوادث دهره والمفهوم وهو الذى كان سببا لانشاء هذا القصيد وشكواه هذا الامر الوارد المديد فقال

ص فيقول أبو شادوف من عظم ماشكى * من القل جسمه ما يضال نحيف

(ش) هذا الكلام له بحر وقد وتقاطيع ومد فبحره الطويل المديد الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متهابل متهابل ومن قاسه بحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط قال هو من معنى الهلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسله قال هو من معنى هلهله هلهله ومن شابه بيقية البحور قال فى عتيله أنت حمار أو ثور وأما قده المعهود فعلى وزن بروه تخلى الماضغين جارد واما تقاطيعه المذكوره فهى هذه الكلمات المنثوره

يقول	أبو شا	دوف من	عظم ما شكى
نبول	عليها	فى الضحى	مع غرو بها

ومجموع هذا الكلام من هذا النظام

(نبول عليها فى الضحى مع غرو بها)

فاذا عرفت البحر والقد والتقاطيع فلنشرع لك الآن فى شرح الكلام على حسب التواقيع أو على نمط القراقيع فنقول (قوله يقول) أى يريد أن ينشى قولا فى الخارج فيه شرح حاله ودليل على ما نابه من حوادث الزمان وما أصابه من دواعى الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقاقات تصدره قال يقول قولا ومقالة وربما زاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلوله أو من التلل أو من الاقوال أو من قالوا أو قلنا وانما زدت هذه المصادر الشوربه وهذه الاشتقاقات الهباليه الالتى عليها ماسأذكره لك مما اتفق لى مع بعض من يدعى العلم وهو جاهل وماذاك الا أنى لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة أربعة وسبعين وألف وبلغت بندر القصير أنتظر السفن للسفر فجلست اياما بزاوية على البحر المالح أنظر الناس فبينما أنا ذات يوم فى هذا المكان أقرأ فيه وأبين للناس الكلام ومعانيه وأنا فى هيئة تشين النظر وفى أهبة ذهاب وسفر وبهلة وهبال وهلقطة ومقال اذ أقبل على بلا محاله رجل يشبه دائرة الهاله طويل هبيل فقنقيل له عمة كالهيولى فى العظم وطيلسان نسج من صوف الغنم ثم جلس يريد الضرر ونظر الى شذر فظهر لى منه الشر والجدال ومتنظر متى قلت قال وكان الامر كاذكرت ومااليه بهذا المعنى أشرت فابتدأت فى الكلام وقلت قال النبى عليه السلام فعندذلك قال لى بلفظ كثيف ما معنى قال فى التصريف فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله وعلمت أنه خال من العلوم وجاهل بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال يتصرف منه أسماء وأفعال وهى قال يقول قولا وقلة وقيلولة ومقالة على الكمال وان أردت جعلت لك يقين تصريف هذا لستة وثلاثين فقال لى وهذا التصريف فى أى متن من المتون فقلت له فى ديوان ابن سودون فركن الى قولى على جهل منه وعمى فعرفت أنه لايدرى الاسم ولا المسمى ثم انقاد الى بعد الدعوى والهيس انقياد الغنم للتيس وامتثل الامر فى رواحه ومقيله حتى مضى الى حال سبيله فان قيل لاى شئ خلبطت على هذا السائل فى هذه المصادر

والاشتقاقات

والاشتقاقات ووسعت عليه فى هذه الامور الهباليات كنت تقتصر على ما قالوه فى كتب الصرف ولا تحرف الكلام بحرف قلنا الجواب نعم كان ينبغى هذا الكلام ولكن مع من يدرى العلم بالتمام وأما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله من دش الكلام والمعرفة فيما يليق بذلك المقام فكان ما سبق من الجواب وحاله مناسب لسؤاله وهباله فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال (مسألة هبالية) ما الحكمة فى أن الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم يأت بصيغة الماضى كما قال صاحب ألفية النحو رحمه الله * قال محمد هو ابن مالك * الخ الجواب القشروى ان هذا الفعل الماضى الذى هو قال يتولد منه المضارع وهو يقول و يقول يأتى منه قولا كما سبق فى تأصيل الافعال والاسماء فاكتفى بالفرع عن الاصل أو أنه أراد تعداد الامور التى حصلت له من تغير الزمان وانقلابه ولم يكن أخبر عنها سابقا بلفظ الماضى فأراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذى هو يقول وان كان فى معنى الماضى صورة وفى معنى المضارع حقيقة قال الشاعر

فقال هو الماضى يقول مضارع * وان كان ذا الماضى له فى الحقيقة

وقال أبو الطيب المتنبى عفا الله عنه شعر

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

أى اذا نوى شيأ مستقبلا أمضى فعله قبل أن يدخل عليه ما يجزمه أى يمنعه عنه و يسكنه عن الحركة عن فعله انتهى وأيضا لو أتى بالماضى لاختل الوزن وان كان المعنى باقيا على حاله فاتجه الجواب وبان الصواب وقوله (أبو شادوف) هذه كنيته وغلبت عليه فصارت علما كما قالوا فى معد يكرب و بعلبك و برق نحره ونحو ذلك وأما اسمه الحقيق عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه أن أمه لما ولدته ألقته فى مدود البقر فجاء العجل ولحسه فسمى بذلك أياما حتى اشتهر بهذه الكنية *وسبب اشتهاره بها أقوال أحدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم أجر نفسه اسقى الزرع بالآلة التى يعملوها أهل الريف تسمى أبو شادوف وصورة فعلها أنهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير و يضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة و يعلقوا فيها خشبة أيضا بالعرض حكم قصبة الميزان و يضعوا فى طرفها الذى من جهة البر شيأ ثقيلا والذى من جهة البحر الدلو أو القطوة التى ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو أو القطوة فى البحر و يغرف الماء ثم يتركه فيثقل طرفها الثانى و يصعد الدلو أو القطوة و يفرغ فى النقرة مع مساعدة الرجل له و يجرى الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة و يسموا مجموع الآلة والناطورين أبو شادوف وهو مشتق من الشدف وهو الغرف قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق شدف يشدف شدفا بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر

اذا ما رأيت الماء فاشدف براحة * فذلك للظمآن أهنا وأطيب

قال الناظم لما لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمي باسمها من باب تسمية الحال باسم المحل وقيل ان أمه ولدته عند أبو شادوف فسمي باسمه لكن يرده ما تقدم من أن اسمه الاصلي عجيل وقد يجمع بين الاقوال فيقال ان أمه لما ولدته عند أبو شادوف أخذته ووضعته في المدود ولحسه العجل على ما تقدم فسمي عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل سمي بذلك لكثرة غرفه للماء بهذه الآلة فصار كل من سأل عنه يقال له عند الشدف أي الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا اشادوف ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الولد والتواطير مثل الابله وقالوا أبو شادوف ووضعوها على ذات الناظم لكثرة مجاورته لتلك الآلة وعرفوه بها فصارت علماً له يخاطب بها كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة في أن الدلو والقطوة لا يفارق الخشبة التي هي في حكم قصبة الميزان وهل هي حكم الابله كما سبق من أن التواطير في حكم مقام الأب للشادوف وان الدلو والقطوة انما لازم هذه الخشبة بالضرورة لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاور لها في وقت الحاجة لا غير (الجواب) أن الخشبة لا تستغني عن الدلو والقطوة وهما لا يستغنيان عنها فكان كلاهما في حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة في حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو والقطوة مرتبط بالخشبة فاتجه المقال عن وجه هذا الهبال (فائدة) الاب مشتق من آب اذا رجع قال ابن زريق رحمه الله في قصيدة له   ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالعزم يزمعه

أي ما رجع من سفر الا وأزعجه رأيه الى سفر ثان وكذلك الاب لانه في كل ساعة يرجع الى ولده ويتفقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما أن الاخ مشتق من الاخوة قال الشاعر

أبو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * وأخو المرء أيضا قد أتى من أخوة

ومصدره آب يأوب أوبا فهو آب وقال ابن سودون ان أبو هذا فعل ماض ناقص وأصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر   قالوا حبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان أبداه قلت أبو

أي أبوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول اللبس على السامع اذ هو اللائق بهذا عند الادباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثاني حذفت السين لانها في الجمل بستين والستين في البوس اسراف عند البعض هذا كلامه المصرح به في ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذي نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه فلا يشتفي فؤاده بستين قبلة ولا بمائة خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات حسن الصفات مطيعا للعاشق مصافيا مصادق وانطبع بقده المأنوس وانضم لعاشقه انضمام العروس وخلا المحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشي والرقيب هنالك لا ينحصر البوس بعد ولا يكون له غاية ولا حد قال الشاعر

سألت بدر التم في قبلة * أجاب أن توفي ومنشى السحاب

لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت في العد وضاع الحساب

وقلت في المعنى شعر رأيت له شرطا على الخد قد حوى * جمالا وقد زان الملاحة بالقهر
فقلت مرادي اللثم قال بخلوة * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

اللهم الا أن يكون المحل غير قابل للمحب والحبيب بان يكون ثم خوف من واش أو رقيب فيكون الضم في تلك الحالة والتقبيل بحسب أمن العاشق في الكثرة والتقليل ومنهم من لا يعتريه في ذلك وهم ولا الباس ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس ولو نفر منه وفر ربما مال نحوه ومر قال الشاعر

لو تراني وحبيبي عندما * فر مثل الظبي من بين يدي
وغدا يغدو وأغدو خلفه * وترانا قد طوينا الارض طي
قال ما ترجع عني قلت لا * قال ما تطلب مني قلت شي
فنأى عني وولى خجلا * وانثني بالتيه عني لا الى
كدت بين الناس أن ألثمه * آه لو أفعل ما كان علي

ومن اللطائف ان أبا نواس مر يوما في شوارع بغداد فرأى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضي يحيي بن أكثم وادعى عليه بما وقع قال فأطرق القاضي ساعة وأنشد يقول

اذا كنت للتخميس والبوس مانعا * فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا ترخي الاهداب من فوق طرة * ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

قال فأطرق الغلام ساعة وأنشد يقول

وكنا اذا رجولك للعدل بيننا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضي المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ما شكى) أي من عظم أمر بل من أمور يشكو منها وصرح بشكواه راجيا بأن الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من أيام النعيم التي كان فيها فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر ورب ليل في الهموم كدمل * عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد عثر النائبات على الفتى * وتزول حتى لا تجول بفكره

والشكوى على أقسام شكوى لله وهي محمودة وشكوى للمخلوق وهي مذمومة اللهم الا أن يكون في حال شكواه معتمدا على الله تعالى متكلا عليه مستعينا به في دفع ما نابه من الشدائد فلا بأس بذلك واذا صبر واحتسب كان أولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا ومن كلام الاستاذ يحيي البهلول نفعنا الله تعالى به

اذا ضاقت بك الاحوا * ل فكر في ألم نشرح فعسر بين يسرين * اذا أملته تفرح

ثم ان الناظم أراد تعداد الامور التي ترادفت عليه مبتدئا بأعظمها وأهمها فقال (من القل) بكسر

القاف وسكون اللام أى ان أهم شكواى واعظمها أولا من القل وهى قلة المأكل والمشرب حذفت ياء الكلمة لضرورة النظم وأيضا عدم الميسرة فى الملبس وشدة التعب والنصب فى كد المعيشة وفى الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا اى قارب أن يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضا بالقضاء وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات

فان بحت بالشكوى هتكت سريرتى * وان لم أبح بالفقر خفت مماتى

(وقيل) وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان أربع كلمات وهى العدل ان دام عمر والظلم ان دام دمر والاعمى ميت وان لم يقبر والفقر هو الموت الاحمر وهذه الكلمة يعاير بها أهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل ور بما زادوا عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعتره أى فى حالة كد وتعب وارتكاب أمور شنيعة وأحوال مكربة وهى من ألفاظ أهل الريف قال بعض شعرائهم

أبوجاموس صبح حالو * يبكى الناس وهو شهره بيجرى مايلقاشى * وفى قله وفى عتره

(والقل) على وزن الغل أو الظل مشتق من القلقلة أو من القلة بضم القاف أو القولق وعتره بفتح العين المهملة وجزم الهاء فى آخرها على وزن زبره نفذ ذبره ووزنها على عترة لاتختلف أبدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر أى مرتكب هذه الامور وأما بالثاء المثلثة فهى واحدة العثرات وهى اللغة الفصحى بمعنى أن المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل فى كلام العرب (وهو ما حكى) أن رجلا حضريا أضافه رجل بدوى فأخرج له صحنا من الطعام وشيأ يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما أخذ لقمة يقول له الحضرى قل بسم الله الرحمن الرحيم يابدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية فاستحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد أيام خرج البدوى من منزله فرأى صاحبه الحضرى فأخذه وأجلسه فى داره وأخرج له قصعة كبيرة ملآ نة من الثريد واللحم وقال له كل ياحضرى وسف ماقى القلة بركة أى سافى قلة الطعام مع الشح بركة ودعك تسمى الله أو تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر اذا كثرت عيوبك فى البرايا * وسرك أن يكون لها غطاء

تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفى الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى اشتقاق القل من القولق أو من القلة أو من القلقلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب القشروى) ان القولق اسم لشئ من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط فى الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشة وعدم اليسرة فناسب

المعنى فى ذلك وأما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلا حد امور اما لحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركة حكم وجود الماء وعدمه أو أن المناسبة فى ذلك لضيقها فى حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خروم ضيقة وانها اذا وضعت فى الماء بقبقت وصارت حكم الذى يشكو الى الماء قال الشاعر

مابقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان فى ذلك مشقة وشدة تعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثالث أنه من القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور أى سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

قلقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور القاطنين بارضهم * عندى كسكان القبور

أى حرك ركابك فى الفلا وهو الفضاء المتسع والمعنى سر شرقا أو غربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك لهم ودع الغوانى جمع غانية وهى ذات الجمال أى اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها واتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على أتم مرادوأحسن حال وان كان لا يفيدك من السعى والسفر الا اليسير فهو أولى من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

(وفى بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى ياعبدى خلقتك من حركة تحرك أرزقك وفى المثل الحركة فيها بركة وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه شعر

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد

تفريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل فى الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد

فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق وقوله (جسمه) الضمير راجع للناظم اى جسمه وهو ذاته مشتق من الجسم أو من المجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى أو من جسم العاشق اذا أنحله بعد الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيبا وقوله (مايضال) كلمة ربقية ومعناها ما يزال كما تقدم فى الجزء الاول أى لم يزل جسمه من القل والتعب وعدم اليسرة (نحيف) على وزن رغيف وأصله نحيفا بالالف المقصورة وحذفت لضرورة النظم والمعنى أن جسمه ضعف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل الاذى والكد فى تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هنا يظهر أن أصحاب المال والرفاهية فى الغالب ان أجسامهم فى نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب ونظافة الملابس ورقتها فلا

يرون بذلك الهم تأثيرا وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه من نظف ثوبه قل همه وفي الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع مادام صاحبه يتعهده بالسقي والاصلاح وتنظيف الغلث عنه دام في نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اعترته الآفات وتغيرت عليه الاحوال وأمارقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح في النساء والرجال ويقال لصاحبها اهيف قال الشاعر

وأهيفان لعبا * بالنرد أنثى وذكر قالت أنا قرينة * قلت اسكتي انثى قمر

(وأبلغ) من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد * لما أحس له من وطئها ألما
خفيفة الروح لو رامت تخطتها * رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسألة هبالية) لاي شئ قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه أنسب في المعنى وأفصح في العبارة وقد ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم أي من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب القشروي) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التي على وزنها وهي قطيم والقطيم بلغة الريافة هو صاحب الابنة وبلغة أخرى هو الخالي من الزواج فلو فرض انه أتى بها في النظم لربما نسبوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر أو يقال انه راعى في ذلك قوافي الشعر فلا اشكال فاتضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم أراد الاخبار عن بلية ابتلي بها أيضا نشأت من القل والعترة وعدم ما في اليد كما تقدم فقال

ص ﴿أنا القمل والصيبان في طوق جبتي * شبه النخاله يجرفوه جريف﴾

ش قوله (أنا) يعني أبو شادوف أخبركم أيضا معاشر الاصحاب وأشكوا اليكم وهو أن القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد في القرآن العظيم فانه نوع من السوس أو القراد كما ذكره بعض المفسرين (فائدة) ذكر الدميري في حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن أوساخ الجسد واشتقاقه من التقمل أو من تقميل الغزل اذا صبغ وبوش ووضع في شدة حرارة الشمس فييبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قل يقمل قلا وهو اسم جنس الانثى منه قملة وأما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر وما قامل في الثوب الا رأيته * يدب دبيب العقربان اذا مشى

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى خطابا لمالك خازن النار ألقيا في جهنم وقول الحجاج يا غلام اضربا عنقه وأما قوله في البيت الاول يدب دبيب العقربان أي لانهم شبهوا

القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا أنها تلدغ والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلاى شئ لم تكن كبيرة مثلها ولدغتها كلدغة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشؤه من جسد الانسان وانه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهى مص الدم الفاسد وان كان يحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله تعالى أن يكون صغيرا ولدغته قليلة الالم اذلو كانت القملة قدر العقرب للزم أن يكون الآدمى قدر الجمل و يكون دائما فى خوف من رؤيتها وتعذيب من لدغتها والله تعالى كرم بنى آدم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن مخارص الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذلو كان قدر الفيل للزم أن يكون الآدمى مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث والانثى منه برغوثة وهو مشتق من البر والغوث قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى

لا تكره البرغوث ان اسمه * بر وغوث لانه تدرى

فبره مص دم فاسد * والغوث ايقاظك للفجر

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة فى ان البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت من العرق وروائح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها أنثى والانثى عاجزة عن الذكر وأما البرغوث لما كان منشؤه من التراب كانت طينته قوية ولهذا يشبه بالفيل وهو أعظم الحيوانات ذاتا فكانت القوة ناشئة فيه فصار ينط فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم ان أذى البرغوث أقوى من أذى القمل قال الشاعر

أشكو اليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسات من الغصص

أصيدها يجى هذا يؤالمنى * فتنقضى ليلتى فى الصيد والقنص

وما أحسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فطاب لها الخمر

فبرقص برغوث لزمر بعوضة * و بقهم يسكت ليسمعه الزمر

وأفادنى بعض اخواننا الحشاشين أدام الله بأكل الحشيش انسهم وأجنبد خول الارطال عند النوم حسهم ان الشخص اذا أسقطما تيسر من الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام ولا يحس بأذى البراغيث ولا غيرها خصوصا اذا استعمل الحلوى بعدأ كله فانه يفعل افعالا غريبة و يظهر مظاهر عجيبة ولا يضره الا أكل الحامض كما قال بعضهم مضمنا كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه

امنسطل بالزبد من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل

نصحتك ان أصبحت فى سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من أمي عفا الله عنها الغز في البرغوث ولم أفهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحاء وهو هذا * ياشي من شي أحمر حمير وورق الجمير جروا وراه خمسه مسكوه اثنين * وتفسيره ياشي ياحرف نداء أي يارجل فسر لنا اسما يخرج من شيء مبهم وهو أحمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير أحمر يعني شديد الحمرة وورق الجمير أي كورق الجمير في لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقها الليف الملتف عليه جروا وراه خمسة وهي الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى (ومما يمنع أذى البراغيث) البخور بقشر الرارنج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزئبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق في العنق فعل ذلك (وأما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقراء أن صاحب الشقيقة اذا أخذ قملة من رأس سالم من الوجع ووضعها في باقلاية مشوية وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة برئت باذن الله تعالى وقوله (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لازمه وغالب كثرته في رؤس الاطفال لرقة أجسادهم فيعالج بالادهان والحناء المعتادة وتسريح الشعر ونحو ذلك وله أكلان في الجسد بسهولة فهو أخف ضررا من القمل لكونه أضعف منه وألطف جسما وأصله صيبان بتقديم الموحدة على الياء المثناة من تحت جمع صبي ثم انهم أرادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه بأولاد الآدميين فقدموا الياء المثناة من تحت على الموحدة وقالوا صيبان وهو مشتق من الصابون لبياضه أو من المصيبة أو من قناطر الصابوني ومصدره صيبين يصيبن صيبانا وسكت الناظم عن نوع آخر من أولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه أيضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النمنمة أو النمام نوع من المشموم وأما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل أمر فكأنه يأمره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريري عفا الله عنه

سم سمة تحمد آثارها * فاشكر لمن أعطى ولو سمسمه

وهذا يقرب من فن الاحاجي كقولهم طاجن وطاقيه والياسمين وقول بعضهم

اني رأيت عجيبا في دياركم * شيخا وجارية في بطن عصفور

وقول الآخر وأحمر الخد فاني * يغري اليه الخضاب بغير عين وناب * وفيه عين وناب

(ويطلق) لفظ نمنم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نمم أو بف بضم الموحدة وسكون الفاء لانه ينطق بالفاظ تخالف ألفاظ الكبير كما هو مشاهد (وأما لغته قبل نطقه) فقيل انها بالسريانية واذا اشتهى الماء يقول انبوه بضم الهمزة وسكون النون ورفع الموحدة وجزم الهاء واذا امتد يده لنجاسة يتناولها يزجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا دنا لاخذ شيء يؤذيه يزجر أيضا بلفظ أح بالالف والحاء المهملة واذا أخذ شيئا أعجبه ولعب به يقال له أو يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين

ويقال له أو يقول هو على المأكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة واذا أرادت امه أن تخوفه وتسكته عن الصياح تقول له اسكت لابا كان البعبع بكسر الموحدتين أو رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع) مشتق من البعبعة وهي صوت الجمل وبين أح و بح ودح الجناس المتغير الاول ويخاطب امه بلفظ ماما وأبا بابا وأخاه الصغير واوا ونحو ذلك وتغزل بعضهم في صغير ببيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال

يامن سلب الحشا والروح واوا أح * غيري تواصل وانا الحي من وصالك بح
أنا أطعم البف والنمم وقولة بح * بعبع أنا كخ يا انتا وغيري دح

وقال ابن سودون رحمه الله في معنى ذلك

لموت امي أرى الاحزان تحنيني * فطالما الحستني لحس تحنيني
وطالما دلعتني حال تربيني * حتى طلعت كما كانت تربيني
أقول غنم تجي بالاكل تطعمني * أقول انبوه تجي بالماء تسقيني

وقوله تحنيني وتحنيني فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثاني من التحنن والشفقة كما لا يخفى ويقال عذار نمنم أي يشبه نبته بدبيب النمنم أو نبات النمام وقد قلت في تشبيهه بدبيب النمنم

دب العذار على خديه خيل لي * بانه نمنم يمشي على مهل

(وبعضهم زاد نوعا رابعا) وسماه لحيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بعبيص أو لقيس مأخوذ من البعبصة وهي ادخال الاصبع في دبر الغير ولقيس من اللقاسة يقال لقس الكلب الاناء أي لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللحيس أو يكون على قياس فطيس واللحاسة والنحاسة على وزن واحد يقال فلان لحس أي من تكب شيأ يشبه النحاسة أو كثير الكلام بلا فائدة فتكون اللحاسة والنحاسة بمعنى واحد (قال) في القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة فيهما بلاشك فهذا أصوب ويقال أنت تعيس لحس أي انت تشبه لحس الكلب للاناء أو أنك تلحس الخرا بلسانك أو تلحس بالكلام ولا تدري منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك أيضا فكلها ألفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللحيس من يدضرر قال في القاموس الازرق والناموس الابلق ولي من أذى التعيس في الرأس كربة * وغلي وأكل في الثياب وفي الجسد

ومصدره لحس يلحس تلحيسا (فان قيل) ان هذا اللحيس الذي زاده هذا البعض شئ تافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فما الجواب (قلنا) نعم وان سلمنا أنه لا وجود له الا بعسر لدقته فني الجملة له محض أذية وضرر فصار من أتباع القمل بل من أولاده كالصيبان والنمنم كما تقدم أو يكون هذا قياسا على من زاد في أقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعنى بها اسم الفعل وهو صه بمعنى اسكت فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال وقوله (في طوق جبتي) أي كائن أو مستقر في طوقها

والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة وجوق المغانى ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق
من ثوب أو غيره كالحديد والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيامة أى المال الذى كنزوه فى الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه فى وجوه الخير يجعل فى عنقهم
كالطوق ويعذبون به فى النار والطوق مشتق من الطاقة أو من الطواق لتدويره اأو من خان أبو
طاقية بمصر (ومصدره) طوق يطوق تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم
ضامن أيضا وهو أحسن الحلى عندهم وأما ما يوضع فى أعناق الرجال فى السجن فانه يسمى عندهم
ضامنة يقال فلان فى الضامنة أى بمعنى ان هذه الآلة الحديد التى فى عنقه ضامنة له لا يقدر أن ينفك
عنها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه أحضره وقوله (جبتى) على وزن شختى ولحيتى هذا
اذا نسبتها النفسك وأما اذا كانت لغيرك فتقول جبتك على وزن شختك ولحيتك مثلا واذا وصفتها
وقلت جبتك حره فتكون بالتصحيف ختتك حزه أى نا كثر رجل يسمى حزه والجبة واحدة الجبب
مشتقة من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها أى يقطعها ويفصلها يقال جاب الثياب بمعنى قطعها
وقد قلت فى المعنى أجوب الثياب طامعا فى وصالها * وأقطع أرضا الستر منها بخابر
(ومصدرها) جب يجب جبا وجبة وهى على قسمين ريفية وحضرية فالريفية من صوف ثخين
غليظ مسدود محكم الثوب ويجعلون أكمامها متسعة خصوصا شعراتهم فانهم يعرفون بزيادة وسع
الاكمام لان كم الرجل منهم مختصر زكيبه ونساؤهم على شكل الشعراء فى وسع الاكمام وزيادة فان كم
المرأة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثانى وربما جامع الرجل زوجته من كمها ولا
يحتاج لرفع بقية الثوب (كما وقع لى فى ذلك) فانى تزوجت منهن وكنت أجامع زوجتى فى بعض
الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام حتى فى الثياب والاكمام فهى امور بينهم محبوبه
والمناسبة مطلوبه (وفى المثل) رأوا قرديسكر على خراره فقالوا ما للمدام الرايق الا الهنداالشب
العايق ورأوا جاموسة منقبة بكيب فقالوا ما للصبية النصيفة الا النقاب الرفيع قال الشاعر

رأيت مجرزما فى قاع بئر * وآخر أبرصا يخرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

(وأما الحضرية) وهى التى يستعملها أهل المدن خصوصا العلماء والظرفاء وهى من الصوف الرفيع
اللطيف يجعلونها مخصورة الآباط مفتوحة ويقال لها جبة مفرجة بتشديد الراء لكونها انفرجت
من مقدم الشخص وبان ما تحتها ويصنعون لها السجاف الحرير وغيره حتى تصير أعجوبة للناظرين
وبهجة للابسين فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قدمأنوس وجعل نساءهم
زينة للنفوس (كما فى المثل) الاساس بحسب بانيه وكل شئ يشبه قانيه فالانسان نشأ
على الطبع الذى جبل عليه وشبه الشئ منجذب اليه قلت فى المعنى

رايت

رأيت بخده ماء ونارا * وذاك الورد منتثر عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه

(ثم ان الناظم) لما علم أن القمل والصيبان وغيرهما الكائن في طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته أراد أن يشبهه بشيء يناسبه في الكثرة واللون فقال (شبه النخاله) وهي قشر البر والشعير الذي يعلو المنخل عند النخل وسيأتي تعريفها واشتقاقها وهذا الشبه يعطي حكم المشبه به من وجهين الاول أن القمل ابيض والنخالة كذلك الثاني أنه اذا تراكم على بعضه البعض يرى في العين كثيرا كما ترى النخالة فكان تشبيهه بها هو المناسب وهي مشتقة من النخل أو المنخل او المنخال * قال في القاموس الازرق والناموس الابلق شعر

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير أقوى نفعا لانها اذا نقعت في الماء وسخنت بالنار وشربها من يشتكي وجع الصدر أبرأته باذن الله تعالى وقوله (يجرفوه) أي القمل والصيبان وتوابعهما المتقدمة (جريف) أصله جرفا لانه مصدر حذفت ألفه وزيد فيه الياء لاجل الضرورة أو أنها لغة ريفية فلا اعتراض وهو مشتق من الجرف او من المجرفة او الجرافة (فان قيل) كان حق الناظم أن يرجع الضمير لاقرب مذكور وهي النخالة وكان هذا هو الانسب (قلنا) لعله عدل من تأنيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن أو يكون من باب الترخيم كقوله

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان أنت قد أزمعت صرمافأجملي

أو أنه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف فلا اعتراض عليه (فان قيل أيضا) ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان قد انحصرا في طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منهما شيء واذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منهما (قلنا) يمكن الجواب بأن يقال ان قوله في طوق جبتي أي غالب القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة في الجرف ولا يلزم من هذه العبارة أن بقية جسده سالم منه بل اذا كان في طوق جبته بهذا المقدار فيكون شيء منه في الجسد من باب أولى لان الجسد محل معاشه وغذائه من مص دمه وشرب أوساخه وانما القمل من شأنه أن يسرح أولا في الثياب ثم ينتشر على البدن يمص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد الى أعلى الثوب أو الجسد فمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما أن الآدمي اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دأبه كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاي شيء لم يتعرض الناظم للشكوى من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيأ منها مع ان لكل منها أذية وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثير كما في المثل * ان البقة تولد ميه وتقول يا قلة الذريه * فانه في الغالب لا يهوى الا بلاد المدن لعلو اماكنها وكثرة أخشابها وطليها

بالحضر والجبر لانه يعيش بها ويتولد فيها وبلاد الارياف ليس فيها شئ من البناء العالى المكلف وان وجد فى القرية فيكون دار الشاذ بها أو دار الملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما يبيت غالبها من الكرس والوحل وربما كان فيها الجلة أيضا فلهذا لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى أماكنهم (وأما النمل) فانه وان كان موجودا فى بلاد الارياف لكنه لا يهوى الا المحل الذى فيه بعض الادهان كالسمن والزيت ويهوى الشئ الحلو كالعسل والسكر فيأتى اليه ويشمه ويكون قوته الشم كما ذكره صاحب حياة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقى الماء قال الشاعر

لا تجعلونى ككمون بمزرعة * ان فاته السقى أغنته المواعيد

(والناظم) لم يرى للنمل اثرا فى بيته لقلة ما فيه من الحلو والادهان بل لعدمه بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا فى ثوب ولا موضع فكان منعه عنه بهذا السبب (وأما البعوض) فانه وان كان موجودا فى بلاد الارياف لكنه يأتى اياما ويذهب بخلاف القمل والصيبان فان أذاهما دائم مستمر فى الثياب وغيرها كما تقدم والشئ اذا كان يؤذى قليلا ويغيب كثيرا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببا لتركه الشكوى من الجميع فاتضح الجواب * (فائدة) * اذا نقع الحنظل فى مقة الغزل بعد استوائه ورش بها فى المحل وهى حارة قتلت البق ولم يبق منه شئ واذا ظهر النمل فى محل فيه البق أكله قال الشاعر

أكل البق الذى * جسمى ما حل بقه جبت النمل ساعدنى * فما خلا ولا بقه

(وأما النمل) فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى أن الشخص اذا أكلته قملة أو قرصه برغوث أو شئ مما يؤذى يسرى ذلك الاذى فى سائر جسده ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل أو البرغوث ونحوهما لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله فادرا ما مات فى الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا ما يدخل البرغوث فى اذنه فيمكث قليلا فى حركة وأذية ويخرج بسرعة أو يموت فما وجه ذلك (الجواب الشربوى) أن يقال ان الجسم باطنه وظاهره فى التألم على حد سواء لان الروح سارية فيه كسريان الماء فى العود الاخضر فاذا حصل الاذى فى ظاهره تألمت الروح وسرى الالم فى جميع الجسد ظاهرا وباطنا وأمثل للمثال الافشرويا * وهو أن الشخص اذا حبس فى خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتألم ظاهرا وباطنا خصوصا اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها أو ضرط فيها أيضا فتصعد تلك الروائح الى العلو فلا تجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتضر ضررا بليغا خصوصا صاحب اللحية الطويلة العريضة ما لم يكن عرضها ضرطولها فيخفف الضرر أو قل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة أخرى ابتلى بها وهى فى الجملة أشد ضررا من القمل والصيبان لكونها من جهة الاقارب فقال

(ص) ولاضرني الاابن عمي محيلبه * يوم تجي الوجبه على تحيف

(ش) قوله (ولاضرني) أى ضررا زائدا على ما تقدم (الاابن عمي) اخو والدي وهو مشتق من
العموم لان نفعه يعم أولاده واولاد أخيه لانه في حكم الاب لهم اذا فقدوا الدهم ولهذا تسميه العرب أبا
(قال) بعض المفسرين في قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر ان المراد به عمه أو من العمامة لعلوّها
ووضعها فوق الرأس حكم التاج كما في الحديث * العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على
أولاد أخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبة وهي اناء يعمل من فخار أحمر
مجوّف البطن محصور الرقبة لها أذن واحدة وتعمل بأذنين أيضا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب
اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف (والحاصل) ان الاواني المعدّة للحلب على أقسام محلبة
ومحلاب وهو على ثلاثة أقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب أطول من المحلبة وأوسع منها فما
وأضيق بطنا وقعره يشبه قعر القادوس صغير جدّا وربع وهو اناء صغير يأخذ في الكيل قدر ربع المحلبة
وقرقوفه بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر الفاء وسكون الهاء في آخرها وهي تشبه المحلاب في
صغر القعر الا أنها محصورة الرقبة واسعة البطن جدا مثل المحلبة ولها أذنان أو أذن واحدة وأكبر
أواني اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهناك اناء آخر يقال له الكوز يباع به اللبن في بلاد المدن كما شاهدنا
ذلك وهو ثقيل في الجرم قليل في البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على
وزن قبط سمي بذلك لكونه مقسطا بالوزن أو الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن بوز لانه يشبه
بوز البقرة أو العجلة في وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض يقال كزت الارض على المحراث اذا
عضت عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه هكذا رأيته في القاموس الازرق والناموس الابلق
فالكوز اذا وضع فيه اللبن أو الماء يقبق وتألم يشكو ما ناله من ألم النار وما قاساه من العناء حتى صار
فخارا قال الشاعر ما يقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار
فكان القياس الغطيسي من هذا القبيل فهذه الاواني معروفة عند أهل الريف هي وغيرها ومنها
الزير والتمنة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والمحلاب ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم
تعريف أسمائها واشتقاق بعضها فما معنى القرقوفة وما أصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا
الاناء وما مناسبة ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الاول) ان هذا الاناء عمل في زمن القر بكسر
القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وفوا حرقه في زمن الصيف فصار يقال قروفه أى هذا الاناء
وفي حرقه وتم أمره ثم انهم حركوا الراء من قر مع ضمها مشددة وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه
وقالوا قرقوفه فصار مركبا من اسم وفعل (الثاني) أنها لما أتى به وهو جديد ووضعه الحلاب بين رجليه
وحلب فيه اللبن فصار يفور وتحلل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج الاناء
فصار ينادي اللبن قرّ فيه قرّ فيه أى اسكن فيه واستقر ثم زادوا في هذا اللفظ واوا بين فعل الامر

والجار والمجرور وحذفوا الياء المثناة من تحت لثقلها في اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروفه فسمي بذلك (الثالث) ان طينته في الاصل أخذت من محل قريب من قرافة مصر فصار وا يقولون انا قرافي ثم انهم اشتقوا له هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروفه (الرابع) انه مشتق من القرفة بكسر القاف وهو نوع من البهارذكي الطعم والرائحة يدخل في الاطعمة الفاخرة والمآكل النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه (الخامس) ان الاسماء لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابحاث القشرويه وهذه الخرافات الهبالية فاتضح الجواب وبان الصواب (وأما) سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى أقوال (أحدها) ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لآخر هات المحلبة فسمته بذلك تفاؤلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا (الثاني) ان أمه أتت بولد قبله وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت أن تسميه باسم أخيه فانتقت اللفظ وصغرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك (الثالث) ان أمه لما ولدته زارها انسان بحلبة جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لي من هذه المباحث القشروية والخرافات الهبالية وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضيء المشرق بسبب اضاءة الشمس الذي يصام شرعا كما لا يخفى وقوله (تجي) من المجيء وهو الحضور (الوجبه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرد طلوع المشد أو الملتزم أو النصراني الى الكفر أو البلد فتوزع على الفلاحين بحسب ما يخصهم في الارض من القراريط والفدن ونحو ذلك فمنهم من يكون عليه في الشهر يوم ومنهم من يفعلها في كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها في كل ثلاثة أيام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها فلا بد منها في كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصراني ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم و يلتزم بأكلهم وشربهم وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمونه عليه من المآكل من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا ألزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد ونسر به ضربا موجعا وربما هرب من قلة شيء يصنعه فيرسل المشد الى أولاده وزوجته ويهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المرأة شيأ من مصاغها أو ملبوسها على دراهم وأخذت بها الدجاج أو اللحم وأطعمتهم وأحرمت أولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من أنه لا يكفيهم مثلا وقد يربي الفلاح الدجاج فلا يأكل منه شيأ ويحرم نفسه وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البليه ويطبخ بالشيرج ويأكل الخبز الشعير ويصنع لهم القمح الزريع ويأكل الجبن القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحالوم ويرسله في الوجبة كل ذلك خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبة لكونها صارت على الفلاحين حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلا بد من فعلها للمشد بالقرية أو النصراني

أو الملتزم اذا احضر كما تقدم بيانه واذا أسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلتها شيأ معلوما من الدراهم
وأضافها الى المال و يلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية تؤخذ منهم كل عام فهي من أنواع الظلم والاكل
منها حرام ما لم تكن من الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشئ من
الارض أو غيرها في مقابلة ذلك و بعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيأ لا للمشد
ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشئ من عند أنفسهم فعلى هذا لا تكون حراما و يحل الاكل منها ومثل
الوجبة غرامة البطالين واستخدامهم بغير أجرة ما لم يكن عن رضا منهم في مقابل السكنى وترك الزرع
ونحوه فكل ما كان فيه اضرار الناس فهو حرام قال الشاعر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من باس
الا اثنتان فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

(فان قيل) ان الامير أو غيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين
وغير ذلك مما هو من أنواع الظلم فيجعل ذلك على أهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة
فهل يكون الاثم عليه أو على من أحدث هذا قبله أو عليهما معا (الجواب) ورد في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد أي من أتى بشئ لم يكن
موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد أي مردود ومعناه باطل
لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق بين أن يكون أحدثه بنفسه أو سبقه به غيره فالاثم على كل من
فعله أو أمر بفعله اذ كل فعل لم يكن على أمر الشارع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث
حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما تناوله الحديث رد على ذوي العقول الفاسدة والحكم مع
الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب وبان الصواب وفي قوله (تجى الوجبه)
نوع من أنواع البديع يسمى التوزيع وهو أن يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجاء في كل كلمة من
ألفاظ البيت أو غالبه كقول الصفي الحلي رحمه الله في بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم في جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم في كلمتين فقط (ويقرب من
هذا المعنى) ما اتفق أن رجلا قلاء سمك كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير في غاية من الحذق
والفصاحة فارسله يوما اليها لتأتي الى محله فذهب الغلام حتى أتى محلها واخبرها أن معلمه يريدها
فامتثلت الامر وأرادت الذهاب معه فحضر زوجها في ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر
به أحد حتى أتى الى معلمه فرآه يقلي السمك على جاري عادته والناس حوله يطلبون منه السمك
المقلي فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمي فيه على الحاضرين فقال له يا معلمي
قولي من ذا السمك فاقلي جات تجي بجا ولم يجي بلت ولكن ترتجي لما يروح تجي (وتفسير) هذه

الكلمات ان قوله يامعلى فق لى أى تنبه لقولى واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلى أى بهذا الكلام لتوهم الحاذمر بن انه يريد شيأ من السمك أو أنه يطلب منه سرعة قليه و بين قوله فق لى وفاقلى الجناس المحرف المزيد وقوله جاءت تجيء أى أرادت المجيء وامتثلت الامر فجاء أى زوجها فى وقت ان أراد الذهاب ثم قال لولم يجيء أى زوجها لجت أصله لجاءت سهله للضرورة أى لحضرت اليك ولم تخالف أمرك ثم استدرك الكلام بقوله ولكن ترتجى أى حضورها من الرجاء وهو حصول الشيء على وفق ارادة الطالب لما روح زوجها و يخلو مكانها تجيء اليك و يحصل المطلوب والشاهد فى قوله جاءت تجيء فجاء الى آخره فانه كرر حرف الجيم فى كل كلمة كما لا يخفى (فان قيل) ان النصرانى اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون و يكرمونه و يرسلون له الوجبة و يتذللون بين يديه و يطيعون أمره ونهيه بل يكونون غالبهم فى خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك أم كيف الحال (قلنا) الجواب ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلل بين يديه و يكون الفاعل آثما بذلك مالم يخف منه ضررا واذية بأن يكون حاكما عليه ومتوليا أمره واضطر اليه فى أمر كقباض المال من النصارى فى بلاد الارياف وغيرهم فانهم مالكون هذا الامر بل ان بعض الملتزمين يولى النصرانى أمر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاح الا وهو يرتعد من شدة الخوف (كما اتفق) فى زمن الاستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد نفعنا الله به أن السلطان ولى شخصا من النصارى على اقليم مصر كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم فى موكب عظيم من الخدم والحشم و يمر على البلاد يقبض أموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة الاكل أو المبيت من شدة أذيته وقوة ضرره وكان لفرسه ركابين من الفولاذ مطلى بالذهب وقد جعل فيه سفوتين من الحديد خارجتين الى الخلا قدرا يسيرا ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه الا وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح و يقول له ادفع ماعليك من المال فى هذه الساعة فان أجاب وأحضر المال فى وقته كان والا ضربه بتلك السفوتين فيجرحه أو يخرق أجنابه فيموت وكان هذا دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله وارسل خلف رجل من أتباعه كان عليه بقية مال من خراج أرض يزرعها فلما حضر اليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل أمهلنى بقية هذا اليوم فأغلظ عليه وأراد أن يحرك الركاب و يضربه بتلك السنافيت يقتله فولى هاربا والنصرانى يتبعه على الاثر الى أن ألقى بنفسه بين يدى الشيخ وهو يحرق فى قمين جير لانها كانت صنعة الشيخ فى ابتداء أمره فقال له ما الخبر فقص عليه الامر فلم يشعر الا والنصرانى واقف على رأسه فقال له الشيخ أمهله بقية النهار فأغلظ على الشيخ بالكلام فاخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين وقام اليه وجذبه من أطواقه فبقى فى يده كالعصفور

وقال له يا ملعون الابعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين ضررك والآن قد زال اسمك وانمحى رسمك ثم اتكأ عليه حتى قصف ظهره وألقاه فى تنور القمين فاحترق ثم نظر الى جماعته نظرة الغضب فالق الله الرعب فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان وأخبروه بالقضية فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فساروا اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانى فقال له الشيخ وأنت ما حملك على توليته على المسلمين وتأمره بأذيتهم فزاد به الغيظ واراد أن يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسى الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسى دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر فى بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند والاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شئ الى حاله ثم أشار الى الملك فصحا من غشوته فلما أفاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدى تمن على ما تريد فقال له أنا لا أريد منك شيأ غير انك لا تول أحدا من النصارى على المسلمين ولا على أمورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى أحد من النصارى أمر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى أن احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم الآمالا

جعلوا أطباء وحسابا لكى * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشى على نفسه أو عياله ضررا منهم فى أمر دينى أو دنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى ببلدته فقال

يلوموننى فى عشرة القبط خلتى * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى

ولكننى صياد رزق بأرضهم * ولا بد للصياد من عشرة الكلب

وأما اذا خالطهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف ضررمنهم فربما دخل فى ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفى ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من أحب قوما حشر معهم وقوله (علىّ) بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) أى يميل علىّ ويظلمنى ويكلفنى ما لا أطيق فكان عليه هذا الضرر أشد من غيره الذى هو أذية القمل والصبيان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

أقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال

فكم عم أتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خال

(فانظر) الى هذا الشاعر اللبيب كيف أتى بالعم والخال وصف الاول بالعم واستخدم لفظ الثانى فى كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم

عداوة الاهل ذوى القرابه * كالنار يوم الريح وسط غابه

(وقال) على كرم الله وجهه العداوة فى الاهل والحسد فى الجيران والمودة فى الاخوان وأصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل أخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود (وفى الحديث) لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

لامات أعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد

ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه محيلبه الى شكواه من ابن أخيه خنافر لكونه أشأم منه وأضر عليه من ابن عمه فقال

وأيشم منه ابن أخوه خنافر * يقرط على بيضى بخلبة ليف

قوله (وأيشم) من الشؤم أو من التيشمة وأصله أشأم على وزن أبلم أو أقطم (وفى المثل) أشأم من طويس ويقال فلان مشؤم وذو تيشمة أى عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمى الخشب شوما لقوته وصلابته والعرب تهجو بالشؤم واللؤم (قيل) بنى جعفر البرمكى قصرا بديعا وزخرفه بأنواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه أياما فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى أعرابى يكتب على جداره بيتين من الشعر وهما

ياقصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش فى أركانك البوم

اذا يعشش ذاك البوم من فرحى * أكون أول من ينعاك مرغوم

فقال على بهذا الاعرابى فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملنى على ذلك الفقر والفاقة وصبية خلفتها كافراخ القطا يتعاوون من ألم الجوع وجئت لاستمطر احسانك وأرجو نوالك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا أتمكن من الدخول اليك فلما أيست دعوت عليه بالخراب وقلت مادام عامرا لاينلنى منه شئ فاذا خرب ربما أمر بهما آخذ منه خشبة أو شيأ من زخارفه فأنتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد أطال وقوفك وأضر بعيالك أعطوه ألف دينار لقصده ايانا وألف دينار لطول مكثه على باب دارنا وألف دينار لصبية خلفها كأفراخ القطا وألف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب وألف دينار لحلمنا عليه

فأخذ الاعرابي الخمسة آلاف دينار وعاد شاكرا وقوله (منه) بتشديد النون لضرورة النظم أى أشد وأقوى منه في الضرر على والظلم لى (ابن أخوه) أى أخو محيلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لسانه على هذا الوضع لكونه من أهل الريف وأيضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله (خنافر) مشتق من الخنفرة على وزن الخرخرة أو البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه ردد النفس في حلقه وأخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عاليا بخنفرة وبربرة قال الشاعر

وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا

وسمى بذلك لكثرة خنفرته عند النوم وهو مصدر خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عبابر واحدتها عبورة وأما أخوه فاسمه قادوس على وزن بعبوص وقادوس هذا خلف ولدين محيلبه وفساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن أخى ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناة من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها الفتان قال الشاعر ففيها ضرط الواشون جمعا * فصار ضراطهم فيها يفوح

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدة وقوة وأما القرط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو أخذ سنبله وابقاء أصله في أرضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضم القاف اسم لحلقة صغيرة من لجين أو فضة تعمل في أذن الصبي وهي ممدوحة خصوصا للولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة قال أبو نواس في مطلع قصيدة له

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة في درة بيضاء

أى أن هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف به صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة في لونها وهي في كاس يشبه الدرة البيضا من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما في يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى آخر ما قال وقوله (على بيضى) أى بيض الناظم لا بيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض أو من أبو بيض حيوان يشبه العنكبوت أو من بيضة القبان (مسئلة هبالية) ما الحكمة في تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما في الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب الشربوى) وهو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصا خصوان واحدهما خصا فاذا أخذت الخصا مثلا وأضفت اليه آخر صرت آخذا خصوين بلا خلاف فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصورة وهو اسم للزب فاذا قعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو في حكم الاب للخصيتين لانه لا يفارقهما وهما في حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ابا الخصيتين دائما في مقام الخضوع للذكر وهو في مقام الرفعة عليهما وهما

في مقام التدلي وهو في مقام الترقي وهما أيضا في مقام الاضافة وهو في مقام الرفع والنصب وأيضا له قوة في فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع القبب المسطحة وهما واقفان له على الباب تأدبا معه وهذا من علامة البر بالوالد (كما اتفق) ان بعض الشعراء قصد ملكا يستمطر احسانه فرآه في البستان فوقف على الباب وأراد الدخول فمنعه الحارس فنظر خلف حائط البستان فرأى جدول ماء يجري وينتهي الى محل تحت الحائط ينصب في فسقية كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فأخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت النارس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب ثم طواها ووضعها في قصبة فارسية وسد عليها بالشمع وألقاها في الجدول فأخذها الماء حتى ألقاها بين يدي الملك فتناولها وفك ختامها وأخرج الورقة فلما قرأ البيت تبسم وناداه ادخل يا خصا فقال الشاعر أدام الله الملك ما هذا الا عن وسع عظيم فأعجبه كلامه وأنعم عليه وارتشا كرا (قلت) ويذكر مصادفة هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغوري رحمه الله غضب على انسان وأراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتي بها فلقيه رجل من أصدقائه وهو على سلم الديوان فقال له بلغني أن الملك عمل عليك ألف دينار فقال لا على الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة آلاف دينار وأنعم عليه ومضى الى حال سبيله (وقد يطلق) لفظ الخصا على الذكر أيضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والغرمول وغير ذلك لكن أشهر أسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الانس فيما جرى بين الزب والكس وهي

لي عندهم أسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر
وخامس الاسماء أدعى بالخصا * اذا غضبت خلتني كالعصا

ويلقب بالاعور والافطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج ويكنى أبو الجلات وأبو الصدمات وأبو الهيازع وأبو الزلازل ونحو ذلك واذا أطلق الانسان عنانه وأطاع هواه ألقاه في أشد المصائب قال ابن عروس رحمه الله تعالى

الناس في الله تاهوا * والاجواد شاعت تناها ماضرني غير بطني * والي مدلى حداها

وقد تشبه الخصيتان بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

يارب زول عنا ياربا * يارب أهلك شيخنا الادبا كان خصيتيه اذا كبا * دجاجتان يلقطان حبا

فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما يجاوره وخصيتين على وزن ضرطتين أو شخختين فيكون فيهما الضرطة والشخة سقين واشتقاقهما من الخص بضم الخاء المعجمة أو من قرية تسمى انا صوص أو من قولهم للكلب أخص مثلا ومصدرها خصا يخصو خصاء قال الشاعر

انتهى الجواب عن هذه المباحث القشرويةو الاشكالات الهبالية وقوله (بخلبة ليف) أى ربطة قوية دائرة على بيضمرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمى بذلك لكونه ملتفا على أصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على الشئ فلا ينفك منها الا بعسر وفى اصطلاح الرعيان أنهم اذا أرادوا ربط شئ بمكنة يقولون اخلب عليه خلبة الوتد أى لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك منه وهى مشتقة من خلب الزرع أو من مخلاب الطير أو من البرق الخلب بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الذى لامطر فيه قال ابن العربى نفعنا الله به

كل الذى يرجونه الك أمطروا * ما كان برقك خلبا الا معى

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شيبه قبل أوانه فقال

ص ﴿ومن نزلة الكشاف شابت عوارضى * وصار لقلبى لوعة ورجيف﴾

قوله (ومن نزلة) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا فى محل واستمروا فيه زمنا كما يقال نزلة بنى فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازى ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة وأما النزول فمعناه نزول الشئ من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود وهو الترقى من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى أعلى الجبل ونزل الى أدنى الارض قال امرؤ القيس يصف فرسا شجاعا

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله (الكشاف) جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقاليم المتولى عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد الجسور ويعكس النهور ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كل كاشف تولى فى قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمر على البلاد واذا أقبل على قرية يقرع الطبل فيخاف منه أهل البدع وأرباب المفاسد ويرحلوا هاربين خوفا منه ورعا وقعوا فى يده فيعاقبهم بما يستحقونه من قتل أو حبس أو ضرب أو أخذ دراهم ثم ينزل على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول ويأتى اليه مشايخها ويقفون بين يديه فى أشد ما يكون من الرعب والخوف ويستخبرهم عن أحوالهم ويسالهم عن أرباب المفاسد وأصحاب البدع ويلزمهم بالقبض عليهم اذا لم يكونوا فى القرية ثم بعد ذلك يسرعون له فى الاكل والشرب والتقاديم على ما جرت به العادة واذا وقع فى قرية فتنة فيما بينهم أو قتل أو خروج عن طاعة أستاذهم أو قائم مقام القرية هجم عليهم بامر الوزير وأحرب القرية وقتل منهم من يستحق القتل وأزال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم رحمة وسيره كشف غمة مالم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على الناس من نهب متاعهم وأذيتهم وتكلفهم فى المأكل والمشرب فوق طاقتهم والافيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاربابه الا ان سمحت نفوسهم بذلك فلا بأس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره أى ومن

تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لى منه من الرعب والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصة وخوفى من هذا الامر أن ينالنى منه ضرر (شابت عوارضى) لضعفى عن مقابلة الكشاف وعجزى عن شئ يأخذونه من دارى من جلة للطبخ أو غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء وترجف الجوانح وينبت الشيب فى غير أوانه (والشيب) كرامة من الله تعالى لعبده ما كرمه به وأول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام شاب نصف لحيته فقال يارب ما هذا فقال هذا وقار لك فى الدنيا ونور لك فى الآخرة فقال يارب زدنى من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفى الحديث ان الله يستحى أن يعذب شيبة شابت فى الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه نوبه من أمامه

وقارب عند المشى فى خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

وقال آخر وأجاد تبسم الشيب بوجه الفتى * أوجب سح الدمع من جفنه

وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وفى هذين البيتين الطباق اللفظى كما لا يخفى (والشيب) مذموم عند النساء قال هرون الرشيد لزوجته ما تحببين من الرجال فقالت من خده كخدى وأيره كزندى قال فاذا التحى قالت يطرق الحدقة ويجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت ييسر على الخناق أو يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم وصاحبه من أنس الغانيات محروم خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم

سألونى عن حال النساء فانى * خبير باحوال النساء طبيب

اذا ابيض شعر المرء أو قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم وقال القاضى الفاضل رحمه الله

تعجبت حين راح سعدى * من بعد نضو الخضاب حالى

قالت أهذا الذى أراه * غبار طاحونة بدا لى فقلت لا تعجبى فهذا * غبار طاحونة الليالى

أى انها تكدرت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحونة قد لاح على وجهه وغير لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضى تكدر صدرها وطى بساط أنسها فاجابها بقوله لا تعجبى من اسراع ظهوره فان عجائب الليالى واستنتاجها المصائب المشبهة عندى دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار الذى ترينه فلا تلومى واصبرى على ما يليق به (وبعضهم) شبه حدوث الشيب فى لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها فى السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش فى وكريه ضاق له صدرى

(ومنهم)

(ومنهم) من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله في أول قصيدته

يا ظبية أشبه شيء بالمها * راتعة بين العقيق واللوا
أما ترى رأسي حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا
فكان كالليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التي تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال رأوا في الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكره الشيب في العارضين أولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء لان أول ما يشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقة قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضين * وشيب اللئام من العنفقه
وشيب الرؤس بما في النفوس * وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه ثم جرى في بقية لحيته يقين فذكر الاصل والفرع تابع له * وأما الحاقه تاء التأنيث في الفعل فهو جرى على لغة الريافة والناظم منهم وأيضا لو قال شابا عارضي أو شاب واعوارضي لاختل الوزن فراعى لغته ووزن الكلام (مسئلة هبالية) لاي شيء قال ومن نزلة الكشاف ولم يقل ومن نزولهم لئلا يتوهم سامع بليد الطبع انها النزلة التي تعترى الانسان من حصول برد يحصل به فينزل في رأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواؤها ان تدهن الجبهة ببياض البيض بمزوج بالمصطكى فانه يخفف ذلك وما الحكمة في انه أتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقه أن يأتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

شواربك والعنفقه * في طيز كلبة مطلقه والحس خراها بافهيم * ومن مزمز بالملعقه

(قلنا الجواب الشرى) أن النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وأيضا الاثنى ألطف من الذكر في الذات والصفات وان كان الذكر أشرف وأيضا الفلاح عنده العجلة أو البقرة أكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا أن الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفساق فانا على حد قول أبي نواس رحمه الله

عجبت لمن يزني وفي الناس أمرد * أليس ركوب الفحل في الحرب أجود

وأما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد من حيثية أن الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعب سرى ذلك في الجسد ونشأ الشيب منه فيكون على معنى ما قارب

الشئ يعطى حكمه أو على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال * والعارض مشتق من العرضية التى تلف على الرأس أو من عارضة الباب أو من العروض الذى يعترى الانسان من لمس الجن أو من العارض الذى يأتى بالمطر أو من عارض الجبل قال بعضهم قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض أو أنه سمى بذلك لتعرضه فى الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله (وصار) على وزن فار من الصيرورة أو من صارى المركب أو من الصرة التى تنقل فى كل عام الى الحرمين (القلبى) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل القشروى وقوله (لوعة) وهى شدة حرارة القلب وتلهفه من ألم العشق أو الخوف أو بعد المحبوب ونحوه كما قلت فى معنى ذلك

أواه واحربا من لوعتى وكفى * أنى أكابد زفرات باشجانى

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف أى رجفان لا يسكن ألمه ولا يهدأ تحركه من شدة ما نالنى من رعب نزول الكشاف وخوفى منهم كما تقدم ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف غرفا ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة أخرى ابتلى بها هو واخوانه الفلاحون وهى أشد عليهم من الامور المهمة فقال

ص ﴿ويوم يجى الديوان تبطل مفاصلى . واهرع على روحى من التخويف﴾

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجى) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب واسأل القرية أى أهلها وهو أن النصرانى اذا حضر الى القرية أو الكفر وفرد المال على الفلاحين حكم الجوالى والقوانين التى جرت بها العادة وشرع فى أخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب بمن لا يقدر على غلاق المال فمن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة أو يأخذ على زرعه الى أوان طلوعه بناقص عن بيعه فى ذلك الزمن أو يبيع بهيمته التى تحلب على عياله أو يأخذ مصاغ زوجته يرهنه أو يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصرانى أو لمن هو متولى قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه وخشى الملتزم أو المشد من خرابه من البلد أخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال أو يأخذ أخاه ان لم يكن له ولد أو أحدا من أقاربه أو يوضع فى الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه أحكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه ويهرب تحت الليل فلا يعود الى بلده قط ويترك أهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن

فأجبتها بتذلل . والقلب يعلوه الشجن هم المعيشة فرقت * بين الاحبة والوطن

فلا بد على كل حال من تغليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما فى المثل الذى اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام على الفلاح شئ من المال فهو فى هم شديد ويوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناجى ناجب وقسم خائن خائب

(فاما)

(فاما الاول) فهو صاحب عقل وسياسه وحسن تصرف ورياسه عقله رزين ملازم للصلاة والدين والزرع والغيط تارك للسندة مجنب الحيط له على جماعته الحماسه متجنب الرذالة والخساسه يباشر الزرع ويقف عند الحصيدة والقلع لا يتكل على خولى ولا مرابع ولا يركن لتوّار ولا مزارع بل يباشر الامور كلها ويعرف مرضها وعللها ويلازم المشد والاستاد ولا يسعى فى خراب ولا فساد فان أخذ من معامل فلوس لا يصرفها فى أمر معكوس بل على مصالح الزرع والبهائم والامر الذى عليه لازم وينوى السداد لصاحب الدين ويشفق على الفقير والمسكين ويفيق لاتّواره ويحفظ غيط جاره وينوى سداد المال ويتكل على العلى المتعال ويترك نفش الشوارب والجلوس على المصاطب يبارك له الديان ويسد مال السلطان وان جاءه المعامل أوفاه وان طلب منه ثانى مرة أعطاه وترتاح أولاده ويرضى عنه استاده ويعيش فى راحة ودين ويرضى عليه رب العالمين (وأما القسم الثانى) لا عقل ولا معروف عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفه فائق للشر والمقرفه بالنهار فى لعب المنقله وبالليل صاحب العتله لا يلازم الغيط بما للطعة مجنب الحيط نافش الشوارب قليل المكاسب عويل مهدار سفلاق فشار ان دخل فى يده فلوس فرقها على العتورة والنيوس لا يلازم مشد ولا استاد دائر فى العكس والفساد تيرانه جائعه وخيوله ضائعه لا يصرف الاشياط وعياط وزرعته مافيها الا ضراط يصرف من غير قانون منحوت مديون ممقوت مع استاده دائر فى غيه وفساده لو ضربه مقارع أو كسارات لا يخلى النط فى الدور والحارات ان قال له استاده على الصواب ينوى على الرحيل والخراب دائما فى مقت وكرب ولا يفيد فيه الحبس والضرب قنف معكوس محرال شر حرب البسوس لا يقدر على وفاء دين مكسور عليه الالف والالفين فتنة فى البلد عمره فى هم ونكد لا يوفى المعامل ولا له رأى كامل المقت منسكب عليه وشبيه الشئ منجذب اليه فلا خير فى حياته ولا يبكى عليه بعد مماته لانه طويل الكم فشار قليل الفرح فى الدار عترأ كال خره لا دنيا ولا آخره كما قيل

فهذا الذى ان عاش لا نفع به * وان مات لا تندم عليه أقاربه

(وأول) من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأول ديوان عمر بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم ينضبط على وتيرة واحدة وكان الخراج فى زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا أو عنوة على ما قيل جمع منها أموالا كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقية اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط مصر من كتم عنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه وسأله فأنكر فحبسه فى السجن وجعل عمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب من الطور فأرسل عمرو الى بطرس وأخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ

المال وعلى مكانه وذكر له ماشاء أن يذكره وجهز الكتاب مع قبطى وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوبا فيها الكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة التى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فأخذ المال وضرب رأس بطرس عند باب المسجد انتهى (وحكى) ان المرحوم السلطان سليم لما أخذ مصر من المرحوم السلطان الغورى فى رجب سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة جعل له قانونا ودوّنه بمصر (منه) انه لا يكتب شئ من مال الديوان على أحد من الجند ووافق ذلك رأى مولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أرسل الى نائبه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه يأمره بذلك (ومنه) ان الجند لا يسكنون فى بيت الملك (ومنه) انه لا يتزوج بمصرية (ومنه) أنه لا يقيم فى مصر أكثر من سنة وبعدها يجهز الى مكان آخر (ومنه) ان الجندى لا يجمع بين الحكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندى المثبت فى الديوان أصحاب الجوامك والعلوفات وأول من جبى خراج مصر فى الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وكانت جبايته اثنى عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعد بن أبى سرح خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما يا أبا عبد الله درّت اللقحة باكثر من درها الاول فقال له سيدنا عمرو أضر رتم بولدها (وهذا الذى) جباه عمرو وعبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج (وكان) خراج مصر فى زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة أصابع أربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة انصاف (واعلم) أن مصر كانت قبل الاسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة فى كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستين قرية فخرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت بمجىء الاسلام وفيها أربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شئ (ونقل الاستاذ السيوطى) أن سيدنا عمر بن الخطاب كتب الى سيدنا عمرو بن العاص يقول له اياك ان تكتب شيأ من مال الديوان على أحد من الجند الحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشئ بما يصير اليه وسمى ديوانا لاقامة الدين فيه باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم أو لحضور ما دون الملك فيه أو لجمعه على أجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا أنشأه شخص ديوان فنزول الديوان فى البلد على كل حال أمر مهول على الفلاحين ومصيبة على المقلين والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين المنكسرين فى مال السلطان كما سيأتى فى قوله ويادوب عمرى فى الخراج وهمو وان الدهر والزمان مال عليه وصيره فى هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه انى اذا حضر الديوان أو قرب حضوره داخلنى الخوف واعترانى النزع ودهمتنى الداهية الكبرى ولحقتنى طربة عظيمة

لعدم شئ من الدراهم أورده فى مال السلطان أو لخوفى من العقو بة والحبس فبسبب ذلك (تبطل) أى ترتخى وتسكن ويقل نفعها (مفاصلى) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو وقد ذكر اسقاط المفصل فى قول أبى نواس لما احتضر

لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت ومغرم تضرم أحشاؤه * بالنار الا أنه ساكت مافيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه ألم ثابت رثا له الشامت مما به * ياويح من يرثى له الشامت

فنى هذا نبه الناظم على هذا الامر الذى حصل له لعجزه عن دفع ماعليه من خراج الارض ولكونه لا يمهله النصرانى ولا يرثى لحاله ولما كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا لبعض الناس قال (واهر على روحى) أى على ذاتى لا الروح السارية فى الجسم من شدة الطربة وهم (التخويف) أى تخويف جماعة النصرانى أو المشد أو الخوف الذى يصيبنى يعنى ان الطبيعة تلين من انحصار هذا الهم وشدة تلك الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هرار الطين بعد أن كان اذا ضربته فى الحائط رد فى وجهك من يبسه فيسيل على ذاتى وثيابى فلا أتمالك دفعه لانه يتدفق بسرعة من شدة الخوف * والهر واحد الهرار والهرار على وزن الجرار واحده الهر من قولهم هر عليك الحمار أو هرت على جيتك الكلبة أو هر على ذقنك الكلب مثلا ويقال هر التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى أكوام الرمل نظرت فيها الهرار بيقين أو هو مشتق من الهرة التى تصيد الفار وتسمى بلغة أهل الحجاز البسة بضم الموحدة وبلغة أهل مصر القطة ومصدره هر يهر هرارا ثم ان الناظم نبه على انه لم يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب عما دهمه والاختفاء منه فقال

ص ﴿وأهرب حدا النسوان وألتف بالعبا * ويبقى ضراطى شبه طبل عنف﴾

ش قوله (واهرب) أى أنا لا أجد غيرى (حدى) أصل بالمد والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشئ أى جانبه أو مقابله وقوله (النسوان) أى عندهن أو محاذى لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التأنس أو الانس أو المؤانسة لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء أنس بها وسعى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب قيل مر بعضهم بامرأة جميلة فانشد يقول

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فأجابته بقولها ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهى شم الرياحين

(والنسوان) على وزن الجروان والنسوة على وزن القهوة أو العجوة والنساء على وزن الكساء وقد

يأتي فيها القساء أيضا والمعنى أني اخشى على نفسي وأخاف عمادهاني فامضي بسرعة وأنأى هذه
الحالة وأهرب أي أنطلق بسرعة الى النسوان وأختفي بينهن أو اجلس بجانبهن أو مقابل لهن كما في
المثل الهروب نصف الشطاره وقد هرب عنترة مع قوته وشجاعته وقال اعاير بهذا ولا أقتل
فالشخص اذا خاف من ظالم أو أحد يؤذيه وتمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك
قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (ومما نقل من الامثال) جدع قصير أنفه وقصير اسم
رجل وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش الذي هو أول من اتخذ الشموع وأوقدت بين
يديه وكان له أخت جميلة زوجها العدى أحد ندمائه حال سكره فلما أفاق عدى وهرب أتت منه بولد
اسمه عمرو فتربى عند خاله جذيمة الابرش وأحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة أغار على أبي الزباء فقتله
واستولى على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى استخلصت
منه بلاد أبيها ثم انه أرسل لها يخطبها فأجابته فاستشار خواصه فمنعه قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل
وذهب اليها بالاموال والجهاز فأمرت عسكرها بأن يتلقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره
ففعلوا فلما رأى قصير ذلك ركب فرس جذيمة الابرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة
وأدخلوه عليها فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنة وقالت له أجهاز عروس ترى فقال بل جهاز أمة
بظراء فأمرت الجوارى أن يفرشن له نطعا وأجلسوه عليه وفصدوه في جميع عروقه حتى فرغ دمه
فمات ثم ان قصيرا سعى في أخذ ثاره بحيلة جدع أنفه واذنيه وذهب اليها مستجيرا من عمرو ابن اخت
جذيمة الابرش لانه تولى المملكة بعد خاله فقبلته وأحبته وملكته ثم انها أرادت غزو عمرو فقال لها
عندى من السلاح والاموال شيء كثير فجهزته ليأتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد أصبت الفرصة
وأعطاه ألفي رجل بسيوفهم في صناديق عملوه ذهبا وسبق قصير فأخبرها بذلك فجلست في محل عال
تنظر للجمال بأحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت تلك الابطال بسيوفهم وكان في
يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى
عليه السلام (فان قيل) لاى شيء اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع أن النساء
لا يقدرن على دفع الاذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم
ذلك (قلنا الجواب من وجهين) الاول لما دهمه هذا الامر وأتاه الديوان على حين غفلة وارتخت
مفاصله وحصلت له حالة الهز على روحه كما تقدم ولم يستطع النهوض ولا المسير الى أحد من
الرجال يختفي عنده أو الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة خوفه وكثرة هراره على نفسه
وضراطه عليها أيضا اذ هو من لوازمه كما سيأتي ورأى هؤلاء النسوة قريبا منه أو من محله فتوارى بينهن
(الثاني) يفهم منه انه كان ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا على شيء من
أمور الرجال وخشي أن يمضي الى أحد من الناس أو من أقاربه فيدل عليه النصراني فيأخذه

ويشوش عليهم وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم أمان ولا عشرة حسنة مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فكل شئ له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شئ آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد

وأيضا النساء غير متهمين بهذا الامر فاذا رآهن أحد قد اجتمعن فى محل لا يشك أن بينهن رجلا الا ان ظهرت له قرائن تدل عليه وربما منعه الحياء منهن عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضى الله عنه عند النساء فى بعض الغزوات لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور فى السير فاتضح الجواب ثم انه لما كان هروبه عند النساء يحتاج لشئ يواريه من الاعداء ويستره عن الاعين قال (والتف بالعبا) أى وقت جلوسى بين النساء أو بجانبهن أو قبالهن التف فى العباء أو أرقد بعدلق فيها الاطرد عنى الوهم بالتفافى بها فان الخائف أى شئ رآه توارى فيه سواء كان عباء أو ثوبا أو شيأ يواريه عن الاعين بل ربما تزيا بزى النساء واختفى عن عدوه ونجاه الله تعالى منه (كما تفق) أن بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو فى القرية الفلانية فأرسل له بعض الامراء بطائفة من العسكر فدخلوا القرية وأحاطوا بها فلما عرف الرجل أنهم يريدوا أخذه للملك تزيا بزى النساء وخرج فى جمع منهن ينوح ويبكى ويصيح وهن يخرجن معه فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فأقبل جماعة وسألوهن فقلن مات لنا ميت فى القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلى سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى أن جاوز العسكر ومضى الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك (ومثل هذه الواقعة) ما اتفق لى أنى كنت فى سفينة مسافرا من بلدى شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسجد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن فى زى خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة خذنى ويتذلل له ويتداخل عليه أنه يأخذه وهو فى كرب عظيم فامتنع رئيس السفينة من أخذه وخشى أن يكون خلفه أحد يفتش عليه أو يأتى فى أثره وكان فى السفينة ثلاث من النساء وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا رئيس غلام مكروب يسألك فى أخذه فلم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وأنا أصنع له حيلة توارية عمن يطلبه وأخفيه بين بناتى ولا يعرفه أحد فسمع الرئيس كلامها وأخذ الغلام فلما صار فى السفينة أخبر أنه كان فى خدمة بعض الامراء وانه استغفله وهرب ولابد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فأخذتها وأخفتها فى حوائجها وألبسته لبس النساء وأجلسته بجانبها فبينما نحن فى هذه الحالة واذا بأمير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينة وقال للرئيس ادخل البر حتى أفتشك فانه هرب لى غلام فى هذه الساعة ومعه ألف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من فى السفينة فى خوف من هذا الحال فطلع الامير وأعوانه وفتش السفينة والمرأة تقول هذا شئ ما رأيناه قط وانما رأينا

غلاما يجرى من بعيد الى الجهة الفلانية فمنعه الحياء وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشئ وأما الغلام فانه مكث معنا فى المركب الى أن طلع مصر وذهب الى أهله سالما والناظم لما رأى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج فى الشئ واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة أهل الريف يقال فلان لف متردعدس أو متردبيسار يعنى انه أكله ويقال داهية تلفك مثلا فالناظم اندرج فى العباءة المذكورة فليوهم من رآه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك أن داخلها أحدا والعباءة كساء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفة الالوان يجعلها أهل الريف فراشا فى الصيف وغطاء فى الشتاء فهى مناسبة للفصلين وهى أفخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباء فى قول سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه

نحن أصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين

والعباء مشتق من عب الماء لانه اتعبه اذا ألقيت فيه أو من عبوب البحر أيام النيل أو من أبو عبية كنية لبعض الفراريج الصغار يكنيه نساء الارياف بها ومصدرها عب يعب عبا وقوله (ويبقى) أى عند هذه الحالة التى أنا فيها وهى انسهال الطبيعة وسيلان الهرار على تنسى من عدم الامن وشدة الخوف وأنا ملفوف فى هذه العباءة ومندرج فيها (ضراطى) أى صوت الريح المتلائم فى بطنى من أكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربان الاعضاء ورجفان القلب (شبه) أى يشبه صوت قرع (طبل) وهو جلدة مركبة على خشب أو نحاس تقرع عند المواكب والتحام الحرب له دوى شديد ورعب زائد وكله حلال الا الكوبة وهى طبلة صغيرة مخصورة الرقبة وتسمى أيضا بالدرابكة وطبل الرق يستعمله أرباب الملاهى وكذلك الزمر كله حرام الا النفير وقوله (عنيف) أى شديدا الضرب يقال فلان عنف فلانا يعنى انه ضربه أو أدبه والمعنى أن صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل يضربه رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب أو أن مراده الطبل العنيف الكبير مثل النقارة ونحوها لكونه لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العبارة أن الضراط فيها على أربعة أقسام (الاول) ضراط يخرج رقيقا ضعيف الصوت ممتدا بصوت ضعيف (الثانى) ضراط يجول فى البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت (الثالث) ضراط يخرج ممتزجا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها (الرابع) ضراط يخرج بعنف وله صوت عال ينزع القلوب وهو الذى نبه عليه الناظم وصرح به ولكل قسم من هذه الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه أرياح لطيفة تتولد فى بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليتين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقتها للطف المأكل قال الشاعر .

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف المأكل

وهذا ينشأ من أصحاب الاجسام اللطيفة وأرباب المآكل الخفيفة (والثانى) ضراط يجول فى البطن

بقرقرة وربما وقف فى وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لا ينضج وسببه من المآكل الغليظة واذا نضج أسرع فى الخروج وقبل نضاجه اذا خرج منه شئ يكون فساء وفى هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر

يخلط فى المأكول طول نهاره ✽ وفى الليل تلقى بطنه يتقرقر

(كما اتفق) ان رجلا أتى الى طبيب فقال له أحس فى بطنى معمعة وقرقرة فقال له أما المعمعة فلا اعرفها وأما القرقرة فضراط لا ينضج فاذا كان الريح يجول فى البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له مغص يعالج بأكل شئ من الشيح أو الصعتر المغلى بالسكر فطورا وربما مكث يوما كاملا أو ليلة كاملة (كما اتفق) لابن الراوندى عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى أن يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح متوكئا على عصا له فسمع رجلا يقول اللهم ارزقنى ألف دينار فقال له ياسقيع الذقن أنا طول ليلى أطلب منه فسوة فلم يعطها لى أيعطيك ألف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال مغصة فليلة الفساء (قال المسعودى فى مروج الذهب) فى ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ونعود الى مراتب الملوك ونسوق ما بقى من الممالك على البحر الحبشى الذى شرعنا فى وصف من عليه الى أن قال فى آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون من اظهاره فى سائر احوالهم وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذى وان ارساله شفاء ينجى وان فى ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وان فيه دواء للسقيم المطحول ولا يحتشمون الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا (وذكر هذا الخبر) عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء على وزن الفساء اقبح منه (واستشهد هذا الخبر) على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار القول فى ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك عنهم فى السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندى ✽ مقالة ينتج منها قصدى

لا تحبس الضرطة مهما حضرت ✽ وخلها وافتح لها ما استفتحت

فان أدوى الداء فى امساكها ✽ والروح والراحة فى اخراجها

والقبح فى السعال والمخاط ✽ والسوء فى الفساء لا الضراط

أما الجشاء فساء صاعد ✽ وتنسه عن الفساء زائد

(وأن الريح) واحدة فى الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى أسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال

اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم سرور واجلسه الى جانبه ودعا بقوس رمى عنها وأعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابي فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابي فرمى بها مستحييا فقال عبد الملك دهينا في الاعرابي وكنا نطمع في أنسه واني لأعلم أنه لا يسكن ما به الا الطعام فدعا بالمائدة وقال تقدم يا أعرابي لتضرط وانما اراد لتأكل فقال له الاعرابي قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد امتحناه هذا اليوم فقال عبد الملك والله لاجعلنها مذكرة يا غلام ائتني بعشرة آلاف درهم فجاء بها فأعطاها للاعرابي فلما صارت له تسلى وانبسط ونسي ما صدر منه فأنشد حكيم ابن عياش الكلبي يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها بدورا
فيا لك ضرطة جرت كثيرا * ويا لك ضرطة اغنت فقيرا
يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
أيقبل ضارط ألفا بالف * فأضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الملك واجاز حكيم بن عياش بمثلها (وقيل) أقبل الصغيري على مجلس بعض الامراء واراد أن يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيري اذ ولى على عجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانما هي ريح لست تملكها * اذ أنت لست سليمان بن داود

(وهذا) كله من باب الحلم والتستر وابداء العذر عن الجالس في الحضرة اذا ضرط فيها قهرا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز في الضرطة ويقال

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وأما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة وسوء الادب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها أن يفعل ذلك ولو أراد به المزح مثلا (وذكر) في كتاب نزهة الابصار في أخبار ملوك الامصار أنه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد ايها الشيخ قال حائطا لي فقال هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجني الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصره في قشر جوزة وا كتحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة مزعجة ثم قال هذه أجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن دابته (ويحكى) أن هرون الرشيد وجعفر امر ا ببغداد فوجدا رمالا بعينيه احرارا

فقال الرشيد لجعفر ماهذا يا جعفر قال هذا رمّال فقال لابدّ من اختبار فتوجه اليه جعفر فقال ماصنعتك فقال ماترى من الاصطرلابات والادوية فقال لم لاتداوى عينيك قال داو تها فلم يفد فقال أصف لك دواء ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة أواق من عروق الهواء وثلاثة أواق من منزوع الماء ودقهما فى هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمّال مامرّ آنفا من أتى اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ماترى فقال بى أمراض أخبرك بها فقال له قل قال بشعر ذقنى مغص وما آكله من الطيبات ينزله من أسفل خبيثا وباطنى ظلمة فقال اما ما بلحيتك من المغص فعليك بالموسى واما ماتأكله من الطيبات فينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل خبيثا وأما ماتراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا لاجل مايتنور على استك وبطنك (وقد شاهدنا فى بلاد الارياف) أن الشخص اذا ضرط فى مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة فى الحائط التى يجلس بجانبها من جص او حجر حتى يراها كل واحد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بسبب هذا السبب من كثرة مايلومونه على مافعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء أخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان كتم الريح يشوش عليه وكان فى مجلس فلا بأس بضراطه فيه وينبغى مسامحته لهذه العلة (ورأيت فى بعض الكتب) ان سبب مالقب حاتم نفعنا الله به بالاصم أن امرأة جاءت اليه تسأله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم أعلى صوتك بالكلام فانى رجل أصم وكان كلامه لها من باب التستر عليها ففرحت المرأة وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر بذلك رضى الله عنه (واتفق لى) انى كنت أهوى غلاما جميل الذات لطيف الصفات فسيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وأنا مشغوف بجماله وراغب فى وصاله وكنت أترقب ان أخلو به ساعة من الزمان وان يجمعنى السعد واياه فى مكان الى أن صادفته فى روضة بالمشموم عابقه وتخيلها باسقه وطيورها بالتغريد ناطقه يرفل فى ثياب العز والامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبدأته بالسلام وأبديت له الغرام وسألته الجلوس فأجاب وما أحلى اجتماع الاحباب فلما استقر بنا الجلوس وأردت أن أتملا بقده المأنوس بين هاتيك الرياض الزاهره والروائح العاطره واحظى بحديثه العذب الرائق وبنطقه الشهى الفائق اذ أقبل علينا جماعة من أرباب الدوات الكثيفه والطباع العنيفه وجلسوا من غير طلب وخاضوا فى الحديث من غير أدب فخجل الغلام منهم وأطرق واعتراه الوهم والحنق وأراد أن يتحرك للنفار فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه بالقول لاغين فنظر الى بطرف كحل ووجه خجيل وقال ماتقول فى لوم هؤلاء الارذال فانشدت أقول بارتجال

لاموا الحبيب ومادروا * قصد الحبيب بما فعل
لما ازدرى جلاسه * ورأى بهم ذاك الثقل

ورأى التقوى معهم * بلطيف لفظ كالعسل فيه الخسارة أذهمو * أهل الكثافة والملل
نادا هم من استه * بلطيف صوت قد حصل كما يناسب حالهم * ومقامهم ذا الأقل
فتفرقوا عن مجلس * حاوى الغزال مع الغزل يا حبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل
رقت وراق محلها * من العواذل والعذل والحمد لله على * ذهابهم قد رحل
فاضرط وغنى وانبسط * واشطح وطب يا ذا البطل في روضة يا حسنها * بها السرور قد وصل
فكلما ترضى به * فالعبد عنه ما عدل لكن بحق المصطفى * غيرى فلا تأخذ بدل
فتبسم عن ثغر كأنه عقود الجمان ومال على بقد كأنه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبه وغرس في فؤادك شجر المحبه لأكون في يميني حانث ولم يدخل بيننا مدا الدهر ثالث ولم أزل أنا وإياه على هذا الحال حتى لحق بذي الجلال ❁ ومن اللطائف أن السلطان قانصوه الغوري مر يوما في شوارع مصر مختفيا هو والوزير فسمع رجلا من أرباب الدخول يقول لآخر مثله تفتخر على يا فلان وأنا اقدر أصور النغمات من طيزي فقال الملك لوزيره على بهذا الرجل فأحضره بين يديه فأخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بد من فعل ما التزمت به فقال له تعفو في يا ملك فإن الرجل في المخاصمة يقول ما شاء قال لا بد من صدق مقالتك وإلا قتلتك فقال تعطيني الأمان قال له ذلك فقال يكون في محل خال قال نعم فتحول الملك إلى قاعة الجلوس وأحضره وطاب معه في الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغوري له دراية بهذا الفن وألف فيه بعض رسائل فقال له أي نغمة تريد فقال الحجاز مثلا فحرك أليه وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد أخرى حتى أتى على جميع النغمات ونهز اتها ولم يترك شيأ يلام عليه فتعجب منه الملك وقال له مثلك لا يكون إلا رئيس مصر في هذا الفن ثم إنه أجازه بألف دينار وجعله رئيسا على أرباب الدخول كلهم ويقال إنه جد أولاد العتر المشهورين الآن (ومما حكى) أنه حضر بعض الخياطين عند بعض الأمراء ليفصل له قباء فأخذ يفصل والأمير ينظر فلم يتهيأ له أن يسرق شيأ فضرط الخياط فضحك الأمير حتى استلقى على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما أراد فجلس الأمير وقال يا خياط ضرطة أخرى فقال الخياط لالئلا يضيق القباء (وقد) اجتمعت برجل يقال له مفتي الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه متنوعا يفعله بإبطه وكان يفعل به أي نغمة كانت ويعمل منه أشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة أعجوبة لكل من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الأمراء مقبولا عند العظماء عفا الله عنه (فائدة فشروية) سمعتها من بعض أهل الخلاعة وهو أن إبليس لعنه الله يضرط في كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة أنفار أولهم من يركب زوجته ويزورها أضرحة الأولياء والمقابر والثاني من رأى اثنين يتساران وأدخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة والثالث من رأى اثنين يتضاربان وأدخل نفسه

بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما في المثل ما ينوب المخلص الا تقطيع الثياب   والرابع من يمشي في
الطريق ويلتفت من غير حاجة   والخامس محبوس الزوجة وقس على أمثالهم (ويحكى) أنه كان
لفتى من قريش جارية في أيام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة أهل زمانها فقعد به الدهر
فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من أولاد عمه من ثقيف فأنزله
بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن
الحجاج لها فعلم أنها شغفت به فوهبها له فأخذها ودعا له وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وصار
لا يدري الى أين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج فنادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم
يلبث قليلا حتى أتي بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس فاخترت ابن عمي
شابا حسن الوجه بعد ما رأيتك تسارقينه النظر فعلمت أنك شغفت به حبا فوهبتك له فهربت من
ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع ما أنت صانع فقال تكلمي فقالت كنت للفتى القرشي
فقعد به الدهر فأتى بي الى الكوفة قاصدا اليك لتشتريني حتى اذا قربنا منها دنا مني فواقعني فسمع
هدير الاسد فوثب قائما وأتى الاسد وقتله ثم أتى الي وما برد ما عنده من الانعاظ وقضى حاجته وان
ابن عمك هذا ما قام الي وواقعني سقطت فأرة من السقف فضرط وغشي عليه فرششت عليه الماء وهو
لا يفيق فخشيت موته فتتهمني فهربت خوفا منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال لها ويحك
اكتمي هذا ولا تعلمي به أحدا فقالت على أن لا تهبني اليه ثانيا (فان قيل) ان الضراط صوت وقد
عرفوا الصوت بأنه هواء منضغط بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع انما
هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليين وتحركهما فنافى الحكم (قلنا الجواب) يقال ان هذا لا يتأتى
الا على التعريف الثاني وهو ان الصوت هواء يتموج بتصادم جسمين فانفسح الجواب (فان قيل) ان
في قول الناظم ويبقى ضراطي شبه طبل عنيف اشكالا من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت
الطبل الشديد يكون كل من سمعه أقبل عليه وعرفه وظهر له واستدل بهذه الحالة عليه النصراني
وغيره فلا فائدة في اختفائه بين النساء ولا في اندراجه في العباءة في الحكم (قلنا الجواب) أن الناظم
ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة الا بعد لفه في العباءة فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة
اندراجه في العباءة لا يسمع منه شيء والمعنى أنه لو كان خاليا عن اندراجه ولفه في العباءة لسمع منه
الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس في جب عميق مثلا ومعه طبل يقرعه فلا يسمع
منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا على نفسه أو على من يكون واقفا على
باب الجب أو قريبا منه فالعباءة حكم الجب وهي أضيق لاندراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها
قويا لا يظهر حسه من الخارج الا ضعيفا أو أنه من باب الغلو في الشيء كما قال الصفي الحلي في بديعيته

عزيز جار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس في الظلم

أو يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التى ذكرها لا يتوهم أنه رجل مختنف بل ربما يظن أنه رجل أو امرأة يقضى حاجة فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال لا اشكال فى كلامه فاتضح الجواب (قلت) ولم أر من صرح بهذه العبارة وجعل الضراط فيها على هذه الاقسام وعرفه بهذه التعاريف غيرى ثم ان الناظم نبه على أن عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره وقلة كسبه فقال

ص ﴿ويادوب عمرى فى الخراج وهمه * تقضى ولالى فى الحصاد سعيف﴾

ش قوله (ويادوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للنداء ودوب هذه لفظة لها اشتقاقات فشروبه ومعان مختلفة * فاما أن تكون مشتقة من دأب الانسان وهو شأنه وحاله الذى هو مهتم به والمعنى انكم تعلمون يا اخوانى أن دأبى طول عمرى مع ما حصل لى من الهموم سابقا فى حساب وفكر وتعب شديد مما على من الخراج وما ينشأ من همه أى خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها فى كل عام فلا يفى بما على من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفى وشدة فقرى وقلة من يسعفنى فى الزرع والقلع فلهذا انقضى عمرى وأنا فى هذا الحال الى آخره * أو أنه من الدب ليلا على الولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غالبه أو كله فيخشع خوف أحد يتحرك أو خشية الفتنة حتى يقضى الفاسق مراده وربما أنه الامرد دعا بالطيفا أو شتمه شتما خفيا فيقول له قدر الله وأنا عبدك مثلا وانى هلكت فى حبك الى أن تمضى القضية على أحسن حال قال بعضهم موالياً

دبيت ليلا على من للملاحة حاز * بقيت راكب على ظهر وشبيه الباز

لما انتبه من منامو قال من دافاز * بوصلنا قلت أعمى جس بالعكاز

وما ألطف قول بعضهم

رمى قلبى باجفانه * رشا ما درى قدر ما قد رما وأضرم نار الاسى فى الحشا * ولم يشتكى ضر ما ضر ما

وسلم قلبى الى ضده * فياليته سلّ ما سلما وقد كان قدّم احسانه * ولكنه قدّما قدّما

وقد هد بنيان صبرى به * وما واحد هدّ ما هدّما وحرم ما حل من وصله * وفى مهجتى حرما حرما

وقد عز من أحب الوفا * وما أحد عز ما عزما عجبت لفيض دموعى به * اذا ما جرى أو هما أوهما

فسلمت أمرى به للقضا * وحزت به أجرما أجرما وقد رقم الحسن فى خده * فلله قدر رقى ما رقما

(وقال آخر) شكوت الى الحبيب أنين قلبى * اذا جن الظلام فقال انا

فقلت له أظنك غير راثٍ * بما كابدت فيه فقال انا

فقلت له أترضى أن قلبى * بأثقال الغرام فقال انا

فقلت له أتحكم مثل هذا * على أهل الغرام فقال انا

(اعلم) ان الاولى فعل آمر من الاتين والثانية بمعنى نعم والثالثة مركبة من ان الشرطية واما فعل ماض والرابعة انّ واسمها

(وقال آخر)
جلّ الذى أطلع شمس الضحى * مشرقة فى جنح ليل بهيم
وقــــدر الخال على خده * ذلك تقدير العزيز العليم
بدر ظننا وجهه جنـــــة * فمسنا منه عذاب أليم
يفتر كالريم ألا فانظروا * الى بخيل وهو عندى كريم
لما انحنى حاجبـــه واثنى * يهـزّ للعشاق قدا قويم
عجبت من فرط دلال وقـــد * بدا لى المعوج والمستقيم
داوى حنينى يا طبيب الهوى * وخلنى انى بحالى عليم
فخصره واه وأردافـــــه * ثقيلة والحظ منه سقيم

(وقال آخر)
صيرنى فى كل واد أهيم * من خط قلبى منه هام وهيم
فتى بخيل شبه ريم الفلا * يا طول شوقى من بخيل كريم
لم انس من وحشته ليلة * خلتنى أرعى دجاها البهيم
تطلــرت من حبى بها نظرة * فقال لى جسمى انى سقيم
شوقا لمن لست على حبه * بصابر لكن قلبى كليم
لا أسمع اللوم على حبه * أعوذ بالله السميع العليم
فى شرعه حلّ وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم
وثابت الود لديه الحشا * يأتى الى الله بقلب سليم
يا روضـــة تجنى بالحاظه * فيجتنى حاو الرضاب النعيم
كن كيفما شئت وعن مهجتى * فلا تسل عن حال أهل الجحيم

(والمعنى) انى أكون لى حين غفلة قيد بّ على هم الخراج وتعبه والحساب فيه فيمنعنى الراحة فى معاشى والسرور فى أوقاتى وهكذا اطول زمانى كما يدب الفاسق على الامرد فما يشعر الا وقد علا فوق ظهره ونال مقصوده كما تقدم أو انه من دبيب سم العقرب بمعنى ان الحساب فى هذا الامر فى الليل والنهار يتولد منه غم يسرى على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد أو انه مشتق من الدب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان أبلد طبعا منه الا أن عنده قوة وادراكا عن غيره كما فى المثل (بلادة الدب غلبت فطانة القرد) ومن عجيب منه انه اذا رأى جماعة يريدون صيده يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم تمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له فى

التبلد في الامور ضرب من الراحة واختبار العقول قال الشاعر

تبالدترن عقل الانام و يظهر يا * اليك أمورالست منها بخابر

والمعنى أن كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتني في حالة تشبه بلادة الدب وعدم حركته في السعي لعدم المكاسب وقلة البركة في الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب علي في كل ساعة فأنا محروم من لذات الدنيا ولم يفدني ما أنا فيه شيأ قال بعضهم

أصبحت لاشغل ولا عطلة * مزيدنا من صفقة خاسره وحاصل الامر وغاياته * أني لادنيا ولا آخره

فلا أرى في الزرع بركة في ابتدائه لقلة التقاوى وضعفي عن اصلاح الارض لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوي المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوائد المكتتبة على الفلاحين والمغارم فالزرع وان ورد أن فيه تسعة اعشار البركة لا يفي بهذا المقدار من كثرة الظلم وأما في الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوائد ولا كلف ولا مغارم ولا شيء مما هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها شيأ يسيرا ولا يعرف وجبة ولا غرامة ولا شيأ من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة والارض كلها عامرة بالزرع والناس في غاية الخير وسعة الرزق والكسب (ومما روى) أنه اعترض رجل المأمون فقال أنا رجل من العرب فقال له ليس بعجب فقال أريد الحج فقال الطريق أمامك قال ليس لي نفقة قال قد سقط عنك الفرض قال قد جئتك مستجديا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة (ومن النوادر) أن الاصمعي مر بحي من أحياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان في الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعي أين أباك فنظر الصبي اليه شزرا ولم يجبه فقال له أين أبيك فلم يجبه فقال له أين أبوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفيء وإذا فاء الفيء فاء (ولما دخل المامون مصر) وسار في قراها كان يبنى له في كل قرية دكة يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم في كل قرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين يديه التراجمة من كل جنس فذكروا له أن القبطية قالت أمير المؤمنين نزل في كل ضيعة وترك ضيعتي ولم ينزل بها والقبط تعايرني بذلك وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبي ولا يشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المامون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا وكذا فأحضرت أمه جميع ماذكر وزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولده العباس وأولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن أكثم والقاضي ابن أبي دواد فأحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم أحضرت هي للمامون من فاخر

الطعام

الطعام والنبذ شيأ كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشرة وصائف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المأمون ذلك ورآها قال قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه وكشفت الاطباق فاذا هي ملآنة كلها ذهبا فاستحسن ذلك وأمرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتأمل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال هذا عجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقرنا فقال ان في بعض ما صنعتيه لكفاية ولا يجب التثقيل على أحد فردي مالك عليك بارك الله لك فيه فأخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك وانا ملك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به وأخذه منها واعطاها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل مائتي فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض في الزمن الماضي تعطي زراعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث (وأول) من أحدث بمصر مالا سوى الخراج أحمد بن المدبر لما ولي خراج مصر فانه كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على البهائم مالا وسماه المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصائد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف المال الهلالي بالجديد (وقال) سيدي أبو بكر الطرسوسي دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد علي السلام نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمني اكراما جزيلا وأمرني بالدخول الى مجلسه والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا أيها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الورى طاعتك فلا يكن أحد أطوع لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان * واعلم ان هذا الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن القليل والنقير والقطمير واعلم أيها الملك ان الله تعالى آتى الدنيا بحذافيرها سليمن عليه الصلاة والسلام فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف وأمانا للخائف (قال رضي

الله عنه) ثم أتمت المجلس بأن قلت قد درحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها واذنت لى الاقامة فيها غير هذه المملكة أى مصر ثم أنشد يقول

الناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقوله (ولا لى فى الحصاد سعيف) أى ولا أرى من يسعفنى فى حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاونى على تحميله على الجمال ونزوله فى الجرن ودرسه ودراوته وحصاد الزرع هو قطعه بآلة من حديد أو قلعه من أصله اذا بلغ الاستواء ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيعجلون عليه بالحصاد وقد شبه الآدمى بالزرع فانه فى ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا وكذلك الشخص فى حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفة فاذا طاب وآن أوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الآدمى اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن أوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع أى قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسى والمعنوى فالحسى ما تقدم ذكره والمعنوى مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل أى فعله مع غيره قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل أينما زرعا

ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرعا

(ومن الحكم) من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير أو شر قال الشاعر

غدا توفى النفوس ما كسبت * ويحصد الزارعون ما زرعوا

ان أحسنوا أحسنوا لانفسهم * وان أساؤا فبئس ما صنعوا

(قيل) لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت يركب متى قالوا فى غد فكتبت له رقعة ووقفت فى طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب * ملكتم فأسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وكبود جوعتموها وأجساد أعريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعدل لوقته رضى الله تعالى عنه (ثم ان الناظم) نبه على مصيبة أخرى من أنواع الظلم ابتلى بها هو وغيره من اخوانه الفلاحين والبطالين وغيرهم فقال

ص ﴿ويوم تجى العونه على الناس فى البلد * تخبينى فى الفرن أم وطيف﴾

ش قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه فى هذا البيت (تجى العونه) وهو أوان حفر السواقى ونم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه فى هذا المعنى والعونه انما تكون فى بلاد الملتزمين التى فيها الاوسية

وهو

وهوان غالب الملتزمين اذا أخذ قرية أو كفرا من كفور الريف يزرع فيها أو فى الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها الفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذى يزرعه زرع الاوسية فيرسل ثيرانا وأخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا لامعدا للاخشاب وبهائمه ويقال لها دار الاوسية ويوكل من يصرف على البهائم وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الآبار أو لحفر القنى او ضم الزرع أمر المشد بالقرية أو الكفر رجلا يقال له الغفير فينادى العونة يافلاحين العونة يابطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر اوللكل ما يأمرهم به كل يوم من غير أجرة الى أن يفرغ الحفر والضم وكل من تراخى أو تكاسل عن السروح أخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات جعلوها على ولده وهكذا فهى داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين ولله الحمد أراح الله قريتنا منها انما هى قراريط معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم الا خراجها يأخذه فى كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما فى تعب وكدر وغرامة وسخر وهم زائد والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انما اذا حضرت العونة (على الناس فى البلد) أى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها الا كل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا يقدر أن يترك العونة ويذهب لشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبينى) أى تخفينى عن أعين الناس حتى لا يرانى أحد ولا يسمع بى (فى الفرن) أى فى فرنه الكائن فى داره المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (أم وطيف) أصله وطيفة وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى * سحيرا وصحبى بالفلاة رقود

فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * اذا الدار قفر والمزار بعيد

* أو من الطوفان * أو من أطواف الجلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل فى لزق الجلة وعملها أطوافا فمن هذا كنوها أم وطيف وأما اسمها على ما قيل زوبعة وقيل خطيطة أو معيكة وهى أم الناظم أو زوجته أو أخته وسميت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا فى شغل الملتزم ونحوه أو أنها اسم للجماعة المعاونين على الشئ ولهذا يقال نا كوا فلانا الليلة عونة أى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة فى الزريبة أو الشونة ويعايرون بهذا الامر دو يقولون له أنت يا خور يا بقرمدا عما عو تلتميه أى مائة نفس أو أنها من

الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عون يعون تعويناً وأعان يعين اعانة قال الشاعر

فعون تعويناً وعان اعانة * وكل له معنى صحيحاً وقد ورد

(فان قيل) ان كلام الناظم يشعر أنه اذا اختفى فى الفرن يتركونه ولم يشعر به أحد وهذا بخلاف ما تقدم من أن العونة لابد من الشروح اليها وخصوصاً اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان أو من زمن أجداده كما تقدم فى الجواب (قلنا) الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يتذكره أحد ودوامه أراد الاختفاء خوفاً من أقاربه أن يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه أو يشوشون عليه وهذا القول يدل على أن العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان فى ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفاً فيه أو أنه اعتراه الكبر وصار شيخاً عاجزاً فاذا حضر وقت العونة اختفى فى الفرن تستراً على نفسه حتى لايراه أحد كما يقال فى المثل (ابعد عن الشر وغنى له * وعين لاتنظر قلب لايحزن) فاتجه الجواب عن هذا الاشكال ولما فرغ الناظم من شكواه من القل والعتر والقمل والصبيان وعداوة أقاربه وما ناله من هم الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع فى تمنى جملة من المآكل أو رؤيتها لشدة ماهو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لايعرف هذا الطعام ولايراه الا عند الناس فتمنى أن الدهر يغلط معه ويرى ذلك أو يأكله ولو يسيراً قبل انقضاء عمره وابتدأ بالكشك لانه أفخر مأكول أهل الريف فقال

ص ﴿ولاهدنى من بعد هاده وهاده * سوى الكشك لما يستحق غريف﴾

ش قوله (ولاهدنى) أى هد حيلى وقوتى مأخوذ من هد الحائط وأصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جرياً على اللغة الريفية أو أنه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودى باللقا كرماً * لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذا

أفسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسماً اركب من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل ابن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى أن الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضاء عمى البصر أو أنه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفى الحديث تهادوا تحابوا ويقال أصل المحبة الهدية وأصل العداوة الشكية وأصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع فى النفس ولو كانت شيأ يسيراً وفى المثل * هدية الاحباب على ورق السداب * وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جراداً كان فى فيها

وانشد

وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا ومافيها

(أوانه) من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هذى يهذى هذيا أو هدم يهدم هدما على اللغتين من قولهم هدك الله هدا أو هدمك هدما يعني انه يضعف قواك ويبطل حركتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحوه وقوله (من بعد هاده وهاده) بالها والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين أولها مثل آخرها اذا وقفت عليها وأصلها هذا اسم اشارة الا ان ألسنة أهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هدّ حيلي وأضعف قواي من بعد ما تقدم أولا وهو أكل القمل والصيبان والقل والعترة ونحوه والذي أتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الخراج والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد في الغيطان وغير ذلك مما تقدم ذكره على حد قول بعضهم

هم الفلاحه حيرني * وكل ساعه في نقصان ما انفك من هم الوجبه * لما يجي مال السلطان

(فالفلاح) اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة المآكل والمشارب ولا راحة له أبدا الا ان غلق مال السلطان وأما اذا بقي عليه شئ يسير فانه دائما في افتكار آناء الليل وأطراف النهار وطرد وتعب وهم ونصب الا ان أعطاه الله تعالى البركة في الزرع فانه يأتي من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر في الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل في حفظه من الآفات فان الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب (لما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب) رضي الله عنه أنه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من أنتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الما والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزراع أقوى توكلا من غيره ان لاحظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب في الارض أن يصلي ركعتين ثم يقول الهي أنا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لي فيه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد (قال بعضهم) أربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس في بيته ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالسعي (ورجل) أنفق ماله في معصية الله تعالى أو بناء فافتقر ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالاقتصاد ألم تسمع قولي والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (ورجل) دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكر يقول يارب خلصني منه يقول الله له ألم آمرك بالاشهاد عليه (ورجل) له امرأة سيئة الخلق يقول يارب خلصني منها يقول الله له ألم أجعل أمرها بيدك أما سمعت كلامي الطلاق مرتان انتهى ولكن نحمد الله الذي أراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لنا تأتنا

ولأجدادنا اقتصن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على القصاد
ركبت قصيبتي ولبست مسحي * وسرت كسيرهم في كل وادي
فلا الاجناد تطلبني بمال * ولا الديوان يغلط في عدادي

(فالفلاحة) على كل حال بلية أعاذنا الله والمحبين منها وقوله (سوى الكشك) وهو في أصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر

الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن الاصل در وبر * نعم الجدود ولكن

أي ولكن بئس ما خلفوا قفيها اكتشناه * وصفته أن يؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مصلوقا ثم يجفف في الشمس ويدش ويوضع في اناء ويصب عليه اللبن والمش الحصير ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يتخمر ويأخذ قوامه وتفوح له رائحة الحموضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل خفة حموضته ثم يترس أقراصا صغارا ويوضع في الشمس الى أن يجف فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن في المأكول * وأما كشك الكفور وبلاد الملق الذي ذكره الناظم فلا أراك الله مكروها فانهم يصنعونه بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ الطبع عسر الهضم محرق كالقضرورات وهو الذي يضرب لونه الى سمرة وكلما كان أبيض نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور في عدم الجودة الا أنهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لبنه وحسن نظافته * وأما كيفية طبخه فعلى أقسام بحسب البلاد التي يعمل فيها فأهل بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة وبالدجاج أو بشيء من أصناف الطيور المأكولة أخرى أو يجعلونه بالارز فقط ويصيرونه ثخينا وأهالي المنزلة ودمياط يطبخونه بالسمك البوري السمين وأكلته بدمياط مرارا وأبناء الترك يجعلونه رقيقا ماتعا بقليل من الارز بحيث يشرب بالملعقة ويقلون لها بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه باللحم الضأن السمين فيكون له لذة عظيمة المأكل وتعتدل طبيعته خصوصا مع لحوم الضأن والدجاج والارز ونحوه * وأما القسم الردىء المحرك للسواكن المذكور في الشعر المتقدم فهو كشك أهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ في غسله وتصفيته ويضعونه في بوشة أو ودرة أو دست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويقدون عليه بالنار الى أن يأخذ قوامه ينزلونه ويخرطون له بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج ويقلون له بذلك ويغرفونه في متارد أو شوالي فخار ويفتون فيه خبز الذرة أو الشعير ويأكل الشخص منهم متردا ومتردين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت المساء فيجد ما بقي منه قد جمد وظهرت فيه

فصوص

فصوص الفول فيلهط منه الى أن يكتفى وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو أعز المأكول عندهم وغالبهم يصنعونه فى أعراسهم كما سبق بيانه فى الجزء الاول من هذا الشرح ولا يعرفون طبخ بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سيأتى بيانه ونوع آخر من هذا القسم يطحنونه من غير فول بل بمجرد كشك من غير وضع شئ من التقالى عليه يسمى عندهم نيرب وهذا وما قبله يولد الارياح ويحرك السوا كن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمش الحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا أذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا وعك الجمل من ألم الحر يسقى منه يزول مابه ولهذا يستعمله المسافرون اذا آذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم وينفع من ألم ضرب السياط طلاء وله منافع أخرى مذكورة فى كتب الطب وأما أهل الصعيد فانهم يطحنونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لاغير فهذا الافائدة فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب مأكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه فى بلادهم (قيل) أى رجل من أهل الصعيد من نواحى قنا وقوص الى مصر ليشترى له جارية للخدمة فرأى جارية تباع باعلى ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسنى الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من أى البلاد أنت قال من الصعيد فقالت أنت لا تحتاج الى طعام فاخر فان مأكول أهل الصعيد فى كل سنة ستة أشهر ويكة وستة أشهر ملوخية فلا يحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الآخر المسمى بالنيرب وما معنى قول الناظم انه هتكه عند مشاهدته وقرب غرفه وشم رائحته (الجواب القشروى) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التى تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها مرقلا كما لك الفرس وقلع مركب يكره ملق وحسنك تتزوج عجوز تتكسح وقد ورد ذلك فى القرآن العظيم فى قوله تعالى وربك فكبر كل فى فلك وغير القرآن مثل كمالك تحت كلامك وعلق تحت قلع (ومن النظم قول الحريرى)

أس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرأ أسا اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

(وأيضا) ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره وأول الكشك مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * أو انه عند وضعه فى الشمس يكش ويضمر من حرارتها * أو انه من قول بعضهم أكل فلان الكشك عند فلان يعنى انه أكل أكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك أو من قولهم للكلب كشكش اذا أرادوا أن يلقوا له شيأ يأكله ينادوه بهذا اللفظ أو من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب

تجعله الا كابر للعاوس أوان الكشكة لما صارت مدورة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ وأضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدره كشك يكشك تكشيكا (وأما تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش فى الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن فى الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عند مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز أهل هذه البلدة أى مصر فانهن قسم من غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا المأكول سمى بهذا الاسم أو أنه من باب هرش المعدة (وأما تسمية النوع الآخر نيرب) فلعله من النيروب على وزن الديلاب أو انه نسب الى رجل اسمه نيرب على وزن أرنب حيوان يحل أكله فخشوا الالتباس فى اللفظ فقالوا نيرب أو أنه فعل فى زمن النيروز فقالوا أولا نيروز فالتبس الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى التى فى آخره بالباء الموحدة وقالوا نيروب وقول الناظم انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلة طبخه عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فمن هذا اذا رآه قد قرب للاكل تحسر وأسف وخصوصا (اذا استحق عريف) أى لما ينتهى طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه وأصله لما يستحق الغرف بآلة التعريف لكن حذفها وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة للخراء فيها فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة ينهد حيله لان همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن عروس فى ديوانه الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها ماضرنى غير بطنى * والى مدلى حداها

(وقال بعضهم مواليا)

يادنية الشوم طول عمرى وانا أشتد * فى هم دى البطن اللى ماتريح حد
أضال أجى واجى بعد العشا أتمد * أقوم فى الصبح ألقى ما بنيتوا اتهد

(فمن هذا) لم يقنع الناظم لانه لا يقضى مراده ولا هو من قسم النمل يعيش بالشم بل من الآدميين وخصوصا من أهالى كفور الريف يفطر الشخص منهم على مترد أو متردين من الكشك أو البيسار أو الفول المدمس كما سيأتى فلا لوم عليه فى هد حيله (يحكى) انه ركب المأمون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس نبضى فجس نبضه وقال له ماتشتكى يا عليان فقال أشتكى استى فقال بختيشوع خذ لك عود أراك ودسه ورا لك فهو صالح لذا لك فرفع عليان نخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذا لك ونحن نجرب دوا لك فان عافانا الله بذا لك حمدناه وزدنا لك فخجل بختيشوع وضحك المأمون حتى استلقى على قربوس سرجه (ويذكر هذا المعنى) تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء أنه جلس فى بعض الاسواق ينظر فى أمراض الناس فاتى اليه رجل لطيف الذات من أبناء النعم وذوى الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه

وقال له انظر مابي فجس بطنه وقال له ما أكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال له خذ لك يسيرا من الزبيب والسنامكي ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيما الشفاء ثم قام من عنده واذا برجل من أهل الريف كأنه في الشكل هبل أو سارية فوق الجبل أقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الديب وقال له انظر مابي من المرض بلطف فأنا أحس في بطني بضعف وقدم له يدا كأنها خشبة وساعدا كأنه حطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذى دهاك وما أكلت اليوم في فطورك وغداك فقال له أنا أحكي لك وحق تربة أبو طبل وتربة معيكة بن أبو جعران أنا لما انتبهت من النوم لقيت امرأتي ام معيكة حاطاط بوشة بيسار كبيره وكنت أحب العيش ولهطت منه ما متردد متردين قبل ثلاثة فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام عموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه متردد متردين قبل ثلاثة قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت الغيط وعند الحاج عنطوز غيط فول كلت شمالين قبل ثلاثة ورحت من الغيط عند مشد الكفر فلقيت عنده كشك لهطت منه متردد متردين قبل ثلاثة ورأيت عندنا عرس في الحاره وعزموني ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كثير كلت من ذاك الطعام متردد متردين قبل ثلاثة ورأيت عند ناخيار أصفر كلت كوم كومين قبل ثلاثة وجيتك تنظر حالي فاني باحس في بطني ضعف (فقال له الطبيب) خذ لك من الزبيب قنطار قنطارين قبل ثلاثة ومن السنامكي قنطار قنطارين قبل ثلاثة ومن السكر قنطار قنطارين قبل ثلاثة فقال له أنا سمعتك بتوصف لي جالك قبلي شئ قليل من السنامكي والسكر والزبيب وبتوصف لي قناطير فقال له يا أخس الفلاحين وهل يليق هذه الاكلات الاهذه القناطير وهذه الشربات ثم أخذ خرجه على كتفه وحلف أنه لا يجلس بقية يومه في السوق من أجل هذا الفلاح فاتجه المقال عن معنى هذه الاحوال واتضحت العبارات عن هذه الخرافات (ثم ان الناظم) لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شئ غالط منه انه مستعمل عند أهل الريف وغالب مأكولهم فقال

ص ﴿ولا شاقني الا المدمس ورجتو علامن جتو حفنه بنص رغيف﴾

ش وقوله (ولا شاقني) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال سيدي عمر بن الفارض

ولولا كم ماشاقني ذكر منزلي وشاق على وزن قاو وهو صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل قاق يقوق قوقا والمعنى أنه يقول ما كثر شوقي وزاد ميلي الى شئ من جميع المأكولات (الا المدمس) مأخوذ من الدمس لكونه يدمس في النار كما سيأتي ومصدره دمس يدمس تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفي وحضري وان كان الاصل واحدا وهو الفول لان الشئ يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة الجيدة أخرى (فأما الحضري) وهو ما يباع في مصر وغيرها من المدن فانهم يأخذون الفول النقي الابيض ويتركون منه الردى ويضعونه في قدور كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عند ما يتناول منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء الحلو الرائق

ويسدون فم القدر بشئ من الليف النظيف أو اناء طاهر سدا محكما ويدمسونه فى نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل جورة القزان ونحوها ويتعهدونه بالسقى كل نصف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو رائحته ويصير فى غاية من حسن الاستواء يشبه فى لونه الذهب وفى استوائه المجوهر مثلا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا أرادوا أكله اشترى الشخص ما يكفيه وأضاف اليه السمن البقرى أو الزيت الطيب أو قشطة اللبن وأحضر الخبز الابيض النظيف وربما كان مصحوبا بالكراث الاخضر والليمون أو الخل فمن هذا يصير غذاء جيدا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويصلحه قليل من الصعتر خصوصا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفى الشخص به عن غيره من الصباح الى المساء (وأما النوع الرديء) وهو مدمس أهل الريف الذى اشتاقه الناظم فلا أراك الله مكروها ان كنت ما ذقت الخراف كل منه فانهم يأخذون الفول ان كان جيدا أو رديئا على سائر أوصافه وربما أخذته زوجة الفلاح من مدود البقرة أو الثور ونفضت ما عليه من آثار التبن ووضعته فى اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك أو من مقاطع السيل التى تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بباس الكتان أو بخرقة فيها النجاسة وتضعها فى محماة الفرن الملآنة من الدمس والجلة وربما وضعت ذلك عليها أيضا وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انهم اخرجوها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثم تأتى بالمترد وتهز البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس الشخص منهم مثل الكلب الكاسر وتأتيه بخبز الادرة اليابس أو خبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطانه فاذا أكلت منه وكأنك تأكل من زبل الغنم مثلا ومنهم من يأكله بالكراث أو البصل وربما أضافوا عليه شيأ من القمح أو الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار ومنهم من لا يكون عنده خبز فيسف منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى أن يكتفى ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت ويخرج مثل النعوت فهذا مدمسهم وصفته ما كولهم أراحنا الله من ذلك وقوله (وريحتو) أصله ورائحته حذفت الهمزة للضرورة وجريا على اللغة الريفية أى شاقنى رائحته الممتزجة بالروائح المتقدمة للذتها عندى اذا اشتممتها فأشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا أجد ذلك لشدة فقرى والريحة مشتقة من الريح أو من الروائح أو من أبو رياح الذى تلعب به الصبيان أو من الراح وهو من أسماء الخمرة قال الشاعر

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تذكو وتخبث ان مرت على الجيف

أو من قولهم مواليا

ايش قلت يا صاحبى فى رائحة جنبه * من تحت حيطا وهيا مستخبيه
وقاعده واقفه على الارض مرميه * وجائزه راقده فوق حيط مبنيه

وهى

وهى المعدية على حد قول بعضهم

المعدية رايحه جيه * تنسحب بالخيط ياأبوجبه * الأأنا زليت

(ثم ان الناظم) لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وأن من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (علا) هذا من حروف الجر الا أنه وقع هنا فعلا والمعنى علا وارتفع قدر (من جنوجننه) أو علا جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع قال الشاعر علا زيد نا يوم النقا رأس زيدكم * بابيض ماضى الشفرتين يمانى

أو يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال ان من جاءته أى حصلت له جننة ملا نة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية أو صدقة وحصل له معها (نصف رغيف) حذفت الفاء من نصف جريا على اللغة الريفية كقولهم نص فضه أو من قبيل الاكتفاء أو من جهة الترخيم كقوله أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * فيكون يومه أبرك الايام وأسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نصف رغيف ولم يطلب رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول المدمس حامى الطبيعة فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كافيا له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا أو من باب سد الجوعة والجننة اناء كبير معد لوضع الطعام قال بعضهم يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن

كل جلف بطنه خابيه * واذا صحفت كانت جابيه

وفى نسخة أخرى بالحاء المهملة أى حننة من الفول المدمس والحننة ملء كف الانسان مع انضمام الاصابع بعضها البعض لكنها بالجيم المعجمة أولى وبين جننة وحننة الجناس المصحف وهى مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما أن الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسرى فى أجفانها وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر فى قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك قال الشاعر

أقول لمقلته حين نامت * وكحل العين فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ماجرحتم بالنهار

ومصدره جفن يجفن جفنة ثم ان الناظم تمنى مأكولا آخر من غالب مأكول قرينه أغلظ طبعا من المدمس فقال

ص ﴿علا من رأى اليسار فى الجرن جالو * ويدعس ولو كان بالقلبج ضعيف﴾

ش قوله (علا) تقدم معناه فى البيت الذى قبله (من راى) رؤية بصرية (اليسار) وهو نوعان ريفى وحضرى كما تقدم فى غيره (فالريفى) مركب من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لاغير وكيفية طبخه عند أهل الريف انهم يضعوا فى البوشة الملوخية الناشفة وشيأ من الفول المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة فى الفرن الى قريب الاستواء فيخرجونها ويتركونها بالفرن الى أن ياخذ ما يها قوامه وينهرى الفول وتفوح رائحته فيعيدونها فى الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى

ذلك ويزيدونها ماء اذا زمها حتى يستوى ثم يقلونه بشئ يسير من الشيرج أو الزيت الحار بالبصل
ويغرفونه فى شالية أو مترد ويفتون فيه الخبز الشعير أو فطير الادرة حتى يصير مثل الكرس ويأكلونه
بالبصل الاخضر أو الناشف فيأكل الشخص منهم المترد التت أو المتردين فى الغداء والمتردين فى
العشاء ويسحب نبوته وحدوته خلف قفاه ويسرح بالبهائم أو للضم أو للمحراث وهذا غالب
ما كولهم خصوصا فى رمضان وقت الفطور والسحور حتى يصير الشخص منهم كأنه زق منفوخ كما
تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل على رجليه هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتجرى
الروائح فى بطونهما وتخرج من بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلتهما فلا يقوم
الشخص منهم الا وجبته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع زوجته تلك
الليلة فيكون حظهم ضراط وعياط وفساء وشياط فهذا حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع
الفلاح (وأما النوع الحضرى) فالذه وأشهاه وما أطيبه وأهناه وهو أن الشخص من أكابر مصر
أو غيرها من المدن التى تجلب اليها الملوخية أو تزرع فيها اذا اشتهى فعلها فعلى أصناف منهم من
يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها أو ربما نشفها فى بيته ويسلمها لمن
يتعاطى طبخها من زوجة أو خادم فتضعها فى دست نحاس مبيض أو طنجرة رومية عليها غطاء محكم
وتضع عليها الماء العذب الزلال الرائق ويقاد عليها بالحطب الرومى حتى تأخذ قوامها فى الاستواء ثم
تتركها مركالطينا ثم تقلى لها بالثوم الشامى أو البلدى ممزوجا بالسمن البقرى وتضيف اليه دهن
الية وتلقى عليها شيأ من البهارات كالفلفل وما أشبهه وشيأ من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف
اليها شيأ يسيرا من الفول المدشوش ولكن يزيد فى الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول ويغلب
طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكباب من لحم الضان
ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب (ونوع آخر) وهو أنها أى الملوخية تؤخذ وهى خضراء
نضرة بنت يومها وتخرط خرطا جيدا وبعض أبناء الترك يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة
وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع ملين الطبائع لما فيه من البرودة ولطافة المأكل وسرعة
الانهضام وحصول الخفة فى الجسد (ونوع آخر) وهو ألذ وأشهى مما تقدم وأقوى نفعا وأعظم
مأكولا وهو أخذ الملوخية وهى صغيرة فى ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفراريج والارز
مع كثرة الادهان أو باللحم الضانى وأهل مصر يرغبون فى هذا النوع ويفعلونه كثيرا حتى ان الشخص
منهم ينفق على طعام الملوخية فى ابتداء أمرها جملة من الدراهم ويدعو أعز أصحابه يأكل منها
وتكون عندهم ألذ من طعام الاعياد ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمنى فلان وأطعمنى الليلة
الملوخية الجديدة بركة السنة وربما أكلوها بالخبز النظيف المقطف المتمر المخبوز بالحبة السوداء أو
الشمر فيفتون فيها حتى تتشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة وهذا من

جودة رأيهم وذكاء عقولهم وحبهم فى الشئ عند ابتداء طلوعه كما يقال كل جديد له لذة وكل قديم له هجران (ويقرب من هذا المعنى) قول ابن عروس فى ديوانه

أول زمانك بعزولك * غالى وقع فى يدغالى وان دبت باشاش برمولك * والى جرى لك جرى لى

فان الشئ فى ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال (ونوع آخر) يسمى بورانى وهو أن تقطف أوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يشعلون بها كما مر ولهذا ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به انه يستحب الاكل من الشئ عند ابتدائه أى ابتداء طلوعه مثل الخضراوات وغيرها من الفواكه فان نفعه فى ابتدائه أكثر من نفعه فى انتهائه وأهل مصر على هذا القدم يسعون فى أخذ الشئ فى ابتدائه ولا يكترثون به فى انتهائه جزاهم الله خيرا عن مروءتهم وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم وأعاذنا الله من الريف وجهله وغلظ مأكوله وطباع أهله (سؤال) ما الحكمة فى تسمية الملوخية بالفول بيسارا وما الحكمة فى تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما معنى ذلك (الجواب القشرى) على وجهين (الاول) ان الذى اخترع البيسار فى الاصل كان ابوه فلاحا زرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة فذهب ذلك الرجل الى غيط أبيه المذكور وسرق شيأ من تلك الملوخيه وأتى به الى زوجته فقالت له ماتريد بهذا فقال لها قصدى أصنعه طعاما ثم أخذ ورقها ووضعه فى بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير وألقى فى البوشة شيأ من الفول المدشوش أخذه من مدود الحمارة فامتزجت الملوخية بالفول ثم أخذ البوشة بعد استواء مافيها وغرفه فى مترد وجلس يأكل منها فدخل أبوه وقال له ماهذا الشئ الاخضر فدلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط أبيه فتضارب هو واباه وحلف أبوه انه لايمكث فى البلد فركب حماره وسار الى بلد أخرى فصار ابنه ينادى أبى سار أبى سار فحذفوا الالف من أبى وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار (وأفادنى) بعض اخوانى رحمه الله تعالى وجها آخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى بلسان حاله بيسارا أى سار طعمى بهذا الفول طيبا والوجه الثالث انه مركب من البسر أو من اليسارة من قولهم فى معنى ذلك

سعيده كانت مزاره * واتحب طبيخ البيساره

(وأما الملوخيه) فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها فى ديوانه بقوله فى هذا المعنى أبوقردان زرع فدان ملوخيا وبادنجان انهذا الاسم نبات أخضر أنضر وآصله ياملوخ فأخر واحرف النداء وأبوقردان أول من سماها بذلك على ماقيل وسبب ذلك انه لما زرعه فى فدانه وصنع للطبيخ ملء منه شيأ وتركه فى مكانه وذهب لبعض شانه فجاء بعض أولاده وأخذه فلما رجع لم يجده فناداه بحذف حرف النداء لطلب قربه منه وقال ملوخى فلم يجبه بشئ فأتى بحرف النداء وقبل أن يقول ملوخى أتاه ولده وأعلمه باخذه فادخل على قوله ملوخى ياء وادغمت الياء فى الياء

فصارت ملوخيا انتهى وتلقب بالخضرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس فى الاطعمة ألطف منها ولا أكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء فى منافعها كتابا جليلا وأما نهى الحاكم بامر الله عنها فلميل سيدنا معاوية رضى الله تعالى عنه اليها لانها كانت أحب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها وقوله (فى الجرن) وهو محل درس الفول والقمح ويطلق على الحجر المقور الذى يدق فيه بن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه فى هذا المحل على بعضه كالكوم وصار يأخذ من حواليه شيأ بعد شئ ويدرسه بالنورج وهذا المأخوذ يقال له عند الفلاح رمية وقيل أصل الجرن الجرم بالميم بدل النون مأخوذ من جرم اللحم وهو أخذه بالسكين من على العظم أبدلت الميم نونا لقربها فى المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح أو الفول أو ما ألقى اليه من الحبوب ويخلصه مثل ما تخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ على الجرم الذى يعمل من الحوص وقوله (جالو) بالتخفيف أى جاء اليه والضمير راجع للبيسار أى على من رأى البيسار جاء اليه وهو فى الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج أو وهو يحرث مثلا لانه يكون فى هذه الحالة فى غاية التعب والجوع ولهذا قال (ويدعس) أى يأكل بحرقة وعجلة من غير تأن فى المضغ والبلع والدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل المضغ وفى المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك فى أكلتك (مسألة هبالية) وهى أن الناظم نسب المجىء للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى ذلك فى الحكم (الجواب القشروى) ان هذا على تقدير حذف مضاف أى جاء به رجل حامله حتى أوصله كما يقال جاءت السفينة مثلا أى جاء بها الملاح وكما تقول جاءنى مترد لبن وطاجن مش أو صحن عدس أو كشك مثلا فعلى هذا لا اشكال فى كلام الناظم وقوله (ولو كان) أى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو الناظم عرض (القلنج ضعيف) وأصله قولنج بضم القاف وجزم الواو أى سقيم والقلنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى فى الاعضاء فتكب الانسان عند هيجانها وتمنعه الشم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة عند ملاقاة الحرارة الشديدة والانتباه من النوم وعلاجه أكل الصبر الاخضر على الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان العلة عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح الباردة ونحو ذلك وعلاجه أن يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس أجزاء متساوية وقدر الجميع سكرا أبيض ويدقه دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمله سفوفا يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع ويجتنب صاحب هذه العلة الحارة أكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة أكل الاشياء الباردة خصوصا عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره وجوعه وعدم شئ يتمتع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولو كان مبتلى بعرض

القولنج ولو كان فى أكله زيادة ضرر عليه انه من الاطعمة الرديئة الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه أذية بالغة (فان قيل) لاى شئ ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له مع انه من أهل الريف وما اشتقاق اسمه (الجواب القشروى) انه انما ذكر هذا المرض لكونه رياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة فى الشئ والبيار يضر صاحب الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا أكل بالبصل الاخضر أو الناشف فتملئ البطن ارياحا يكثر فيها الفساء والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر أو يموت فى الحال وأما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه أو سمعه من غيرهم وأما اشتقاق اسمه فلعله من القوق أو القو يقة وهى طائر قدر الحملة كبير الرأس ويقال لها البومة تأوى المكان الخرب وفى المثل (اتبع البوم يوديك الخراب) وقد يشبه الشيب ببياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

أيا بومة قد عششت فوق هامتى * على الرأس منى حين طار غرابها
رأيت ذهاب العمر منى فزرتنى * ومأواك من كل الديار خرابها

(وبذكر البومة) التى تأوى الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك أنه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكا الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد أن يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريدا التنزه خارج المدينة الى أن مرا على أماكن خربة فسمع الملك ذكر بوم يصيح على بومة فقال للوزير ما أحسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك أتدرى ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها ومشغوف بحبها ويقول لها يا سيدة الطيور وبهجة الاحباب مرادى وصالك والتقرب اليك فى الحلال فقالت له لا تقدر على صداقى ولو شغفك حبى واشتياقى فقال لها وما صداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها أبشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذى المائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم أنه فى غفلة عن الرعية وأنهم فى ظلم وباسه وانه نصحه وأرشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه أظهر العدل فى الرعية وأزال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدل من وقته وساعته وارتاح الناس من تغيير حالته (ثم ان الناظم) اشتاق الى مأكول آخر يصنع فى الريف وغيره فقال

ص ﴿على من قشع جفنة بليله ملانه ؛ ولو كانت بلاقلقاس يا دنديف﴾

ش قوله (على من قشع) أى نظر بلغة الريافة يقال قشعتك أى رأيتك وقشعت المحل الفلانى أى رأيته ويطلق على ميل الشئ يقال قشع السحاب أى مال وانكشف الى محل آخر (ومن العجائب) أن شخصا سمع هذه اللفظة من طائر فى بعض البساتين نواحى الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج فى

بستان ويأكل مما أسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول شفتك قشعتك روح نفرج هاربا وظن أن صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما أعلمك فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما نشتهى ولا تخش من أحد هذا طائر وليس بانسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فتعجب الرجل ودخل وأكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله (وقد سمعت) وأنا متوجه الى الحج فى البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين وألف طائرا فى غبط قمح يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الازلى وسمعه كل من فى السفينة (وذكر الحلبى) فى السيرة النبوية أن غرابا كان يحفظ سورة السجدة فاذا سجد قال سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى (ومن العجائب) انه أهدى لبعض الملوك طائر له أربعة أجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف على رأس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويسكت ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله (جفنة) تقدم معناها (بليله) اسم للقمح المسلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع أيضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من اضافة الملح والجبن عليه فانه يعدل طبعه والحمص أزكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة الكهف وأما البليلة المذكورة فى النظم فان أهل الريف يصنعونها طعاما وهو أنهم يضعوا القمح فى البوشة لتختار وربما أضافوا عليه ما تيسر من الحمص ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى أن يستوى فيأخذونه ويأكلونه بخبز الذرة والشعير ويأكلون منه من غير خبز لانهم يجعلونه بما يقطع منه الشخص بالكف ويبلع ويتلونه بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر منهم يجعلون فيه بعض ملتاس وتسمى بليلة لبلها بالماء فى حال صلقها أو لرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهايف المرتخى الاكتام البارد القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة أو عويلة ومصدرها بل يبل بليلا وقوله (ملانه) راجع للجفنة (ولو كانت) البليلة التى هى الجفنة (بلا قلقاس) أى فلا حاجة له بما عاهراد مشى يسد الجوعة يقال له طعام والقلقاس من مأكولات فصل الشتاء وهو ألذ ما يؤكل فى هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا فى ابتداء ظهوره اذا أكل باللحم الضأن وأضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه وأجوده الرؤس الاتانى وكذلك الصوابع وهى الرفيعة التى تشبه أصابع الآدمى لان ذلك كله سريع الاستواء وأرداه الاحمر لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا أكل القلقاس مشويا منع ألم الكبد وسكن ضربان البواسير وأكله نيئا ليس فيه فائدة ولا منفعة *(فائدة)* أربع قافات تستعمل فى فصل الشتاء وهى القلقاس والقشطة والقصب والقسطل وسمى قلقاسا لاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين والمقلقس أى اليابس لانه

اذا قلع من أرضه يكون مثل قطع الطين المقاقسة وهو مركب من فعلين ماض وأمر قال بعضهم

فان سألوك عن قلبي وما قاسا * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا

* (فائدة أخرى) * قيل لما ادعى فرعون الالوهية لاموه وقالوا ان الاله لا يبول ولا يتغوط فاصطنع الموز وصار يا كله فصار لا يتغوط الا نادرا وما ذاك الا أنه أخذ القلقاس وهو صغير من أرضه فصار يفلق القلقاسة ويملؤها سكرا ويعيدها في الطين بحكمة دبرها فامتزجت الحلاوة بالقلقاس فنشأ منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى أوراقه قريبة الشبه من ورق القلقاس في العرض الا أنه طويل الشكل عنه هكذا في بعض كتب الحكمة وقوله (يادنديف) أصله يادندوف على وزن يابعوص قلبت الواو ياء لضرورة النظم والدندوف هو الذي يدندف من غير فائدة يقال فلان يدندف أي فلا فائدة في ذهابه وايابه ولا بركة في سعيه وكسبه أو أنه علم على شخص من أهل قرية الناظم كما هو معدود من أسمائهم وهو مشتق من الدندفة أو من أحمد الدنف أو من ندف القطن * ثم ان الناظم تشوق الى قصعة ملآ نة من أي طعام كان فقال

ص ﴿على من جتو قصعه وهو بحرت * ويقعد يجرف المحنك تجريف﴾

ش قوله (على من جتو) أصله جاءته (قصعه) أي جاء بها واحد من الناس لا هي بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب مدور معد للطعام وغيره وأما الذي على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس يأكل منها يقصع ظهره أي ينحني ويأكل فيكون من باب تسمية الشيء باسم صفة الآكل منه أو من قصع القمل والبراغيث وقوله (وهو) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم أو جريا على لغة الريف وقوله (بحرت) على وزن يضرط فيها يقين أي في وقت الحرث من أي طعام كان من عدس أو بيسار أو غير ذلك (ويقعد) قعدة جيعان تعبان مما قاسى من مشقة الحرث وغيره و(يجرف) على وزن يحرف أو يغرف أي يكون كفه حكم المجرفة التي تجرف الشيء (المحنك) من التحنيك على وزن التصكيك أو التدكيك ويطلق على الفك الاعلى والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه أيضا يقال فتح فمه أو فتح فاه قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى

فمي يحدث عن سري فما ظهرت * سرائر القلب الامن حديث فمي

وقوله (تجريف) أصله بالالف لانه مصدر وسكن لاجل الروي أي يجرف المحنك الذي هو فمه تجريفا زائدا متتابعا بسرعة وعجلة حتى يكتفي ويشبع الشبع المفرط لما ناله من ألم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضي مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره ثم ان الناظم اشتهى مأكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من مأكول أهل الريف فقال

ص ﴿على من دعس بالعزم في المش بالبصل * ولو كان بالكرات كان ضريف﴾

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) أي بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد أي قوة زائدة (فى المش) أى مش الجبن القريش الازرق الذى مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته لان هذا غالب ما كول أهل الريف فى الغداء والعشاء أيضا فيأتى الشخص منهم بالمتردد المش والخبز الشعير اليابس والبصل الأخضر أو الناشف ويأكل حتى تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسرح الغيط أو يحرث أو يدوس والاكابر منهم تضع عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وتعصر عليه الليمون خصوصا (بالبصل) المخروط فانه ألذ من اكله بغيره وبعضهم يأكله بالكرات ابو شوشه فيكون أقوى فى جمع الارياح خصوصا اذا كان فى دويرة ضيقة فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من أولها الى آخرها والمش على أقسام مش حصير وتقدم معناه ومش بخيره وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة ولذة ويقال له مش جبن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره ويقال مش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم آخر يقول له (دم اهدم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعترى الخيل والحمير يقال (جالك المشش) أى أبلاك الله به والاول الذى هو المش الحصير ينفع من الجرب شربا والثانى ينفع السدد ويقوى المعدة والثالث ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير أو أنه مشتق من المشى لانه اذا صب على الارض صار يمشى عليها أى يسيح فيها (والبصل) حار يابس وقيل رطب يقطع البلغم الا أنه يضر الشقيقة وصداع الرأس ويولد أرياحا وظلام البصر وكثرة اكله تورث النسيان ويفسد العقل (وأما منافعه) فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس والاكتحال بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا أكل به (ولو كان بالكرات كان شريف) أى لانه حار لين يهيج المعدة والدم الا أنه مثل البصل فى ظلمة البصر وتوليد الارياح كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير ويصلحه الاكل بالشيرج وأكل البصل والثوم والكرات نيئا مكروه لداخل المسجد ان لم تزل رائحته * (فائدة) * رأيت فى بعض الكتب أن جميع البقول نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الا الكراث (وأما بصل العنصل) فله خواص جيدة مذكورة فى الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا ان الثعلب اذا خاف على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منه ويضعها على باب جحره فاذا رآها الذئب أو شمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له فسبحان من ألهمه هذه الحكمة وقوله (شريف) أصله ظريف بالظاء المشالة لا بالضاد المعجمة أتى بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية أى كان فيه الظرافة بمعنى أنه يكون أخف ضررا من

البصل وان كان أقوى أرياحافانه أعظم شهوة وألذ أكلا فلا بأس به اذا حضر فيكون هو المراد ثم ان الناظم اشتهى شيأ من الالبان يشرب به فقال

ص ﴿على من شرب متردملان مطنبر * من اللبن الحامض يرف رفيف﴾

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل الجوف فهو كالا كل قال الله تعالى كلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الاقليلا لا ما وضعه الانسان فى فمه وأخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة بل من باب المجاز وقوله (متردّ) وهو اناء من فخار أحمر أصغر من الشالية وهو غالب أوانى الريافة خصوصا فى أعراسهم وأصله مركب من فعلين مات ورد لانه لما عمل فى اشدائه وكسر عملوا بدله فقالوا رد بعد ما مات ثم حذفوا الالف وجعلوه علما وقالوا مترد وهو على وزن مفعد لا مسند فتمنى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمى بهذا الاسم لترددا الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف أو أنه عمل بمدينة تسمى ماتريد التى ينسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملان) أى غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم يقنع برؤيته فتمنى أن يكون ملآنا وقوله (مطنبر) على وزن مزنبر أو مطرطر يقال كس مزنبر وزب مطرطر أى عالى عن حوافيه لشدة حوضته ويبسه يقال فلان بطنه مطنبر أى منفوخ ومات واطنبر أى انتفخ كما يقال الدم يطنبر بطنك مثلا أى يموت وتنتفخ ويقال للشدا الحجازى المعمول بالحرير الاصفر والابيض شده مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا اللفظ لكونه اذا لفه الانسان على رأسه صار كبيرا عاليا مطنبرا كما يعلو اللبن الحامض عن حوافى المترد وهو مشتق من الطنبرة وهى التحكك للاولاد الصغار قال الشاعر

اذا كنت آلاتى وطبعك رقى * طنبر برقه واعتبر بالمشنوق

وأصل هذا الكلام ان شخصا من الفساق أخذ ولدا وأراد أن يحك له فزلق العيار فدكه فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرنى منه غير هذا المطلع أو أنه من الطنبورة على وزن العصفورة قال الشاعر

أيا عصفورة البستان كم ذا تنبشى * بايديك ورجلاك مافى الارض شى

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحوضة لعدم وصوله الى اللبن الحليب فلا جل هذا قال أشتهيه ولو كان حامضا لان غيره بعيد على وخصوصا اذا كان فى شدة الحر فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حوضته معتدلة فانه بارد رطب وأما اذا خرج عن الحد فى الحوضة فيضر وكلام الناظم يدل على أنه انما اشتهى ما خرج عن حد الحوضة بدليل قوله الآتى يرف رفيف وأجود الالبان لبن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء وقوله (يرف رفيف) أى صار من الحوضة الشديدة

يرف كما يرف جناح الطائر يعني أنه يسمع له غليان و بقبقة تحاكي رف الجناح ويرف على وزن يسف أو يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق في نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذى يعمل في البيوت أو من الرفرافة التى يعملونها قبل رمضان أواخر شعبان من الدجاج أو من الاوز وغير ذلك ثم ان الناظم تمنى شيأ آخر تستعمله أهل القرى القريبة من البحر الملح أو من البحائر المالحة ونحوها فقال

ص ﴿على من جتو أم الخلول لدارو * ويعزم على أهل البلد ويضيف﴾

ش قوله (على من جتو) أى جاءنه بواسطة وحضرت اليه (أم الخلول) وهى حيوان يكون من داخل المحار الصغير الذى يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح أو جوانب البحائر المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونها أبيض مخين يشبه لون المنى أو المخاط فيأخذونه وينزعونه من هذه المحائر أو القوقع ويضعون عليه الملح والخل أو الليمون ويأكلونه وربما أخرجوه وهو طرى ولوثوه بالملح وأكلوه وهذا أقبح أنواع أكله وأردأها وأخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تعجه وتأباه وتعافه الانفس وأما طبائع أهل الريف فلا تطالبنا بها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع فى نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن أن يأكل منه ولا يراه لان رؤيته تورث القرف فضلا عن أكله وكنيته بام الخلول لتواتر المأ والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (لدارو) أى دار الناظم يعنى أنه لا يتعب فى مجيئها بصيد ولا شرا بل يجئ براها فى داره أتى بها على سبيل الهدية أو الصدقة وقوله (ويعزم على أهل البلد) أى يجمعهم لهذا المأكول النفيس الذى يشبه عفص الكلاب ويضيفهم فى داره أى يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان أى عزم فى نيته وجزم فى يقينه أنه يأخذه ويكرمه أو عزمه بمعنى آذنه أن يأتى الى داره ويكرمه بطعام أو غيره (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له لان العزم خلاف الضافة فيكون قد عزم بالنية أولا على أن هذا الشخص لا بد من حضوره وأنه يضاف اليه أى يتبعه الى المحل الذى يريد اكرامه فيه أو المعنى واحد فيكون من اضافة الشئ الى مرادفه ومصدره ضاف يضيف ضيافة أو ضيوفا وسمى الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى أنه يكون هو واياه كحكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين فيفصله عن الاضافة قال الشاعر

كأنى تنوين وأنت اضافة * فحين ترانى لا تحل مكانيا

فانجه المعنى النشروى عن البحث الهبالى ثم ان الناظم انتقل من تمنيه الى شئ آخر يقرب فى الخباثة من أم الخلول فقال

ص ﴿أنا ان شفت عندى يوم طاجن مشكشك * فهذا اليوم البسط والقصيف﴾

ش قوله (أنا) يعنى أبو شادوف لا غيرى (ان شفت) الشوف ضد العمى أو من الشيافة بمعنى رأيت

(عندى يوم) فى المنزل أو فى المحل الذى أنا فيه أو الغيط أو الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك و يستعمل فى سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا فى الفرن وهو مشتق من التطجين أو من الطجانة أو من وطء الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى أن انسانا وطئ جنا أى داس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره أنت أى طأ أنت جنا ومثله طافية أى طأ فئة من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم فى اسم جماد خذ فارغ واملاء ومن النظم قولى فى اسم شحاته

سلب الناس دلالا * وألف من بعد شئ قلت بدرى نه كمالا * تم معناك بشرح

ولم أر فى المعميات أرق من قول بعضهم فى اسم أحمد

وراكعة فى ظل بان تعلقت * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وقوله (مشكشك) على وزن محكحك اسم للطعام الذى تبنى رؤيته والاكل منه وهو جلود الفسيخ يأكلون لحمه ويأخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيأ يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى ويأكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيأ من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعندنا انهم يأتيه خاروف شوى ولهذا قال (فهذالك) بالذال المعجمة جريا على اللغة الريفية كقول بعضهم فى هذا المعنى مواليا

للوردتين على الخدين باهذالك * واللى بلانى بعشقك آه لو أبلالك

وحق من سجدت لو فى السما الاملاك * لومات لى كل يوم أخين ما أسلالك

وقوله (يوم) أى فهذا اليوم الذى يأتينى فيه هذا الطاجن المشكشك هو يوم (البسط) ضد القبض أى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحضور المرغوب فيه وسد الجوعة وسرور أهل المنزل أو الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الى قال الشاعر

ان من أطيب أوقاتى * حين أكون مبسوطا بذاتى

والتقصيف عطف على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم قصف بتشديد الصاد المهملة أى مسرور فرحان ماش مشية الخيلاء متحزم بسير وسكين راخى أطراف البردة تجرعلى الارض أو أنه لبس اليوم قميصا جديدا وأرخى فوقه البردة وهو اليوم قصيف الكفر بمعنى أن ما هنالك أحد فى الكفر أشلب منه ولا أعيف أو أنه مشتق من قصف العود وهو كسره أو من قولهم (قصفة بحيك) أو فلان جنو قصفه مثلا (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب الشروى) أن يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه فى طعمه المش والكشك اذا خلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين مع تغير الحركات وقالوا مشكشك

أو أنه مأخوذ من شكشكة المرأة له بعود أو بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله أو من قولهم شكشكه بالابرة أو أنه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذى اصطنعه أولا لما طبخه شمه فقيل ماشم هذا فقال بعضهم شم كشكا أى شم طعاما رائحته فى الحموضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه علما وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزم الكافين فاتجه المقال عن هذا الهبال (ثم ان الناظم) اشتهى شيأ آخر من الخضراوات يطبخ ويؤكل عند أوانه وهو أطيب مأكول أهل الريف (فقال)

ص ﴿متى أنضر الخبيز فى الدار عندنا * وأندف منها بالعويش نديف﴾

ش قوله (متى) أى أجزم وأنوى الى متى (أنضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى أى أنظر بعينى لا باذنى ولا بفمى لان النظر خاص بالعين قال الشاعر

عينى نظرت وآفتى من عينى * مايقتلنى الا سواد العين

(الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة وتجمع الخبيز على خبوز وخبابز وخبازين وخبازات وهكذا من هذا الجموع القشرويه وتأنيثه خبيزة وهى المرادة بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سيأتى فى قوله وأندف منها وهى مشتقة من الخبز لان ورقها فى التدوير يشبه أقراص الخبز وهى تنبت فى أطراف الزرع من كثرة الامطار وفى الاراضى المنخفضة وغيرها وأجودها ما كان ساقه طويلا وورقه عريضا شديد الخضرة وهو النابت فى جوانب الزرع أو النابت بالبرز وأردأها القصيرة الساق المائل ورقها الى الزرقة وهى البعيدة عن الزرع والماء وهى التى تطلع وتنبت فى المقابر وفى منخفض الارض المسبخة وهى باردة رطبة تلين الطبيعة وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهى قريبة فى اللطف من طعام الملوخيه اذا عملت بالشروط الآتية ثم ان أهل الريف يأخذون ورقها ويخرطونه مثل الملوخية ويضعون عليه الكزبرة الخضراء ويقلون لها بالبصل والشيرج ويفتون فيها الخبز الشعير ويأكلونها وهى غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيأ ماعدا البصل والشيرج وشيأ يسيرا من الكزبرة كما تقدم فهى غالب مأكولهم فى زمن الشتاء كما تقدم وأهل بلاد البحر يطبخونها بالارز والدجاج وغيرهم وأهل المدن يطبخونها بلحم الضأن والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن البقرى والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم وأما فعل أهل الريف لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك أهل بلاد البحر فانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولا دسما الا الارز والشيرج لاغير وعلى كل حال فهى أرق من طعام الريافة المتقدم ذكره وألذ مأكولها فى بلاد المدن لانهم يكلفونها فيصير لها فى المأكل لذة ولها خفة فى الهضم ومنفعة عظيمة وقالوا فى الطعام كله (كاف تجد) (قيل) لما نزل السلطان قايتباى بدمياط واجتمع بالعينى الذى بنى العينية وهى مسجد على سمت مساجد الملوك فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه

بصحن من الذهب فيه دجاجتان ووضعهما بين يديه فأكل السلطان منهما فلم ير طول عمره ألذ طعاما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندى فقال له هل من سلو عنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فأهداها له فلما أتى بها الى مصر أمرها أن تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما اللذة مثل اللتين أكلهما فى دمياط فعاتبها الملك فقالت له ياسيدى الذى صنع لك الدجاجتين طبخهما فى انا من ذهب وكان ماؤهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القمارى وحشاهما بحرارات كثيرة مع المسك والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى وقوله (فى الدار عندنا) أى فى دار الناظم لا غيره لانه هو الذى غناه ولهذا قال عندنا أى فى محلنا لا محل غيرنا لاجل أن تأكل منه العيال و نسرو ابوجوده وسميت الدار دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن وأما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالكرس وربما يكون فيها الوحل والجلة أيضا ولان الشخص يدور ويرجع اليها أو أنها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها أولاد الريافة بعد الغروب يقعد ولد منهم على قرافيصه و يقعد ولد آخر يجعل ظهره فى ظهره و تدور الاولاد حولهما يضربونهما فاذا امسك واحد منهما ولدا أجلسه مكانه فيتعلمون من ذلك خفة الايدى وسرعة الضرب والمشى ونحوه وقوله (وأندف منها) أى من الخبز ومعناه يأخذ منها بسرعة ويحشى فى بطنه فصار يشبه نداف القطن اذا أخذه بالقوس وحشاه فى الطراحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف متردين من العدس أو من البيسار أى أكلهما بسرعة أو انه مشتق من أحمد الدنف من شطار مصر الذين تندسوا وسيرته مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمى بذلك لان به قيام المعيشة لما قال الشاعر

لا تركنن الى الثياب الفاخره * واذكر عظامك حين تمسى ناخره

واذا رأيت زخارف الدنيا فقل * لاهم ان العيش عيش الآخره

ولذلك قال الامام الشافعى رضى الله عنه فيما حكاه الذهبى فى ميزانه والدميرى فى حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا

ان الكلاب لتهدا فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم أبدا

فانجو بنفسك واستأنس بوحدتها * تبق سعيدا اذا ماعشت منفردا

وقال آخر

يكفى الذين تقدموا اشرفا على * من بعدهم يمشى على الغبراء

انى لأحسد الذ أمر بذكرهم * وأموت من نظرى الى الاحياء

أو أنه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العش وأما تسميته خبزا فهو من التخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز أضلاعه أى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز أو كسرها كما أن الخبز آيل للتكسير مثلا أو يكون خبز أضلاعه بمعنى فكهما من بعضها البعض وقوله

(نديف) على وزن تيف وهو الذى ينتف ذقنه لاجل الخنات أوكان به مرض الابنة أعاذنا الله منها فانها داء يغلى فى الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن (قال الشاعر)

فانه مرض كالنار مشعلة * يغلى كغلى الدود فى العفن

وأكبر دوائها ما ذكره الشعرانى نفعنا الله به أن يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى وأصله ندفا فصغر لاجل الروى أى أندف من الخبز ندفا كثيرا حتى أشبع شبعا مفرطا ليس بعده جوع بقية اليوم أو بقية الليلة ثم انتقل من الخبز الى الباقلا الخضراء فقال

ص ﴿متى أنضر الفول المشوى بفرنتا * ولفو بقشرو والعروق لفيف﴾

ش (قوله متى انضر) يعنى كما تقدم فى البيت الذى قبله (الفول) الاخضر اذا أتى به من الغيط ووضع فى الفرن وصار مشويا والمطلوب أن يكون هذا الفول (المشيوى) تصغير مشوى على وزن عطيوى أو خريوى وحريوى فبها يستقيم التصغير والوزن (بفرنتا) لا بفرن غيرنا (ولفو) أصله والفه بالهمز تركه لضرورة النظم من اللف وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تأمل ولا تفتيش فى المأكول ولهذا قال (بقشرو) أى آكله من غير نزع قشره من فرحتى به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر أى وألف عروقه أيضا (لفيف) أى لفا زائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمية حتى أكتفى منه ولا أنظر الى خشونة بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا أفعل كما يفعله غيرى من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشر منه ويأكل فأنا الشدة اشتياقى اليه وكثرة الجوع والقل والعترة ألفه بجميع ما عليه (فائدة) الفول الاخضر قبل شيه بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل بالملح والصعتر ونفع أكله حارا ومشويا نزع من قشوره جميعها وأكله بالسكر وفى بعض كتب الطب من أكل الباقلاء أربعين يوما وأصابه مرض الجذام فلا يلومن الا نفسه ومتى أكلت المرأة الباقلا أربعين يوما لم تحبل أبدا وقد عدوه من موانع الحمل ثم انه اشتهى شيأ مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص ﴿متى أنضر ان طحن الطحين وجبتو * وبطط لى منو فطير رهيف﴾

ش قوله (متى انضر) تقدم معناه (ان طحن) احد الطحانين (الطحين) الذى وضعته فى الطاحون ورحت اليه ورأيته (وجبتو) أى جبته بعد أن أعطيت الطحان أجرته الى منزلى (وبطط) على وزن ضرط وبربط فيها يستقيم المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير برى فى الدور يشبه الاوز الا انه صغير عنه وارجله قصيرة جدا أو من البطبطة أو من البطة التى يوضع فيها السمن وغيره وهو من الهلفطة لا كلام (مسئلة هبالية) لأى شئ سمى مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفة أو علم عليه (قلنا الجواب القشروى) انه كان أولا قمحا لا كلام ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة أخرى فيكون من تسمية الشئ بما طرأ عليه من الوصف الذى قام به ونقله من حال الى حال فكان أولا معروفا

بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار رميما وطحنته الارض ومضى أمره الى أن يبعث فاتجه ابتواب عن هذه الابحاث النشر وبه وفي بعض نسخ المتن ان طحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذي طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان أهل الريف يجعلون في الدار أو الكفر طاحونة مشتركة منهم وان كان عند الرجل منهم طحين يأخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه وأما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا بلاد الكفور والقرى الصغيرة ولاشك أن الناظم منهم كما تقدم في ذكر قريته فلهذا قال ان طحنت الطحين وجبتو وبططا أي عجن بالماء أوشئ من اللبن وآخذا القطعة العجين وأضعها على خرقة أو ردة النخال أو قرص جلة مثلا وأخبطها بالكف حتى ترق وآخذ غيرها فيحصل لى (منو) أي من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون به أو من الفطرة أو من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير أي طرى رقيق وفي كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر أكله فيفهم من الكلام انه لما بطط الفطير خبز في الفرن أو في الجورة التي يصنعونها في الزريبة ويحطون عليها الزبل وفي بعض الاحيان الجلة أيضا ونأكل منه حتى أكتفي ثم ان الناظم اشتهى مأكولا آخر فقال

ص ﴿أيا ما طيب الجلبان والعدس اذا استوى ❊ وشرش بصل حولو وميت رغيف﴾

ش قوله (أيا ما اطيب) في الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الجديان أو الخرفان مشتق من جلبة النبوت أو أن الذي زرعه سقاه في الاصل على ثور جلب أو من جلبة العبيد والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية مشتبك في بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه أهل الريف ويأكلونه مثل الفول الاخضر وربما طبخوه بالعدس وأكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وتأكل منه البهائم أيضا وقوله (والعدس) معطوف عليه أي وما أطيب العدس معه والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن في فعله ويمسك اطلاق البطن ومرقه أنفع من حبه وأكله يرق القلب (وفي زهر الكمام) ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فأوحى الله اليه أن مرهم يأكلوا العدس فانه يرقق قلوبهم (وفي الحديث) عليكم بالعدس فانه يرقق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا أو الاكثار من أكله يخاف منه الضرر وفي القاموس الاكثار منه يورث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية (وقال) بعض الاطباء يعدله السلق الاخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو أخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بجبته وأهل الريف يضعونه في البوشة الفخار ويحطونه في محماة الفرن أو في الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمغرافة ويقلون له بما تيسر من الشيرج أو الزيت الحار

والبصل مثل البيسار (وأما أهل المدن) فانهم يطجنونه طجناجيدا ويضعون عليه دهن الالية والسمن الخالص والحرارات ومنه أبناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضان ولهذا يأتون به فى رأس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقاقاس اذا كان مدشوشا وهو ألذ وأطيب وبلاد ابحر يطجنونه بالارز ثخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغلية بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى آخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة فى ثقلها وربما أكلوه بالعسل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها أيضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها أشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء فى اسمها وفى وصفين منها فقال بسلة باردة يابسة ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال تعشى تقسى تنسى فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشى باردة تقسى يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل و يطلق على أول خروج الفساء أيضا فهو لفظ مشترك بين الفساء وشرش البصل ولهذا يقال فى (لحيتك شرش) مثلا وهو من الالفاظ التى تقرأ طردا وعكسا أولها مثل آخرها وقوله (حولو) أى حول العدس بعد وضعه مغروفا فى الترد أو الشالية ويكون البصل موضوعا حوله كما جرت به العادة فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعون البصل حول العدس والبيسار والمش وغير ذلك ويأخذ الرجل منهم بصلة يقطعها أمثال الخيارة وأما أهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة أربع فلقات ويضعونها حول السفرة ولكل شئ مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل فى الاكل وقوله (وميت رغيف) أصله مائة سهله لضرورة النظم أى من خبز الشعير وذكر هذا العدد لاجل مايشتهى غليه من الاكل أو ربما يعزم على أحد بالاكل مثلا أو يأتيه أحد ضيف على غفلة فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للاكل منها كما تقدم والتفرقة وكذلك الشرش البصل وهى الحزمة التى تملأ الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل منها ولتفرقتها ان شاركه أحد ثم ان الناظم استطرد شيأ آخر واشتهى حصوله فقال

ص ﴿يا محسن الخبز المقمر على النده * وفوقو من السرسوب حلب نضيف﴾

ش قوله (يا) ناس ما أ (حسن) أى ما أظرف وألطف وألذ ما كول (الخبز) النظيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على النده) أى على الفطور عند نزول الندا وهو الماء اللطيف الذى ينزل وقت الصبح الى نزول الشمس سمى بذلك لانه يندى الارض أى يبلها بلا خفية وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عميمة ويشبه به السخاء والكرم يقال فلان كفه ندى ويقال فلان ما عنده ندا مثلا والندى قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيدوا الى مكة المشرفة رحمه الله تعالى سألت الندى والجود من عهد آدم * لقد عشقا دهرا وقد معقا أحيانا

فقالا نعم منّا زماناً وعندما * آتى زيدوالى كعبة الله أحيانا

(قال بعضهم) واختلفوا فى الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم لاتجوز الطهارة منه لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة فى البحر تتنفس وقت السحر فهو ملحق بالعرق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول أن المجربين ذكروا أن هذا الماء اذا اجتمع فى وقت السحر وملئت منه بيضة وقد فرغ ما فيها وسدت بشمعة أو غيرها ووضعت فى الحمام متى أحست بالحرارة صعدت الى السماء وهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض فى الارض ويشهد لهذا أيضاً أن الندى ليس بماء ثلج ولا بردولا مطر والله تعالى أعلم (قال صاحب كتاب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة انتهى (وكان من جملة محاظى الرشيد) جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم اسمه طل وكانت تألفه فامتحنها الرشيد بأن قال لها والله لاتذكرى هذا الخادم قط فكانت اذا قرأت الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالا للامر فلما تحقق منها ذلك فسح لها فى مخاطبته والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى فالفطور فى هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة وفى كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم البدن ورأيت فى بعض كتب الطب أن المعدة لوها شىء يشبه الشعر فاذا أفطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر حكم الموسى فتحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر أنفع من غيره (و) خصوصا اذا كان (فوقو) أى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه فى الاناء (من السرسوب) على وزن المحبوب وهو اللبن يوضع فيه شىء يسير من اللبن الذى ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه مسمارا يأخذونه ويضعونه فى طاجن فخار أحمر ويضعون عليه شيأ من الملح لاصلاحه ومكثه لحاجتهم فاذا أرادوا السرسوب يضعون اللبن فى الدست ويصبون عليه من هذا اللبن الذى يسمونه المسمار ويفوّرونه على النار فيقال له المفوّر ويقال له سرسوب ويفتون فيه الخبز المقمر مع العجوة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه أيضا فى طاجن ويضعونه فى الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبة بخفض اللام والباء الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة (وأفضل) الالبان لبن النعاج وأجودها لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بألبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء) (وأجودها) ماشرب من تحت الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة فى الباه وسمى اللبن لبناً لانه مشتق من اللب أو من اللبوة أو من قولهم لبث واحد بفرقلة مثلا أو من لبا الجدى الصغير أمه اذا أراد شربها قال الشاعر

فانت كالجندى لما أن يلب وكالا * نحر المطوق اسراعا الى اللبن

قوله (حلب) أى قدر حلب وهو اسم لما يملأ المحلاب أو المحلبة أو انه مشتق من حلب الرجل بيده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق هذا الخبز مايعمه من لبن السرسوب المحلوب

حلبا (قضيف) أصله نظيفا فذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم أى ليس فيه شئ يدنسه من أثر جلة أو غبار يلحقه ونحو ذلك كما أنهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك جلة وغيرها من أنواع النجاسات بل ربما الطخوا ضرة البقرة أو الجاموسة بجلة فتحلب اللبن سريعا فطلب الناظم أن يكون هذا السرسوب طيبا نظيفا خاليا عن هذه الامور وان كان معفوا عنها ثم بين كيفية الاكل منه فقال

﴿وأقعد على ركبه ونص وشمر * عن الكف بايدى ماأخاف مخيف﴾

قوله (واقعد) متأهبا للاكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهب الجيعان الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبه ونص) وهى قعدة القوى الشديد الذى يريد دائما الاكل الكثير أو الذى عنده شره فى الطعام مثلا وأما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بان يجلس الانسان على الركبتين ولا يلتفت يمينا ولا يسارا ويأكل مما يليه ولا يمتد يده الى طعام بعيد عنه مدا عنيفا (كما اتفق) أن شخصا قال لآخر وهما فى وليمة يأكلان يافلان أقدم لك هذا الصحن فقال أنا ايدى تجيب من مكة ومتد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض فى مكة كام الكورجة فخجل وقام من غير أكل وللاكل آداب مذكورة فى بعض الكتب وقوله (وشمر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) أى كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره أى أراد عطفة يبول فيها والتشمير المعنوى هو الكف عن الذنوب قال الشاعر   شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يهولك أحوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسى وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذى تصنعه أولاد الارياف من الصوف ويضعونه فى أكتافهم يرفعون به أكمامهم وله هداب مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم أمر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالب أولاد الطبالة يجعلونه كحكم أعقصة النساء ويجعلون له عقدا مغارا فى رؤس الهداديب ويزينونه بها وقوله (بايدى) أصلها بيدى لا بيد غيرى فلا أحتاج الى أحد غيرى يشمر لى بل أنا أتعاطى تشميره بنفسى لاجل خلو يدى عن شئ يمنعها من تناول الطعام وهذا يدل على أن كمه كان طويلا حتى احتاج لتشميره أو أن مراده بالتشمير رفع يده وخفضها فى حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ماأخاف) أى وآكل من هذا السرسوب ماأخاف من أحد يأتينى أو يمنعنى عنه (مخيف) أصله مخيفا أى مخوفا يمنعنى عن شهوتى بل لا أبالى اذا حصل لى وظفرت به من أحد أبدا ولا يعترينى خوف ولا فزع حتى أكتفى وأشبع منه الشبع المفرط ولا أخشى من تخمة ولا غيرها ثم انه اشتاق مأكولا آخر من ألذ مأكول أهل الريف فقال

ص ﴿على من قشع روحو حدا الرز باللبن * ويقطع ويبلع من تقيل وخفيف﴾

ش قوله (على من قشع روحو) أى على من نظر روحه أى ذاته لا ذات غيره (حدا الرز باللبن) أى

حذاء بالذال المعجمة أي محاذيه بمعنى انه جالس بجانب سموالارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب مأكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز أيضا وهو حار رطب يمنع من احتراق المعدة وما ألذه وأطيبه اذا وضع عليه السمن البقري في وقت نزوله من على النار ويؤكل بالمجوة الا أنه بالسمن أطيب وأشهى للأكل وكلما كان لبنه كثيرا كان جيدا وكلما قل أرزه كان أجود وأرداً ما الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله أهل الارياف فانهم يجعلونه ثخينا جدا يقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص من الطين اليابس وأما أبناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص من غير ماء ويجعلون فيه شيأ يسيرا من الارز بحكم الشرب ولهذا يشربونه بالملاعق فيصير حلوا لذيذا وهذا النوع أجود طعامه وأطيبه وطبيخ اللبن على كل حال أطيب من العدس والبيسار وما شابههما (قال الشاعر)

طبيخ اللبن أحسن من الي بكزبره * والعدس والبيسار يجيبوا الحوادر

(وأما النوع الذي تمناه الناظم) فهو الذي تقدم ذكره وهو الثخين الذي يشبه الطين في يبسه لانه المشهور عنده وفي بلاده وأما بلاد البحر فيفعلونه حالة وسطى لا ثخين ولا مائع الا أنهم في الغالب يضعون عليه شيأ من الماء وأما الناظم فلا يعرف الا الذي في بلده ولهذا قال (ويقطع) والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس أي يقطع بكفه وقوله (ويبلع) من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى أنه دخل جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء في جوفها والقطع هو فصل الشيء من الشيء وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا مدة بمعنى أنه هجره أو بعد عنه وقوله (من تشيل) أي من قطع وافية عن اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف وتدمع العين من كبرها كما ذكرت ذلك في خطبة كنت ألفتها سابقا في المأكولات وهي هذه الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق الذي وفق بين الفرج والضيق وأمر بالحج الى بيته العتيق وجعل السمن البقري للعسل النحل رفيق أحمده حمد من عنده من الجوع دسيسه وأعانه الله بقصعة من البسيسه بالفطير الرقيق فملأ منها بطنه وأحسن بالله ظنه ونام على راحة من الله وتوفيق وأشكره شكر عبد تقلع عن الحوامض والمش العتيق وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من الضيق وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما كثيرا (أيها الناس) مالي أراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون وعن الارز المفلفل باللحم الضاني تاركون وعن البقلاوة في الصواني معرضون وعن الاوز السمين والدجاج المحمر لاهون فما هذا يا اخواني الا حال المفلسون وأفعال الفقراء المتلاون فجدوا رحمكم الله في تحصيل الدراهم لتغتنموا المآكل النفيسه والمطاعم اللذيذه وقد قيل لذة الدنيا ثلاث أكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم في اللحم نجن انعم الله

عليه فليشكر ومن أحرمه فليصبر وعليكم بالارز باللبن فانه طعام جيد حسن وصباحه أبرك
الصباح خصوصا عند الفلاح اذا جاء وحلب بقرته وأتت زوجته بالدست وعلقته وصبت
فيه اللبن وقادت عليه وحركته بالارز الابيض وطبخته وفى الصحون غرفته فجاء الشيخ الكبير وقعد
وثنى ركبته فعند ذلك يا اخوانى صفت الاوانى ولاذ كل انسان بانسان فلا ترى الا أيادى تقطع
وأحنكة تبلع وزراديم تفرقع وحلوق تقلقع والعين من كبر اللقمة تدمع والبطن لا تشبع بل
تزيد افتعالا وهى تقول جل ربنا وتعالى فاذا سبقك أخوك بلقمة فبادر الى جدع رقبته بلكمه
واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه الموعظه ودعوا أكل الغلظه كالعدس والبيسار والمدمس
والفول الحار والبسلة والكشك بالفول وجبن النور المعمول فانها ترث الارياح وليس فى
أكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخره كاللحم الضانى فانه سيد طعام الدنيا والآخره وعليكم
بالشراب البارد ففيه حديث وارد واحمدوا الله أيها الاغنياء المنعمون واصبروا أيها الفقراء
المقلون نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالاطعمة الفاخره ويرزقنا واياكم الراحة فى الدنيا والآخره
وأن يجعلنا واياكم من الآكلين المنعمين ويحيينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وأن يغفر لنا
ولكم ولجميع المسلمين آمين فاستغفروه يغفر لكم يا فوز المستغفرين (روى) عن سهلب بن مهلب
عن زنطاح بن النطاح بن قليل الافراح أنه قال كان رجل من العرب قام من منامه ولذيذ أحلامه
وأكل فى فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار فأكل أربعين دجاجة محشية باللحم الضانى
محمرة بالسمن البقرى وشرب زقين من خمر ونام فى الشمس فمات ولقى الله شبعان سكران ريان (الحمد
لله) مزيل الحزن ومزين الارز باللبن وأشهد أن اللحم الضانى سيد الاطعمة ومصلح للبدن واعلموا
أن القشطة لا تترك وأن المهلبية أحسن وأبرك فتهيؤا الا كلكم وشربكم واعلموا أنكم غدا بين
يدى الله موقوفون وبأعمالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم الذين جاعوا أى منقلب
ينقلبون اللهم وارض عن الاربعة الاعيان الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن التين والزيتون
والخوخ والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين من العشره الاطعمة المفتخره الماوردية والمهلبيه
والشعرية بالزغاليل المربيه والارز المفلفل باللحم الضانى المحشى المحمر والكنافة المبلة بالسمن
العسل النحل واللوز والسكر والقطايف الغارقة بالسمن والعسل والقرع المحشى باللحم والبصل
والبقلاوة الموصوفة وخرفان القمحة المعلوفة واليخنى السمين والقرمز يمتعنا الله واياكم بهم
أجمعين اللهم وأدم النصر والتأييد والثبات واجمع الشمل بعد الشتات ببقاء السلطان السكر
النبات ابن القنانى من أصله من القصب الملوانى اللهم وأيده بأرماح القصب وبسبائط الرطب
وبعناقيد العنب واجمعنا عليه مسى أول النهار وفى وسطه وآخره وانصره وانصر عساكره فى الدنيا
نتنعم به يا رب العالمين اللهم وأهلك الثلاثة الفجار العدس والبسلة والبيسار عباد الله من أراد

خلع القبول أن تفاض عليه فليأكل الموز بالسكر بين والديه وتفكهوا قبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تتضاربوا ولا تخابطوا وكونوا عباد الله اخوانا ان الله يأمركم باكل الحلال مما تشتهى العقول ونهاكم عن أكل الحرام ولو من أطيب المأكول والبغلة ترفصكم لعلكم تنقلبون أو تتدقلبون وقوله (وخفيف) أى ويأكل اللقمة أو اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول من قال كلوا أكلا من عاش عاش بخيره * ومن مات يلقى الله وهو بطين (فينبغى للانسان) أن يجعل البطن ثلاثة أثلاث ثلث للاكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط فى الاكل ولا يفرط فى الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما أحسن ما جمعه بعضهم فى قوله

أرطاب نوت لقد طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
فى بابة أقبل الرمان منعقدا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور
ميز بعقلك تلق الموز فى خيل * مصفر الوجه لما جاءه هاتور
سل من كيهك عن الاسماك هل صلحت * تسلك عن حوتها بالشحم مبرور
سل ماء طوبة لم أروت لواقحه * مثل الزلال علا تحتاج تأخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى فى الرعى امشير
فى برمهات ترى الالبان نافعة * من الكادير فى ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانه الورد كل منه مأمور
بشدس تشهد أن النحل جانية * والشهد يقضى وما فى أمره زور
مشمش بؤنة لم يلق الهوى أبدا * مسكين ذاك قليل الجهد معذور
وأصبح التين فوق الغصن ناعيه * كأنه فى أبيب جاء مشهور
عنقود مسرى نعم فاغنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور
هذى مطايب ما فيها مرتبة * والكل فى هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم قد غناه فقال

ص ﴿على من ملا قحفو جبينه مطريه * ورا ح ورا الجاموس يرعى النيف﴾

ش قوله (على من ملا قحفو) القحف شئ طويل يعمل من الصوف أو الشعر يلبس على الرأس وليس له زى ولا هيدام تستعمله الفقراء وغالب الخلابيص ويلبسون شيأ يقال له الطرطور ويلقون عليه القحف لكونه واسعا من جهة الرأس وضيقا من أعلاه قصيرا عن الطرطور وكان استعمال ذلك فى سابق الزمان كثيرا واستعمال البلد على أصناف شئ يشبه القحف وشئ يشبه البرانيط والذين

يلبسونه يقال لهم صلحاء متصوفون ثم ظهرت القواويق القطيفة وصار لها بهجة ورونق وأنس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقراء المتصوفين المتقشفين ولهذا يقال اخنا يافلان خفوقا اللبد ومن هذا قيل فى تركها كلام كثير مثل قولهم (يالبده مالك فى السوق يالبده قله خازوق) وسمى قحفا لقحافته ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السيئ الخلق فيقال هذا قحف أى سيئ الطبائع قال الشاعر فى هذا المعنى

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه فهل رأيتم فى الورى * قحفا رقيق الحاشيه

وهو مشتق من قحف الحوت أو ان الرجل الذى صنعه أولا كان من قحافة قرية معروفة مقصوقوفة على سيدى أحمد البدوى نفعنا الله به دنيا وآخرى وقوله (جبينه) تصغير جبنه على وزن أسنوهى واحدة الجبن (طريه) أى عملت فى وقتها أى وقت نزولها من على الحصير التى يعملون فيها الجبن فاشتهى أن الله تعالى يمن عليه بملء قحفه جبنا طريا ولو كان هدية أو صدقة تصدق به عليه أحد أو سرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى الرزق ما ينفع لو محرما الخ (وقال) أبو نواس رحمه الله تعالى

يقول لى العذول وليس يدرى * دع المال الحرام وكن قنوعا
اذا أنا لم أجـد مالا حلالا * ولم آكل حراما مت جوعا

(فان قيل) لاى شئ تمنى الناظم ملء قحفه من الجبن مع أن القحف لا يعد لشيل الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طريه فاذا وضعه فى قحفه يحصل له ضرر من وجهين الاول أن يصير لقحفه التقذر من جهة الجبن والثانى ماء الجبن يبل قحفه ويشوش عليه (قلنا) الجواب القشروى من وجوه اما انه تمنى شيأ من الجبن بحيث لو وضع فى قحفه للا ملكون قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للآدم بقية الجمعة أو الشهر لكونه مقتترا الدلك ومحتاجا اليه بخلاف ما اذا أتاه شئ يسير لا يكفيه ولا يقوم بأولاده أو أن الكلام على حقيقته لان أهل الريف اذا أعطاهم أحد شيأ من ماكول أو غيره يأخذونه فى أطراف بردهم وأرديتهم وفى أكمامهم وعلى شدودهم التى على رؤسهم وكانوا فى الزمن السابق يضعون الشئ فى قحوفهم فانهم فى الغالب كانوا يضعونها على رؤسهم من غير شئ يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا أخذ شيأ من السوق ولم يكن معه مقطف أو صحن مثلا يضعه فى قحفه وأما تاويث القحف وتقذيره فالناظم لا يبالى بهذا الامر فان قحفه كان يساوى نصفا أو نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطرو العرق والحال الذى هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها فينزل الكلام على حقيقته فاتضح الاشكال عن هذا الهبال وقوله (وراح) أى وسار وهو مشتق من الروحاء مكان بارض الحجاز أو من الراحة أو من الريح أو من أبى رباح الذى يصنع على غابة طويلة وهو أربع ورقات ملصوقات على أربع قطع من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور فى بلاد المدن وغيرها وقوله (ورا) أى خلف (الجاموس) نوع من البقر فان اسم البقر

يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد أسود وسمى البقر بقرا لانه يبقر الارض أى يشقها وواحدته بقرة وأهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك ويقولون له * أنت بقرة مثلا * يعنى يا كثير الخنات (مسئلة هبالية) لاى شئ لم يقولوا للولد الامرد يا جاموسى مع أنها فى حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضر بها فهى فى هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما (قلنا الجواب الفشروى من وجوه) الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار شاملا للنوعين الوجه الثانى ان لفظة جاموسى مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد الامرد أنت يا جاموسى ربما يفهم منه أنت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا فكأنه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا تتوهم ويقال امرأة ولدت جاموسى أى وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى الوجه الثالث أن اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس يقال فلان يتجمس فى الظلام بمعنى انه يحسس على شئ يأخذه واسم البقر مشتق من بقر الارض أى شقها بالمحراث فكان مثل وضع (الزب فى الكس) مثلا لانه يشقه أى يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل الزب فى استه مثلا فكان مشبها بالفعل وأما التجمس فهو مشبه بمقدماته والفعل أقوى من الاسم لان التحسيس والتقبيل زرع والنيك حصاده فكان النيك أبلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقره فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (يرعى النيف) أى يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذى يرعى بنفسه فالرعى راجع للجاموس أى انه يسوق الجاموس الى المحل الذى ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى أى يأكل يقال الجاموس أو البقر يرعى فى المحل الفلانى بمعنى أنه يأكل منه وأما قولهم للذى يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وربطه فى الغيط ومباشرته وحراسته ونحو ذلك راعى فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه أنه يراعيه بالشفقة عليه والرحمة به والنيف حشيش ينبت فى الارض بنفسه من آثار نزول المياه على الارض وأكثره فى الاراضى التى لا تزرع وهو مشتق من النيفة التى تعمل فى بلاد المدن وهى لحم يشوى فى التنور ويؤكل وله لذة عظيمة أو من النوف التى توضع على رقاب الثيران وقت استعمالها فى الساقية أو المحراث وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر أنه كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير ادم فاشتهى مل مقفه جبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى) عن الشيخ محمود عفا الله عنه أن رجلا نشأله ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة أبيه من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم لما تملكت من عقله قالت يا أنا يا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها وأتى بالسم وسلمه اليها فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار أتاها بلحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد أمسى قالت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها انى لم أصل العصر لان الوقت راح لما أصلى وأجى نأكله

فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما صلى العصر أذن المغرب فتفتحت أبواب السماء بعماء منهم كانوا اهل القرب فجلس الولد بالمسجد الى أن صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد ودعاه الى داره فنام عنده فلما أصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة أبيه سخنت له الطاجن فقالت له لاى شئ لم تجئ فأخبرها بان فلانا عزم على فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فانى سخنته لك فقال

ان جالك بدرى الطعام اصطبح بو * كما جالك بدرى من الزرع ناجب

وأبوه يسمع ثم قال لما أعلف البهائم لاجل فطورهم بدرى وذهب لعلف البهائم فببركة الصلاة التى صلاها ورأفته على البهائم ألقى الله تعالى فى قلب والده ان الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره وألقى اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه لعدم معرفته بما هنالك ولا يدرى بما خبئ له ونادى والده زوجته هات له قشطة وقال له كل واسرح فلما أكل وسرح قال لها توجهى الى بيت أهلك بالستر وان جئت لك باحد كأننا من كان سياقا فلا تقبليه وان قبلت السياق وجئتى فقبرك فى محل الطاجن تعملى ذلك وتعقديه ولا تسديه والسلام فانظر يا أخى الى من قدم علف الحيوان قبل أن يأكل وواظب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل لتمنى شئ آخر من الاطعمة التى يفعلها أهل الريف فقال

ص ﴿على من قشع لقانة امو ملانه * من الهيطليه اللى لها ترصيف﴾

ش قوله (على من قشع) أى نظر نظرا حقيقيا (لقانة امو) أو زوجة أبيه أيضا واللقانة تأنيث لقان على وزن خرقان ويقال لها القصرية أيضا وهى اناء من الفخار تسع دون الملجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص اذا أراد أن يشرب منها يلق بلسانه أو بفمه الماء لانه لا يقدر على حملها أو أن الذى صنعها فى الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء أجلاء وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم وأضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولا له شئ سواها فتمنى رؤيتها بحيث انها لامه (ملانه) لا ناقصة وسهل الهمزة لضرورة النظم ثم بين الشئ الذى تمناه فقال (من الهيطليه) وهى طعام يعمل من نشا القمح واللبن ولها لذة عظيمة فى المأكل وهى أخف من الارز باللبن خصوصا اذا أضيف اليها العسل لان النشا بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم أنه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فيكون النشاء أقل درجة منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفى كلام بعضهم لو كان الارز رجلا لكان حليما لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه أو من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللى) بتشديد اللام يعنى التى وهى لغة ريفية (لها ترصيف) أى من حسنها وشدة بياضها ولمعانها أى تضئ ويشتهى أكلها ويلتذ

بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف أى تلمع وتضىء وهى مشتقة من الرصافة بنواحى الشام (ومن اللطائف) ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهى تمشى فقال صدق أبو العتاهية ولم يذكر ما قال فهزت رأسها وقالت بل صدق أبو العلاء المعرى ولم تذكر هى أيضا ما قال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة وقال لها أخبرينى ما أردت وما أرادوا الا أعلمت بك أمير المؤمنين فقالت له انه عنى بقوله صدق أبو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى

وأنا عنيت بقول أبى العلاء المعرى قوله

أيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

فتركها وسأل الرجل كما سألها فأجابه بما أجابته به وأفهمته أن الدار قريبة ولكنها بجوار أمير المؤمنين فلا تقدر الى الوصول لمطاوبك فانظر الى قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود أيضا ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من الهيطلية فقال

ص ﴿وأقعد لها بالعزم فى رايق الضحى * وأسحب لها مصبوبة أم وطيف﴾

ش قوله (وأقعد) أى وأجلس من غير استعجال بل أقعد قعدة تمكن من غير خوف ولا فزع ولا أحد يشوش على (لها) اما أن الضمير راجع للقانة التى فيها الهيطلية ويكون قوله وأقعد لها بمعنى انى آكل منها وهى فيها فيكون أكله من الهيطلية لا نفس القانة وأما ان كان الضمير راجعا لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعه لها أصوب وقوله (بالعزم) أى بالقوة والشدة أو انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (فى رايق الضحى) أى وقت ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقت الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع (وأسحب) أى نأخذ أخذا سريعا مرة بعد أخرى لان السحب هو جر الشئ بحبل أو غيره جرا سريعا فيكون سحبه يطلق على الاخذ من غير عدد وقوله (لها مصبوبة أم وطيف) أى من المصبوبة التى تعملها زوجته أم وطيف ووطيف ولدها سمى بهذا اللفظ لكونه كان يصنع الجلة أطوافا وقيل كان له دويرة يحط فيها الجلة طوفا بعد طوف وقيل من طوافه حول البقرة فى صغره وأما اسمه الذى سمى به عند ولادته على ما قيل فهو دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار علما واشتهرت أمه به فصار يقال لها أم وطيف وأما المصبوبة فانها تعمل من نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فأهل الكفور والبلاد التى لم تزرع الارز يصنعونها من الحنطة وأهل بلاد الارز يصنعونها من دشيش الارز ويقال للتى تصنع من القمح قطايف ورعا صنعوها من الارز خالصا والفقراء يصنعونها من الدنيبة التى تخرج من الارز عند بياضه مع خلط شئ عليها من دشيش الارز وسميت مصبوبة لانهم يجعلون

عجينها أنها مثل عجين الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف قرعة ناشفة أو جوزة هند فارغة ويثقبونها ويجعلونها في عصا طويلة ويغرفون من هذا العجين ويصبونه في الفرن أقراصا على قدر أرغفة الخبز وعند هارخاوة وطراوة فسميت بذلك لكونها تصب على هذا الحال وأما القطايف فانها تعمل في بلاد المدن من الدقيق الابيض الخاص المقطف وتصب على صواني صغار يقال لها الرقع من حديد أو من نحاس الا أنها صغيرة مثل القرصة وهي ألذ من هذه الانواع وأطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد أكلناها مرارا وتلذذنا بها ونسأل الله تعالى أن يطعمها الاخوان الفقراء ويعمهم بأكلها لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم بل ولا يعرفها بالكلية وانما اشتهرت في بلده مصبوبة أم وطيف هذه قيل انها زوجة على ما تقدم وقيل كانت امرأة تصنعها في قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذي تعمل منه مقطف أي منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب تسمية الشئ باسم الصفة التي تطرأ عليه وتمام الكلام أنه اذا صب المصبوب قوراً أي الهيطلية فيقعد ويأكل منها حتى يكتفي لئلا يفهم أحد أن مامراده الا النظر وهذا محال كما قال بعضهم

النظر بالعين لا يقضي ملامه * غير مص الريق ولثم الخال وشامه

النظر بالعين مايشفي غليلك * الا ان واصلت في بيتك خليلك

واجعل القصه لمحبوبك رسيلك * وادخل القبه ترى للشيخ كرامه

الى آخر ما قال ويجري هذا المعنى في جميع الابيات التي صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه ثم ان الناظم التفت الى مأكول آخر فقال

ص ﴿ألا يا ترى اشحال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف﴾

ش قوله (ألا يا ترى) يريد أن يستفهم ويختبر ويسأل ويتحقق عن شئ بعيد عنه لم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة طويلة ولهذا قال (اشحال) يعني ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه بعد مدة وأوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب (بعد) وضعه في الست و(غلوه) أصله وغليه أبدلت الياء المثناة من تحت واوا جريا على اللغة الريفية أي غليه بالنار يعني هل له لذة في المأكل وحلاوة في الطعم أم كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) أي هذا اللبن الحليب المغلي (بالخبز) تقدم تعريفه في الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة اللفظ مثل قول بعضهم

ماقلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشئ بالتصغير

فلهذا قال السخين على وزن الطنين أي المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن كنيف مشتق

من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين مشتق من السخونة وهي الحمى الحرارتها وسخونة الجسد اذا اعترته أعاذنا الله منها وجعل الخبز رديفا اللبن بمعنى أنه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة فهو واياها على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق أحدهما صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعني السمع فكأنه يقول لهم أخبروني عن حال اللبن وعن أكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة لنبذ المأكل ولنلذ واسمعي بذكره فلعلى أن أراه حقيقة وآكل منه يقينا كما قال أبو نواس ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر

فان الشاهد في قوله وقل لي هي الخمر أي لاجل ما ألتذ بسماع اسمها وتلتذ أذناي بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقي حاسة السمع وكقول ابن الفارض نفعنا الله به

أدر ذكر من أهوى ولو بملام * فان أحاديث الحبيب مدامي

ليشهد سمعي الى آخر ما قال (ثم انه لما أراد) أن يلتذ سمعه باللبن المغلي مع الخبز السخين أراد أن يلتذ سمعه أيضا بفروكة اللبن حتى يريد الله له بالاكل من الجميع ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم فقال

ص ﴿ألا يا ترى اشحال مفروكة اللبن * على زلطها قلبي يرف رفيف﴾

ش قوله (ألا يا ترى) أي يا ترى أحد يخبرني خبرا شافيا (اشحال) أي أسأله عن حال (مفروكة اللبن) أي الفطير الذي يفرك باللبن بمعنى انه يعمل من الدقيق الابيض الناعم ويخبز في الفرن أو الجورة ويفرك أي يكسر بالايدي وهو حار ويوضع في زبدية أو مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينا ناعما في البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو أفضل الطعام (وفي الحديث الشريف) فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين (وورد أيضا) اثردوا فان في الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقي اليها وحسرتي على بعدها (قلبي يرف رفيف) أصله رفيفا لانه مصدر حذفت ألفه للضرورة أي يخفق خفقانا زائدا يشبه في خفقانه رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهي حجارة صغيرة ملساء تكون في الرمال وسواحل البحر وسمي زلط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ أو لان اللقمة تحاكي الزلطة الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة في رميها من اليد كما يقال (زلطة في رأسك) مثلا يعني جالك ضربة زلطة في رأسك بسرعة حتى يؤثر ضربها في رأسك فشبهت بذلك لانه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحدفها في حلقه ويزلطها كما يحدف الرجل الزلطة بشدة وقوة وأيضا الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ أسنان ولهذا تأسف على فراق هذا المأكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذي عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من

كثرة الشوق ودواعى الشهوة وانتظار حصول المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائما قلبه يخفق على فراق محبوبه فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه فى الحديث وآنسه بالمسامرة فهنالك يزول مابه وتسكن حواسه بأنسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبى * لايزال عليه طائر حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر

أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

الا ان كلام الاستاذ نفعنا الله به ومشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه آلى على نفسه أنه متى رأى لقانة ابن عمه الآتى ذكره ملآنة من الفت أكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص ﴿أنا ان شفت لقانة ابن عمى مخيمر * ملانه من التفتيت ماو طفيف﴾

ش قوله (أنا) يعنى أبو شادوف لا أحد غيرى (ان شفت) أى رأيت بعينى لا باذنى كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمى) أخو والدى (مخيمر) سمى بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخمر فيها الجلة والعجين وربما بال فيها أيضا أو لاتيانه بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه أو لاكله من العجين المخمر قبل تقريصه أو لان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون ياوجه الخميرة المشققة وقوله (ملانه) أى اللقانة (من التفتيت) جمع فت وهو تكسير الخبز لقما صغارا وكبارا وأحسنها الصغار ويصب عليه العدس أو البيسار حتى يبس ويصير كقطع الحجارة (ماو طفيف) أى ماوا كاملا مطففا يعنى أنه زائد على حوافى الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل أو من طف الماء على الجروف اذا ارتفع عليها أو من الطف محل بنواحى العراق من نواحى كربلاء التى استشهد فيها سيدنا ومولانا الامام الحسين رضى الله تعالى عنه (وملخص قصته رضى الله عنه) قيل ان معاوية لما مات أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة من سيد شباب أهل الجنة سيدنا الامام الحسين فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فأتت كتب العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمر وجماعة من الصحابة أشاروا بعدمه وبينوا له غدر أهل العراق وما فعلوه بأبيه وأخيه رضى الله عنهم وقالوا له ان كان ولا بد فلا تأخذ أهلك معك فلم يفعل ذلك فبكى ابن عباس وقال واحسيناه وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى أهل العراق يأخذ بيعتهم فأخذها وأرسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين من مكة قاصدا العراق فعلم يزيد بخروجه فأرسل الى واليه على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يأمره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له ارجع فانى لم أدع لك خلفى خيرا وأخبره الخبر ولقيه الفرزدق فسأله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء فهم أن يرجع وكان معه أخو مسلم فقال له لا نرجع حتى نأخذ بثاره أو نقتل وكان ابن زياد جهز أربعة آلاف وقيل عشرين ألفا للملاقاة فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة وأربعون فارسا ونحو مائة راجل

فلقيه

فلقيه الجيش والتمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد بن معاوية فأبى فقاتلوه وكان أكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما أيقن أنهم مقاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت وتلونت وأدبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى فانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما فقاتلوه فكان آخر الامر أن استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من أهل بيته وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبرانى (قال العلامة) سيدى عبد الرؤف المناوى نفعنا الله به فى طبقاته فان قلت ينافيه ما ورد عن الطبرانى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال أخبرنى جبريل أن الحسين رضى الله عنه يقتل بعدى بأرض الطف وجاءنى جبريل بتربة منها وأعلمنى أن فيها مضجعه (ومارواه سعد) عن أمير المؤمنين الامام على رضى الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال أخبرنى جبريل أن حسينا يقتل بشاطئ الفرات (قلت) لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بأرض الطف وهى من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتأم الكلام واستقام على أحسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا) أخذوا رأسه وأتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من أهل بيته الى يزيد ومنهم على ابن الحسين وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا وأوقفهم موقف السبى بباب المسجد وأهانهم وبالغ فى اهانتهم ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه وقد أخرج أبو يعلى عن أبى عبيدة مرفوعا لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد (وصح) عن ابراهيم النخعى انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم أدخل الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره واستشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة أشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قامت وكانت الكواكب ترى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة أيام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة يضرب بعضها بعضا ولم يقلب حجر فى بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وصار الورس الذى فى عسكرهم رمادا ونحروا ناقة فى عسكرهم فصاروا يرون فى لحمها نيرانا وطبخوها فصارت كالعلقم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا فى أول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد أهله الى المدينة وأن يطاف برأسه الشريف البلاد وروى ابن

خالويه عن الاعمش عن منهال بن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق
وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم
كانوا من آياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربى فصيح وقال جهارا أعجب من أصحاب
الكهف قتلى وحملى (وقال ابن حجر) ورد من طريق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله
عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا (واختلفوا) فى رأس الحسين
بعد مصيره الى الشام الى أين صار وفى أى موضع استقر فذهبت طائفة الى أنه طيف به حتى انتهى الى
عسقلان فلا قاه أميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتدا منهم الصالح طلائع وزير
الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة (وذكر
آخرون) أنه حمل الى المدينة مع أهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية أنه فى المشهد
القاهرى رضى الله عنهم أجمعين (وقد تقدم) أن الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء وأما الفرات
فمبدؤه من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى أبوزحس على نحو يوم من قالى قلا
وهو يجرى فى أرض الروم الى أن يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة
فرسخ وقيل أكثر من ذلك والاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف
بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى وكان
البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه هناك سفن الصين والهند ترد الى ملوك
الحيرة (وقد ذكر أن خالد بن الوليد) المخزومى لما أقبل يريد الحيرة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله
عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه أهل الحيرة فتحصنوا منه فى القصر الابيض وقصر القادسية وقصر
بنى نفيلة وهذه القصور كانت بالحيرة وهى الآن خراب لا أنيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة أميال
فلما نظر خالد بن الوليد الى أهل الحيرة وقد تحصنوا منه أمر العساكر أن تنزل بالنجف وأقبل خالد على
فرسه هو وضرار بن الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبالة قصر بنى نفيلة فجعل
العباديون يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار أصلحك الله ليس لهم مكيدة أعظم مما
نرى فمضى خالد فنزل فى عسكره وبعث اليهم أن يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوى أنسابهم يسأله عن
أمرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة وهو الذى بنى القصر الابيض فأتى
خالدا وله يومئذ ثلثمائة وخمسون سنة فأقبل يمشى فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال من أين أقصى أثرك
أيها الشيخ قال من صلب أبى قال فمن أين جئت قال من بطن أمى قال فعلام أنت ويحك قال على
الارض قال فيم أنت لا كنت قال فى ثيابى قال أتعقل لا عقلت قال اى والله وأعى قال ابن كم أنت
قال ابن رجل واحد قال اللهم اخزهم من أهل بلده كلما أريد أن أسأله عن الشئ يجيب عن غيره قال
والله ما أجبتك الا بما سألتنى قال أعرب أنتم أم نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال أحرب

أنتم أم سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتى الحكيم فينهاه قال كم للثمن السنين قال خمسون وثلثمائة سنة أدركت سفن البحر تأتى الينا فى هذا النجف بمتاع السند والهند وأمواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر كم بيننا اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تأخذ مكتلها فتضعه على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال فى قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة وأشجار مثمرة وأنهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام وتراها اليوم قد أصبحت خرابا وذلك دأب الله فى البلاد والعباد فرجع خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان مشهورا فى العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال أتيتك فان يكن عندك ما يسرنى ويوافق أهل بلادى قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره لم أكن أول من ساق الى أهل بلده حزنا وبلاء فآكل هذا السم وأستريح من الدنيا فما بقى من عمرى الا اليسير فقال له خالد هاته فأخذه ووضعه فى راحته ثم قال بسم الله رب الارض والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء ثم استفه فتجللته غشية وضرب بذقنه فى صدره ساعة ثم أفاق كأنما نشط من عقال فانصرف العبادى الى قومه وكان عبادى المذهب وهم النسطورية من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه وأخرجوه عنكم فصالحوه على مائة ألف درهم قال المسعودى وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار وحكاها شهاب الدين بن العماد فى حكايته فى النيل السعيد كذلك ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء برؤيته وأنه لا يكفيه الا أكله جميعه فقال

ص ﴿قشرته جميعه ما تركت بقيته * لغيرى ولا عندى بدا توقيف﴾

ش قوله (قشرته جميعه) القشر فى الاكل وغيره أخذ الشئ جميعه أو اتلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان أقشر وكعبك أقشر ومنه يقال أكعاب وأعتاب ونواصى ويقال امرأة قشراء ورجل أقشر يعنى انه قليل البركة قليل الرزق تأتى قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك وكان فى قرينتا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق امرأة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء مواليا

صحبة سكيكر لكعب الخير كانت فال * لو كعب أقشر قشرها بالعجل فى الحال

لو شاربنى الموت أو شنتو على الامهال * قلت اقتلع بو وخلى كعب فى الخال

(ومنه) قصة طويس المذكورة فى الكتب وكلها أسباب يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير أو شر والا ففى الحديث الشريف لا عدوى ولا طيرة ولا فال ونعق غراب فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا هل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله قشرته جميعه أى أكلته جميعه ولا أبقى منه شيأ لغيرى لانى مشتهيه وعندى مجاعة شديدة فمتى رأيته

لأبى منه شىء أو هذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره فى الطعام وأرخى نفسه عليه وأكل
منه زائدا عن القدر المعتاد ضره وآذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل وأكثر موت الناس بالتخم
قال الشاعر اذا شئت أن تحيا صحيحا سليما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل أكل المرء عاش طويلا
(قيل) اجتمع عنده ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندى وروى ومصرى فقال لهم الملك ليصف لى كل
واحد دواء لاداء معه فقال الهندى الدواء الذى لاداء معه أن تفطر كل يوم على شئ من بزر الهندبا
وقال الرومى الدواء الذى لاداء معه أن تفطر كل يوم على ثلاثة جرعات من الماء الساخن وقال المصرى
الدواء الذى لاداء معه أن لاتأكل الابعد الجوع وأن تقوم وأنت تشتهى الطعام فانك لاترى علة الا
علة الموت فقالوا كلهم صدق المصرى (ولما أرسل المقوقس) ملك مصر الى النبى صلى الله عليه وسلم
الجاريتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة أنصنا التى هى الآن خراب على شاطئ بحر النيل من اقليم
الصعيد وأرسل له البغلة المسماة بدلدل وأرسل له عسلا من بنها قرية من قرى مصر من نواحى
القليوبية وأرسل مع هذه الهدية حكيما وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبى فلما وصلت الهدية
والحكيم الى النبى صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لانأكل الابعد الجوع واذا
أكلنا لانشبع فلا نحتاج الى حكيم فلما بلغ المقوقس ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال بالله من نبى
عظيم جمع الحكمة فى كلمتين (وفى الحديث) جوعوا تصحوا فالجوع محل النشاط للعبادة ويتولد منه
صحة الجسم وعدم الامراض خصوصا الاصحاب الرياضات وأرباب الخلوات فان نتيجتهم فى ذلك
الجوع لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البونى فى بعض كتبه أنها لاتصح رياضة من أحد وفى قلبه
مثقال حبة من شبع وأما كثرة الاكل فانها تنشأ من أمور اما من شدة الشره على الطعام أو يكون
ذلك عادة فقد رأينا من أكل الماجور الطعام ولم يشبع ورأينا من أكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع
وكان بعض الجبابرة يأكل التصيل مشويا فى غدائه فأكله يوما وأراد أن يجامع زوجته فامتنعت
فعاتبها فقالت كيف تصل الى وبينى وبينك فصيل وذكر سيدى محيى الدين بن العربى نفعنا الله به
فى مواقع النجوم أن ابن عبد الملك كان أكولا مر برجل معه زنبيل بيض مشوى وزنبيل تين فأكل
مافيهما فمرض ومات بذلك وكان الوليد من ملوك بنى أمية جبارا عنيدا وكان يشرب الزق الخمر
ويأكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزقه وأنشد يقول
تهددنى بجبار عنيد * وانى ذاك جبار عنيد اذا ماجئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد
وهذا كله من تعنته وتجبره وكان المأمون يأكل كثيرا فاصطنع له بعض الحكماء المأمونية فصار
يأكل منها فانسدت معدته وقل أكله لان قليلها يغذى الشخص ولهذا نسبت اليه وأما ما اتفق
لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذى يكفى الجماعة الكثيرة فانما هو من باب

التصريف واظهار الكرامة وقال ابن خلكان كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي وكان به عرج وقال الحافظ بن عساكر في تاريخه ان سليمان بن عبد الملك كورك كان نهما في الاكل وقد نقل عنه أشياء غريبة فمنها أنه اصطبح في بعض الايام بأربعين دجاجة مشوية وأربعين بيضة وأربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم أكل مع الناس في السماط العام ومنها أنه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد أمر قيمه أن يجنى ثماره ويستطيب له منها وكان معه أصحابه فأكل القوم حتى اكتفوا واستمر هو يأكل أكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم مال الى الفاكهة فأكل منها أكلا ذريعا ثم أتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما ثم مال الى الفاكهة فأكل منها أكلا ذريعا ثم أتى بإناء يقعد فيه الرجل مملوأ سمنا وسويقا وسكرا فأكله أجمع ثم سار الى دار الخلافة وأتى السماط فأكل مع الحاضرين كأنه ما أكل شيأ ومنها أنه حج فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمانة وخاروفا وست دجاجات وأتى بمكوك عنب فأكله أجمع ومنها أنه كان له بستان فجاء رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستؤذن في ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم أذن في ضمانه فلما قيل للضامن احمل المال قال كان ذلك قبل أن يدخل أمير المؤمنين وقيل كان سبب موته انه أكل أربعمائة بيضة وثمانمائة تينة وأربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة محمرة وفشت الحمى في عسكره وكان موته بالحمى انتهى والله أعلم قيل مر رجل اكول في سفره واجتاز بقرية فاضافه انسان وأجلسه وكانت زوجته في الفرن تخبز العيش وأتاه بجانب من الخبز وذهب يأتي بالادم فلما رجع وجده قد أكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب يأتي له بخبز آخر ورجع فوجده أكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل جميع ما خبزته زوجته وكذا أكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى أين تمضي فقال الى مصر قال ألك حاجة فيها قال نعم قال له وما هي قال وصف لي بها طبيب حاذق فقد قصدت الذهاب اليه قال لاي شئ قال أنا رجل قل أكلي وانسدت معدتي ومرادي منه شئ يصفه لي لعلي أقطع في الاكل فقال له الرجل أنا بقي لي عليك احسان ولكن سألتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلي ان كان هذا فعلك ومعدتك مسدودة فكيف اذا اتسعت ثم انه أخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله وقوله (ما زلت بقيت واغيرى) أي لاحد غيري قريب أو بعيد (ولا عندي بذا توقيف) أي لا أتوقف في الاكل ولا أستحي من أحد اذا كان مارا ولا أعزم ولا أطعم غيري منه ولا أنظر فيه ان كان باردا أو حارا أو مقاربا أو من حرام أو من حلال فعلى كل حال لا أنظر لهذا المعنى ولا ألتفت لهذا الامر ولا أطعم غيري ثم ان الناظم تشوق الى مأكول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص ﴿أنا خاطري أكات فسيخ على النده * أضال عليها باكيا وأسيف﴾

ش قوله (أنا) يعني أبو شادوف لا غيري كما تقدم معناه في أبيات غير هذا (خاطري) أي مرادي ودائما

يخطر ببالى ذلك الامر وأنا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (أكلة فسيخ) والاكلة واحدة
الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البورى ونوع آخر يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على
بعضه البعض بعد أن يضعوا على كل رصة جانبا من الملح فينتقع به ثم يسيل منه ماء ثم يضمر ويصلحه
الملح ويشده ثم انهم يأخذونه ويبيعونه ويأكله أهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخة منه ويشقون
بطنها ويضعها الرجل أو المرأة على يده اليسرى أو فى يديه الاثنين ويعصر عليها الليمون وينتش منها
لقمة لقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم ويأخذ عليها اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذى ينهش فى الرمة مثلا
ويعلو فمه ويديه القذارة والرائحة الخبيثة ويأكلونه حتى فى الاسواق وأغرب من هذا انه أخبرنى من أثق
به من أهالى سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولى على البحر يقال له العدوى نفعنا الله به فرأى شخصا
من الارياف قاعدا فى بيت الخلاء ومعه فسيخة ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل فى بيت
الخلاء فقال له أنت تطردنى من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والامر اذلك تأخذ منى الفسيخة
فخرج من غير استنجاء والفسيخة فى يده وراح الى حال سبيله ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم
وشهوة لا يعدلها شئ خصوصا أهالى الكفور وبلاد الملق فانهم لا يرونه الا من النيل يجئ لهم من
دمياط ورشيد فى المراكب ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب للصعيد وغيره
وهو مشهور ببلاد مصر وأما فسيخ البطارخ فانهم يبقوه فى الهواء الى أن يجمد ويصير يابسا عن
الفسيخ وهو مأكول الاكابر ويسمى بطارخا لان جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ فانه خالى عن
ذلك ويأكلون لحمه بالخل والزيت وربما أضافوا اليه الثوم والبصل الخروطين والحرارات وهو
شهوة عظيمة فى بلاد المدن وغيرها يكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه صرصر
بكسر الصاد الاولى ويجعلون البطارخ الذى فى جوفه فى اناء ثانى ويضعون عليه الزيت الطيب أو
الشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال أكله فى الشتاء وسمى الفسيخ فسيخا لتفسخه
عند الاكل أو أن الذى صنعه أولا خرج منه ريح عند أكله فشمه آخر فقال فسى أخ فركبوا هاتين
الكلمتين وجعلوهما علما وقالوا فسيخ قيل سمع بعض أهل الريف قارئا يقرأ قوله تعالى وفيها ما تشتهى
الانفس وتلذ الاعين فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهى نفسك الخبيثة وقوله (على
الندى) أى وقت نزول الندى لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان فى أول النهار ربما
اعتدل أكله هذا اذا كان فى زمن الصيف وأما زمن الشتاء ففى أى وقت كان ويستحب أن يشرب
عليه شرابا حلوا أو يؤكل عليه تمر فانه يذهب ضرره وأذاه وقوله (أضال) تقدم معناه (عليها) أى على
هذه الحالة والاكلة من الفسيخ لشدة شهوة نفسى الخبيثة اليها (باكيا) أى أستمر على عدم حصول هذه
الاكلة باكيا والبكاء هو غرغرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر
وبكى السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال الشاعر

ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بك الجرح اذا خرج منه الدم وقوله (وأسيف) سكنه لضرورة النظم لان أصله أضال أسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لى فلا أنفك عن الحزن حتى آكل منها وأشبع والاسف هو شدة الوجد لى فقد الحبيب وبعد الصديق قال الشاعر

وما أسفى الا على من أودّه * ومن لا أودّه ما عليه ملام

وقول بعضهم

وما عتبى الا على من أودّه * ومن لا أودّه ما عليه عتاب

وقال بعضهم

أعاتب ذا المودّة من صديق * اذا ما رابنى منه اجتناب

اذا ذهب العتاب فليس ودّ * ويبقى الودّ ما بقى العتاب

ولبعضهم

وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة * وان عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

ولست براء عيب ذى الودّ كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

وقال آخر

لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خل وفىّ للشدائد أصطفى

أيقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

وقال آخر

صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك خل زرهوا حذر بوائقه

ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فأسواق المنافق نافقه

فلا تخش الا الله لارب غيره * فما رفع الدنيا الحرّ ولا تقه

وقال آخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق

لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال آخر

أنت ما احتجت الى صا * حبك الدهر أخوه

واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه لو رأى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

وقيل فى الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب ان الصاحب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته فى الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته فى الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك ثم ان الناظم انتقل من شهوة الخبيث الى الطيب فقال

ص ﴿على من نضر فى فرن دار وطواجن * زغاليل من برج بن آبو شعنيف﴾

ش وقوله (على من نضر) بالعين (فى فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه فى الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) أى دار الناظم فالضمير فى دارو راجع اليه يعنى لا يكون فى دار غيره

ولا تكون الطواجن فى فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه مملا (زغاليـل) وهى أفراخ الحمام البرى المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطى لانه يرعى فى الغيطان ومحلات الزرع والاجران وأكلها نافع يقوى الباه اذا أضيف اليها الحرارات والسمن البقرى فلا تسأل عن جودة طعمها ولذة أكلها والحمام اسم جنس شامل لكل ما عب وهدر ثم انه بين أن الزغاليل التى أشار اليها لا تكون الا (من برج) لا من الزغاليل المتولدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حول بعضه البعض فيه قواديس فخار يأتى اليه الحمام البرى ويبات فى تلك القواديس ويفرخ ويخرا فيها أيضا ويسمون خراءه عندهم رمالا يأخذونه لزرع البطيخ والنحل يطعمونه به وأمره عندهم مشهور ويأخذون من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا فى سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغلل وهو نبات أزرق اللون شبهت به الزغاليل لزرقة ريشها أو أنه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والفحم الذى يصنعون به زبيب والكير الذى ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح فى هذه الصنعة لكن تراهم دائما فى شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة (وسئل الامام الشافعى) رضى الله تعالى عنه عن الكيمياء فقال أعرف من افتقر بها الامن استغنى فكذلك الحمام فى كل قليل من الايام يدخلون عليه ويأخذون أفراخه ويذبحونها ويبيعون منها فهم دائما فى خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما أن واحد الهباييل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهاة بالزينة قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسئلة هبالية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف بلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع أن اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى أم كيف الحال (قلنا الجواب القشروى) أن المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسى ووجه طبى فالوجه الاول أن الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس وائتلافهم مع بعضهم البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لأفراخه وتغريده وتهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه الحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى أعلى البرج وذهابه لاكتساب رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون أرزاقهم ومعاشهم (كما فى الحديث الشريف) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس القطبيسى والوجه الثانى أن الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة وأحسن الحمامات ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام

فانه

فانه سخن محرك للباه وان كان فى أفراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا أضيف اليها الحرارات كما تقدم
فان نفعه يكون تاما وأجوده الحمام البرى وأما الذى فى البيوت فان المداومة على أكله يتولد منها
الحمى وزيادة الدم فكان فى ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى فاتجه الجواب عن وجه هذا الهبال
(وأما اسم الحمام الطائر) فهو مشتق من الحوم وهو التردد فى الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل
ما تقدم ومصدره حام يحوم حوما (وأما الحمام المبنى) فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان
الشخص اذا دخله صار كأنه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق أو من الحوم وهو
الغطوس فى الماء من قولهم فلان استحمى فى البحر يعنى أنه سبح فيه وغطس أو من الحميم وهو الماء
الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما فى المحبة من شدة الحرارة والشوق ومنه
قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع أى محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة أفعاله شدّدت ميمه
الاولى (وأما الحمام) بكسر الحاء فهو الموت فان حاءه ما كسرت الالان الشخص يكون فى حال حياته
فى شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا أثره قال الشاعر

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولا شك أن الموت شدة عظيمة فى معالجة الروح
وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث القشرية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق
عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابو شعنيف) أصله أبى لكن لم يساعده لسانه لعجرفته فى
الكلام وهذه كنيته وأما اسمه الاصلى فهو عنلق أو بحلق على ما قيل وابنه المذكور فى النظم اسمه
فلحس وهو من أسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش المسمى بالنيف
المتقدم ذكره ويضعه للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال فى البلد شاع بالنيف أى بسرقة
النيف ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وأبقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا أبو شعنف
وهو مشتق من الشعنفة على وزن القلحنة ولعلها بمعناها ومصدره شعنف شعنفة ثم ان
الناظم بين كيفية أكله فى الزغاليل وأنه لا يأكل بالنظير فقال

ص ﴿وفطر فطار من طحين ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيف﴾

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر قال الشاعر

وشمر عن ابر وطرطر عامدا * عليها يبول فهى فى البول تغرق

ومعناه أنه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى بحصولها عندى لا يلذ
لى أكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطار) مصدر مثل عمل عمايل أو مثل قشر قشاير ومعناه بطط أو
صنع فطيرا والفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خميرة وخمير أو حمارة وحمير والفطير ثقيل
غليظ لا يوافق الآدمى لانه يولد الارياح هذا اذا أكل وحده وأما مع غيره فلا بأس به وهذا كله فى

فطير الريف الذى أراده الناظم فانهم يأخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه فى الفرن أو يدمسونه فى الجورة ويقال له فطير دماسى ثم انهم يأخذونه ويأكلونه فهذا هو الثقيل المنهى عنه وأما الفطير الذى تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويبسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به وكذلك الذى يصنعونه وقت عجنه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا بأس به ايضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق أى يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل أو يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له أو يهبه اياه أو يتمكن من سرقته ويخبزه فى الفرن أو الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويقف فى حرقها الفطاير المذكورة ويتأهب للاكل منها (ويقعد لها) أى للزغاليل أو لمجموع ذلك (قعدة) أى مثل قعدة (غلام) وهو الذى طر شاربه قال الشاعر

منا الغلام الذى ان طر شاربه * والعانسون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من حاز الكمال والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام أى عنده خسافة أى تفكر وكآبة وشدة حزن فأكون مثله عندى تفكر وشدة جوع فما أصدق أن أرى هذا الطعام وهذا الفطير وآكل منه حتى أكتفى ويذهب جوعى وتنقضى شهوتى مثل الغلام الذى اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على أحبابه فيزول همه وينسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد (كما اتفق) أن بعض العارفين مر برجلين يأكلان فى رمضان فقال لهما ما أمركما فقالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا فى هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما فقال أحدهما اجرح ذراعى فجرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير جرح فصارت أرواحهما وأجسادهما كأنها روح واحدة فى جسد واحد كما قال ابن العربى نفعنا الله به

نحن جسمان بجسم واحد ، نحن روحان حللنا بدنا

وقال أيضا عفا الله عنه

ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا

ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما يبصر الابصار الا موحدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبين ومطلب العارفين نفعنا الله بهم أجمعين قال ابن هانى عفا الله عنه

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد

متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد

واذا تألفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطع فى حديد بارد

واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

وله أيضا رضى الله عنه

لايعرف العشق الا كل من عشقا * وليس من قال انى عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم أن المتحابين فى الله فى ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش ثم ان الناظم انتقل الى شهوة أخرى تمناها فقال

س ﴿على من نضر طاجن سمك فى فرينه * ولو كان بالخوانى بلا تنضيف﴾

ش (قوله على من نضر) يعنى لا سمع باذنه (طاجن) ملآن (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة أحل الله تعالى أكله هو والجراد حيا وميتا وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف وأجوده الطرى واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد فى الباه والمالح أحر من الطرى وأيبس ونفع الكبير منه أن يؤكل مع شراب عتيق وفالوذج خصوصا اذا كان متخذا من ماء عذب بارد والمقلس منه أولى من غيره (قال بعض الحكماء) كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس منه مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتتفاوت فى الطعم واللذة فأما البورى فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل ويعمل أيضا فى الطواجن مرقة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل أيضا بالكشك وقد أكلته فى دمياط مرارا ويعمل أيضا بارز لكن قليل من المفلفل ينيفون عليه ماء الليمون ويسمونه قفاعية وأكلته وله لذة عظيمة وطعمية لذيذة وأما القجاج فانه أعلى رتبة وأطيب طعما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير ويثل المثل اذا عدم الدجاج كل القجاج ويتنوع فى الاطعمة مثل البورى وأما السمك البنى فانه ألذ فى الطعم من الكل ولا يوجد الا فى قاع البحر العذب يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء وهو جيد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلى وحشى فلا تسأل عن لذة طعمه فانك تود أن تأكل أصابعك من حسنه وفى المثل عن لسان حال البنى * أنا البنى ان رأيت أحسن منى لا تأكلنى * ونوع فى السمك يقال له شبارلة لذة فى الطعم والمأكل وقد ورد أنه يأكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما مراده السمك الذى يصيده من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر ملآنة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير ونحو ذلك فتنزل أولادهم ويصيدون منها فيأتون به ويطشونه ويضعونه فى الطواجن ويضعون عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه فى الفرن الى أن يأخذ قوامه فيأكلونه بخبز الدرة أو الشعير ويصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم ألذ المأكول ويأتون بالقراميط السود الصغار ويدفنونها فى الجوزة الى أن تنفخ يسيرا ويأكلونها أعاذنا الله من ذلك وبذكر السمك تذكرت

(ممااتفق) أن رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المغفلين فنزع عليها عاشقها يوما وقال لها طال الموعد فقالت له فى غد تأتينى فى آخر النهار ثم انها أصبحت وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه فى هذا اليوم ونأكله فمضى الى السوق وأتى به فنظفته وأصلحت شأنه ووضعته فى طاجن كبير وقالت له خذه وامض به الى الفران وأرخ له من طبخه وقل للفران يرسله مع غلامه أذان العصر فأخذه زوجها وذهب به الى الفران وأعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا وطاعة ثم ان الفران أرسله لها فى الوقت المعلوم فبينما هى جالسة واذا بصاحبها الذى وعدته يطرق الباب ففتحت له وطلع وأكل من ذلك السمك وتمتع بحسنها وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها فى الحديث اذ طرق زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها فتحت لزوجها الباب وأظهرت له الحزن والبكا فقال لها ما الذى أصابك فقالت له اسكت يا راجل لما تسكن روحى فى قلبى أنا لم أقدر أرد عليك وكانت وقعتى معك وقعت الشوم ازاى الفران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفتو نأكل منه وطلع لى راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتى منه وخايفته لا يطلع على شئ واهو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكة وأنا طول عمرى ما حد شافنى ولا أعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجرى حتى طلع الى الرواق فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك المطعوم من حطك فى الطاجن يا ترى هو الفران والا صبيه فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خذه وروح به الى الفران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل له من دا الوقت لا تحط فى طاجننا حد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجه به الى الفران وأعلمه بالقصة فعرف الفران الامر وتحقق القضية فقام وعمل أنه يضرب الرجل وقال له أنا وضعتك فى طاجن اللحم خالفتنى ونزلت فى السمك ان بقيت تخالفنى أشوش عليك ونضر بك فقال الرجل للفران يا سيدى ما عدت أخالفك أبدا الطاجن الذى توضعنى فيه لا أطلع منه أبدا ثم ان الفران قال لزوجها أخبر زوجتك انى شوشت عليه ولا بقى ينزل فى طاجنها أبدا قال فمضى زوجها وأخبرها بالقصة ففرحت وقالت ان عاد يحط لنا حد فى طاجننا ما بقينا نطبخ عنده شيئا أبدا ثم تركها زوجها ومضى الى أشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم (ومن العجائب) أن بعضهم صاد سمكة فرأى مكتوبا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فأطلقها لاجل كلمة التوحيد والشهادة (وأعجب من هذا) أن بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت الريح وأشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولى اسكن أيها البحر فانما على ظهرك بحر مثلك أى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم انك ولى وبحر فى العلوم والمعرفة ولكن أنا أسألك عن مسئلة أترد جوابها قال قولى فتكلمت السمكة بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء أم عدة الاموات فتحير الشيخ فى أمره

ولم يردّلها جوابا فقالت السمكة أين دعواك في بحر العلوم فقال انى أستغفر الله مما قلت فأرشدينى الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادا تعتدّ عدّة الاموات وان مسخ حيوانا تعتدّ عدّة الاحياء ثم انها غابت في البحر فتاب الولى من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه أنه يقبل التوبة عن عباده فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى وبذكر قصة القران والسمك تذكرت أن حفظ الوداد قليل في الناس ويعجبنى قول بعضهم

لقد كان لى خل علمت ولاءه * وكان صدوقا في المقال خليلا

فخان ودادى ثم أنكر صحبتى * فياليتنى لم أتخذه خليلا

وقال بعضهم واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى

وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادى

وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن في فسادى

وقال آخر لاضربنّ رحالى ألف مقرعة * حدّا وأنصب آمالى على خشبه

لعشرتى لاناس لاخلاق لهم * بيض الثياب واقفال على خربه

(ومن كلام الامام الشافعى) رضى الله عنه

ابعد عن الناس كل بعد * مالم تكن بينهم مجمل * ولا تقل كان لى أيادى

عليهم في الزمان الاول * المرء بين أهله كليب * اذا رأوا ذيله مهلهل

وقال أيضا رضى الله عنه

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال

فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

وقال بعضهم مافي زمانك من ترجو مودّته * ولا صديق اذا جار الزمان صفا

فعش فريدا ولا تركن الى أحد * انى نصحتك فيما قد جرى وكفى

ولابن عروس قطب بلاد المغرب

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه انى نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

وقوله (في فرينه) أى في فرن الناظم وصغره لاجل النظم يعنى أنه يأتى من الغيظ أو الحزن فيراه في فرنه حاضرا طبوخا من غير أن يتكلف بصيده وتحو يجه من الزيت الحار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولو كان) هذا السمك الذى أغناه (يا اخوانى) يخاطب به أصحابه وأحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنون اخوان في الله تعالى قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة (وفي الحديث) عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا (وقال بعضهم) من فقد اخوانه

فقد فقد مروءته (قيل) أتى رجل الى المأمون فقال له أنا أخوك أعطني من بيت مال المسلمين ما يكفيني فقال له من أين أنت أخي فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فقال صدق الله العظيم وصدقت أعطوه درهما فقال ماهذا عطاء الملوك فقال له المأمون لو فرض أني فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك أقل من ذلك فمضى الرجل ولم يظفر بشئ غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا (وكان المأمون) يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا أثاب عليه (ومن حلمه) أن جارية من جواريه قدمت اليه طعاما مشويا في أسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فخرقها وأتلفها فنظر اليها فقالت والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظي فقالت والعافين عن الناس فقال قد عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين فقال أنت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة في الحلم والعفو لا يقدر عليها أحد رحمه الله وله أخبار كثيرة في ذلك وقوله (بلا تنضيف) أي ولو كان يجد هذا السمك في طاجن فرنه من غير غسل ولا تنظيف بالماء بل يرصونه في الطاجن بعظمه وقحوفه حتى يصير مثل المشوى في الجورة فتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره وقلة ما بيده وقوة شهوته للاكل منه وفي المثل الغريق يستند على القش وفي مثل آخر بطينه ولا غسيل البرك فعلى كل حال انه يسد جوعه ويقضي شهوته فالشخص اذا اشتهت نفسه شيأ ولو حقيرا متى وجده كان عنده عظيما وأكل منه أكلا زائدا فان الشهوة البهيمية ترمي صاحبها على أخبث المآكول فكل من أطاع نفسه وهواه خسر قال سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب البردة رحمه الله

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب في المعاد وقيل مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهي أكل الهريسة ويخالف نفسه ويصبر الى أن حصلت له يوما وهو في الخلوة قدمها ليأكل منها فانشق حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال له أف عليك يا عمر فقال ان أكلتها اثم انه تركها ولم يأكلها بقية عمره وخالف نفسه (ومن النكت المضحكة) أن بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها وكل غيره ولا تطعها أبدا فأتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضع بين يديه ووضع بين يدي التلميذ صحن عدس وكان الذي وضع بين يدي الشيخ أرز مفلفل بلحم ضان يقال لها قارش مارش فمد التلميذ يده وأخذ الصحن من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه أما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدي حدثتني نفسي أني آكل من الصحن العدس فخالفتها وأكلت من هذا اللحم الضان بالارز المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يوما في الخلوة فوجد التلميذ يلوط بالولد فقال له ماهذا الفعال فقال له يا سيدي حدثتني نفسي وقالت لي نك الشيخ فخالفتها وفعلت في هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله

ما أشقاك وما أخيبك فخرج من عنده ولم يعد اليه ثم ان الناظم اشتهى شيأ لم ير فى بلده الا يوم عيد النحر فقال

ص ﴿على من رأى فى التل كرش ملقح * ومن فوقه الدبان يهف عفيف﴾

ش قوله (على من رأى) رؤية بصرية كما تقدم فى غير هذا البيت (فى التل) أى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون فى الغالب حول البلد لان كل من يكون عنده تراب أو رماد يكبه قدام داره بر البلد أمام بيته وجاره مثله وهكذا الى أن يتصل بعضه بالبعض و يعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها حتى يصير كوما عاليا يرى من بعيد وبجانبه أيضا محلات خالية يشخون فيها جميعا نساؤهم ورجالهم وأولادهم وغالبهم يخرون فيها أيضا ثم ان النساء والرجال يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغيط والزرع والقلع والجرل والجاموس وغير ذلك وربما وقع بينهم الشر عند الشخاخ فيقوم الشخص لخصمه وشخاخه فى جبته أو يسيل على ردائه حتى يغرق جبته ويضارب رفيقه ورداؤه عليه الخرا وهكذا ثم يؤل أمرهم الى الصلح أو القتل ونساؤهم على شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشون عن الكلام فى غزل الصوف والقل وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا أن تكون فى دار الشاد بالكسر له ولجماعته يشخون فيها وقد قيل فى المعنى

سألت بنى الارياف ما لبيوتكم * مراحيض قالوا الامراحيض للقوم

فقلت فماذا تصنعوا فى ذمائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم أيضا العلية بكسر العين المهملة وتشديد اللام قال الشاعر

أتيت الكفر فى ضحوه * رأيت أهله جمع شالوا وراحوا فوق علمه * عليها الكل قد بالوا

أى طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا وأطفالا وتطلق العلية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم فى العلالى أى أنه صار يجلس عاليا عن الناس وبقى له فى الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال الشاعر

جوز غزلان ايحلاهم * شافنى على القدم حناهم متى يا زمان تجمعنا * فى العلالى أنا وإياهم

فان قيل ان الناظم قال فى التل فيفهم منه أنه يرى الكرش فى جوف التل فيكون متواريا عنه وأكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شئ ظاهر لا على شئ مغطى مستور كما تقول فلان فى الدار أى فى داخلها فالجواب (قلنا الجواب النشروى) أن فى بمعنى على أى كرشا ملقحا على التل أو الكوم كما يقال فلان فى الجبل أى فوقه لا داخله لانه لا يستطيع أن يثقب الجبل ويدخل فيه أو أن حرف الجر على بابه ويكون قوله فى التل بمعنى أن فى جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون

فيها الكروش منـ لا فصدق عليه أن الكرش فى جوفه وان كان ظاهرا يرى الناس فاتجه الاشكال عن وجه هـذا الهبال وقوله (كرش ملقع) أى كرش البهيمة التى يذبحونها يوم عيد النحر لانهم لا يرون اللحم الا فى هذا اليوم ولا يكن أنهم يلقون الكرش على التل بل يأخذونه ويلقون ما فيه من التذل ويغسلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة ويسمونه جغل مغل وله عندهم موقع عظيم وأما فى بلاد المدن فانه من الضان ويضيفون اليه الرأس والكوارع ويسمونه سقطا ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبرة والسلق ويصبون عليه الخل ويصيرله لذة عظيمة فيبيعونه بالرأس تارة ويدرجونه فى الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة بغيرها والرؤس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع تسقية يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما هو مشهور فى بلاد المدن وأما أهل الريف فانهم يضعون جميع ذلك فى الدست او البرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج ويقلون له بشئ من البصل أو الثوم ويأكلونه ولا يعرفون السمن ولا الحرارات ولا شيأ من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء ويأكلونه حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور أى أن كرشه بارز ظاهر كناية عن الحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها المعتاد وآلت للسقوط حائط مكرش أى آيل للسقوط وفلان صاحب كرش أى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان كرشه يظهر كبيرا خارجا وفى الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو ممدوح فى الغنم والبقر يقال كبش سمين ممتلئ شحما ولحما فاذا ذبح على هذه الحالة وأدرج رأسه فى كرشه يكون سقطه الذ عن غيره لسمنه وكثرة شحمه (ومن المناسبة) ان السلطان قزلباش أرسل الى السلطان قانصوه الغورى يهدده بهذه الابيات

السيف والخنجر ريحاننا * أف على النرجس والآس
شرابنا من دم أعدائنا * وكاسنا جمجمة الراس

(فاجابه يقول)

لله فى ملكه خاتم * تجرى المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من نبشه
مصارع البغى لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * أدرج رأس الكبش فى كرشه
ونحن ان لم نرج أو نبتغى * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما أرسله السلطان قانصوه الغورى بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائبه أى نائب الغورى ورده خائبا وألقى الله كيده فى نحره ولم يفده ما نصحه به السلطان الغورى من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهـذا مثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما أخذه الله تعالى بغتة وفى الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه

ان

أن يرى كرشاً مرمياً على التل أى الكوم غفل عنه أصحابه وتركوه نسياناً أو ذهولاً أو أن الشاد بالكفر ذبح كبشاً وألقى كرشه على التل فان أهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيأ ويأخذون كرشها وجميع حوائجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوماً ويرى هذا الكرش الذى تمناه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة أهل الكفر فى بهيمة ز و) لو كان من (فوقه الدبان) وهو الذباب وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على ألسنتهم ومفرده دبانه ودبون مفرد المذكور منه والدبان على وزن الحرفان أو الجديان والدبون على وزن المعون أو المأبون قال بعض الشعراء مواليا

فى خاطرى يا مليح لو كنت دبانه * واحط فوق شفتك وتنش اقول دانه

على وياابو حسن لك عين نعسانه * غيرى تواصل وانا اجى لك تقول نانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة فى بعض الكتب منها أنه اذا أخذت ذبابة وربطت وهى حية فى خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتكى الرمد خففت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لأى شئ خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون) يطلون أصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل الله تعالى فى كتابه العزيز توبيخا لهم ولاصنامهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (والذباب) له أعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا أن فمه واسع وأرجله قصيرة عن أرجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة فى فمه ويلقيها فى شئ يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه الى أن تموت وذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به فى المنن أن زوجته أم عبد الرحمن أصابها مرض شديد أشرفت به على الهلاك فدخل يوماً بيت الخلاء فسمع هاتفاً يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة فتحايل وخلصها فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى وقوله (يعف عفيف) أى يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشئ اذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض وأما بفتح المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل عن الشئ بمعنى كف عنه ثم ان الناظم أخبر عن كيفية أخذه ولفه فقال

ص ﴿دنا ان شفته خدتو بحالو سلقتو * وكلتو سفلا ما أرى تقنيف﴾

ش قوله (دنا ان شفته) أى اذا من الله على ورأيته ملقيا على التل (خدتو) أى آخذته فحذف الهمزة وأبدل الذال المعجمة دالا مهملة جريا على اللغة الريفية (بحالو سلقتو) يعنى أنى ألقيه فى الدست

او البرام وألقى عليه الماء لاغير وأسلقه من غير تقلية ولا تشريج وغير ذلك لشدة فقره وعدم ما في يده
وقوله (وكانتو بتقلو) أي بما في جوفه من المرعى ولو أنه نجس مبالغة في الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه
وهذا يعاير به الرجل الأكول عندهم فيقال فلان يأكل كرش بخراه مثلا ومن ذلك ما اتفق أن رجلا
من أهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض لاجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه
وتوجه الى بلده فرأى بين القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لاتم معيك بجديد وكل أنت الآخر
بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان وأعطى بياع الكروش الجديدين وصار يقطع له مما يباع القطط
وهو يأكل من غير ملح وأخذ بالجديد الثاني قطعة كبيرة وزاد له عليها كبدة وروبة وهي النشة ولف
ما أخذه في شدة الذي فوق رأسه وربط عليه وكانت الفلوس التي باع بها البيض مربوطة أيضا على
الشد ثم انه سائر الى أن مر على قرية في الطريق فرأى شجرة فجلس يستريح تحتها فضربه الهواء
فرقد فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذي على رأسه فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح في القرية
فقام يجري خلفه و يصيح ودخل الدار التي طلع الكلب في سطحها فلما رآه النسوان مكشوف الرأس
في هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد في القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه أهل
الخير وأطلقوه فمن عدم ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس وأكل الضرب ورجع الكفر خائبا تائبا وقوله
(ما أرى تقنيف) يعني أني ما أستنف عن أكله لكونه فيه التفل أو لا تجوا به فيها النجاسة مثلا فان
نفسي تطلب لاكله ولا تمتنع عنه وفي القاموس الازرق والناموس الابلق ان التقنيف مشتق من
القنف وهو المنع عن الشئ كما يقال أنت قنف أو فلان يتقنف أو من القنافة بضم القاف وهي
التي توضع في خرق الناف الذي على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة
قول الشاعر لقد خف مني العقل حتى كأنني ٭ أحاكي في الافعال قنافة البقر
ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقح على التل أو الكوم ترجى من الله تعالى أن يبلغه مناه وأنه بعد
مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها من أكل الكروش وغيرها من الترمس والمقلي فقال

ص ﴿أما ان عشت لأروح المدينة واشبع ٭ كروش ولو أني أموت كفيف﴾

ش قوله (أما ان عشت) من المعيشة وهي قوام الجسد وانتعاشه من المأكل والمشرب أي ان طال
عمري وكان فيه تأخير في علم الله تعالى (لأروح المدينة) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وأدام
سرورها بأهلها وأبد نعيمها بسكانها وحرس علماءها الاعلام وأمراءها الكرام لانها مدينة
الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبهاء والكمال
وطيب المعاشرة ولطف المذاكرة كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتروح مصر بدليس يحصن
وملاحها الولدان كأنهم الغزلان أو قضبان البان لا يوجد مثلهم لا في الروم ولا في العجم ولا في
العراق ولم ير ألطف منهم في العشر قيا نفاق كما قلت في هذا المعنى موشحا

أم دلامة فقالت له زبيدة يا أمير المؤمنين مالى أراك حزينا فأخبرها الخبر فضحكت وقالت الآن خرجت أم دلامة من عندى لتجهيز أبى دلامة فضحك هو أيضا وقال والآن خرج من عندى أبو دلامة لتجهيز أم دلامة قال الفضل فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا مستغرقا فى الضحك فعجبت منه كيف دخل حزينا وخرج مسرورا فاستخبرته فأخبرنى بما حصل فشفعت حينئذ فى الحجام فقبل شفاعتى وأطلقه واستحضر أبا دلامة وقال له ما حملك على هذا فقال له يا أمير المؤمنين لكى يقال انه لا يتوصل الى عطاء أمير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلهما وقد علمت أن المزينين أقل الناس عقولا وأفسدهم رأيا فلا ينبغى لعاقل أن يطلعهم على أسراره ولا يشاورهم فى أمر من أموره فانهم لا يحفظون الاسرار ولا يكتمون الاخبار فالاولى اجتنابهم وعدم الركون اليهم واذا احتاج الانسان الى المشاورة فليشاور حكيما عليما خبيرا قد جرب الامر فان المشاورة مطلوبة شرعا قال العلامة البلقينى فى تفسيره أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه وهو غنى عنها فقال تعالى وشاورهم فى الامر وهو تشريع للأمة وقد أثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى وأمرهم شورى بينهم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها رواه الترمذى عن أبى هريرة وأنشد أبو القاسم الحبيبى قال أنشدنى أبو عثمان

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل لبيبا ولا توصه

وان باب أمر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه

ونص الحديث الى أهله * فان الامانة فى نصه

اذا المرء أضمر خوف الاله * تبين ذلك فى شخصه

وأنشد أبو القاسم الحسن قال أنشدنا أبو بكر محمد بن المنذر قال أنشدنا أبو سلمة المؤدب

شاور صديقك فى الخفى المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل

فالله قد أوصى بذاك نبيه * فى قوله شاورهم وتوكل

وقال يحيى البرمكى ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول وسمع أبو الاسود الدؤلى رجلا يقول اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه

فقال قد أخطأ قائل هذا البيت أيعلم الرسول الغيب وان لم توصه أنت فكيف يعلم ما فى نفسك ثم انه قال

اذا أرسلت فى أمر رسولا * ففهمه وأرسله أديبا

ولا تترك وصيته بشئ * وان هو كان ذا عقل أريبا

فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على أن لم يكن علم الغيوبا

الانطباع وقلة الامتناع لفظهم ألطف من النسيم ورضابهم أحلى من التسنيم كما قال الشاعر

ما مثل مصر فى الورى بلدة * سكانها ترتع فى نعيمها
نسيمها ألطف شئ فى الورى * وأهلها ألطف من نسيمها

وقوله (وأشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسى وهو ما تقدم وعلى المعنوى وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان أى استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصا اذا ذاق التعب والنصب أول زمانه وأفاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال فى المثل هذا محدث النعمة لانه لم يعرف قدرها ولم يصرفها فى مصارفها وانما جن به الدهر حتى نال هذا الامر قال الشاعر

مستحدث النعمة مستودعها * عيناه عما رأتا فقر جن بد الدهر فنال الغنى * يا ربه ان عقل الدهر

وأما اذا عرف الشخص ما أنعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير وأحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش أى ان بلغت المدينة لابد أن أشبع من الكروش التى تسلق وتباع وأقضى مرادى وبغيتى منها (ولوأنى) بعد شبعى من الكروش المذكورة وقضا شهوتى (أموت كفيف) أى أعمى يقال كف بصره اذا حصل له العمى وفى الحديث القدسى ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذى عن أنس وقال الابوصيرى الاديب

اذا رمدت عيناى قل مسامرى * وقلت أحبابى من الحى والحمى
يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * وان كف جئنا كى نهنيه بالعمى

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمى يقولون له أنت بقيت من أهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الآن وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها أجر عظيم وفضل جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه فى حكم الميت لا محالة قيل وجد مكتوبا على تاج كسرى أنوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر والظلم اذا دام دمر والفقر هو الموت الاحمر والاعمى ميت وان لم يقبر ومن لم يترك الذكر لم يذكر وما ابتلى الله عباده بشئ أضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما فى المثل أعمى قال لاعور رأس العمى مر فقال الاعور نصف خبرك عندى وفى المثل الآخر الاعور الممقوت بين أهله أحسن من الاعمى على كل حال وقوله كنيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهى الخنات أو يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه ويحسن للفاسق نفسه وينتف أصول شعره باظافيره أو يلقطه بالملقاط فان الامرد ما دام خالى العذار تميل النفس اليه واذا التحى قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا

فسر والله ناظري * مذ رأى ذاك واشتفا شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * أذهب الله حسنه والجمالا

طالت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق الوخفاء من يميل الى أصحاب اللحاء قال الشاعر

بلوطي يدعى عاشق المرد في الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا

فلست لاصحاب اللحاء تعففا * فما أنا لوطي وما أنا زانيا

وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى أن قول العذول فيهم منسوخ قال الشاعر

أهواه طفلا في القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال بعضهم تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد

أخو العذل يدري ما مرادي من الفتى * أمنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكل هذا من الانهماك على الشهوة والجول في العشق والمحبة والا فالعاشق الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتعنيق والبوس وكلها غرامة فلوس ثم ان الناظم بين كيفية أخذه الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهي زوجته واسمها قطيعة فقال

ص ﴿ وآخذ من غزل العجوز وأبيعو * وآكل بحقو يا ابن بنت عريف ﴾

ش قوله (وآخذ من غزل العجوز وأبيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيعة وقيل اسمها بعرة بنت قارط والبعرة قريبة من القارط لانها بنته والقارط أبوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة وعلى الخمرة فيقال لها العجوز أيضا والعذراء ولها أسماء كثيرة قال بعضهم

عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى بالسمين من كل واسم

وفي الكلام تقديم وتأخير ومعناه اذا عشت لا أروح المدينة وآخذ معي غزل العجوز وأبيعه فيها (وآكل بحقه) كروشا ونحوها ولو أني بعد ذلك أموت كنيفا لاني اذا قضيت مرادي وعشت بقية العمر أعمى لا أبالي بعد قضاء شهوتي وحصول ما كنت أرجوه من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلا من أهالي الكفر قيل انه من أقاربه وقيل من أصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى مما ناله ويقول له لا بد انك تفرح لي اذا طال عمري ورحت المدينة وشبعت فيها كروشا وأرجع اليك وهذا يدل على انه صديق له وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون أهل الكفر فان الشخص لا يشكو حاله الا للصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويحمل عنه الهموم أو يواسيه اذا كان متيسرا من الدنيا أو يسليه بالحادثة ونحوها قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وقال ابن عروس

أوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه الى يريدلك الحمل اذا تفرق اثقال * وان تم راقد يكيدلك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خرا الحس واسم والده فسا التيران وسبب تسميته فسا التيران أنهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف فى وسطها ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من يقرب به رائحة الفساء فيقول له أنت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فسمى بذلك وأما جدته لامه فيسمى عريف لاحد أمور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق المحلات التى تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بنى هلال وما وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية فى ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه كان يعرف الشاد أمور البلص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا صورة عوانى فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما أنه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال فى الكتاب يعرف الاولاد أحوال القراءة ويعرف أيضا الفقيه عن أحوالهم فى غيبته كما هو مشهور فى بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لا بد له من عريف على ما جرت به العادة قال العلامة البلقينى الشافعى فى تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء فى حديث الاعمى والاقرع والابرص روى أن ثلاثة من بنى اسرائيل أحدهم أبرص والثانى أقرع والثالث أعمى أراد الله تعالى أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال أى شئ أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرنى الناس فمسحه بيده فذهب البرص وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال أى المال أحب اليك قال الابل فأعطى ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها وأتى الاقرع فقال له أى شئ أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قد قذرونى الناس منه فمسحه فذهب وأعطى شعرا حسنا قال فأى المال أحب اليك قال البقر فأعطاه بقرة حاملا وقال بارك الله لك فيها وأتى الاعمى فقال أى شئ أحب اليك قال أن يرد الله الى بصرى فأبصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاى المال أحب اليك قال الغنم فأعطاه شاة فأنتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم ثم انه أتى الابرص فى صورته وهيئته فقال له من أنت قال رجل مسكين قطعت بى الحبال فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى فقال ان الحقوق كثيرة فقال كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه وأتى الاقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذاك ورد عليه مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه وأتى الاعمى فى صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بى الحبال فى سفرى فقال قد كنت أعمى فردنى الله بصيرا

وفقيرا

وفقيرا فأغنانى فخذ ماشئت فوالله لا أمنعك اليوم شيأ أخذته فقال أمسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم أقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر

وما سدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر

تأنى براجع فيك دهرك عقله * فما سدت الا والزمان به سكر

ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره * ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر

وقال آخر مخمسا رئستم بلا حلم وعلم ولا ولا * وسدتم بلا أهل وفضل ولا ولا

سأقسم بالله الذى خلق الملا * يمينا لقد نحستم رتب العلا * وألبستموها بعد عزتها ذلا

فيا الدهر أنتم عظماؤه * وأنتم أراضيه وأنتم سماؤه

فلو كنت ممن لا يرد قضاؤه * صفعت زمانا أنتم رؤساؤه * بنعل ولكن صنعه بكم أولى

فطوبى لعبد يكتفى بذهابكم * وويل لحر يشتفى بإيابكم

أقول وقلبى مالكم وازدرى بكم لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم * كما خاب من فى عشقه خان أو زلا

فبعدى عن الاوثان صنو لبنيتى * وفقد الذى أهوى وعظم بليتى

وهتكى وتعذيبى وقرب منيتى * فذا مرادى واعتقادى وبغيتى . ولا يجمع الرحمن لى بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شئ آخر فقال

ص ﴿وأسرق من الجامع زرابين عدة * وآكل بها من شهوتى فى الريف﴾

﴿وأشبع من الترمس وآكل مقيلى والقوا بتشمر وما أرى توقيف﴾

ش هذا الكلام كله من بقية كلامه لابن بنت عريف المتقدم ذكره أى انه يقول أنا اذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز وأكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتى من الكروش المذكورة ورأيت الترمس والمتسلى الذى اشتهيته ولم يكن معى شئ من الدراهم فحينئذ أدخل بعض الجوامع التى فى أطراف حارات المدينة التى يصلى فيها أهل الريافة لان الزرابين لا تكون الا بأرجل أهل الريف لان المراد بها المراكيب وهى جمع زربون على وزن عجمون أو مأبون وهو المركوب الذى يمشى به الفلاح ويسمونه أيضا جوادا وترجيلا (وأسرق) والسرقة حرام ومنهى عنها قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . اى اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار ما لم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور فى كتب الفقه وأباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة وذلها كتب رجل لبعض العلماء ما نقله

يد بخمس مئين عسجد فديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار

فاجابه بقوله عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

أى ان هذه اليد لما تعدت على مال الغير وأخذته وخانت الامانة أرخص الله قدرها وأباح قطعها
بذل الخيانة فهى حكمة للبارى جل وعلا وحدودا أوجبها على خلقه من أمر ونهى وغير ذلك وقوله
(من الجامع) والمراد به المسجد وسمى جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجدا
للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عدة) يعنى كثيرة لان سارق
المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة فى السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهى أن يتقرب من صاحب
المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى أن يخر للسجود لعلام الغيوب
فيأخذه والآخر المركوب وأما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما
كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة
ولا العبادة وغالبهم لا يدخل الجامع الا لعزلة الصوف والقل أو لحساب المال أو ليستظل فيه أوان الحر
وربما ربط فيه العجلة أو البقرة ويجعلونه فى الغالب محلا لمحادثتهم فى الغيط والحيط والزرع والقلع
ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كأنهم فى زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا
نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف المتقدم ذكره انى اذا طلعت المدينة وأكلت بحق العزل
كروشا ولم يبق معى شئ أتلصص وأتجسس واسأل عن بعض الجوامع التى بأطراف حارات مصر
وأسرق منها المراكب (وآكل بها) فى كلامه هذا تورية اما أنه يبيعها ويأكل بثمنها أو أنهم يصدقونه
حال خطفه فيمسكونه ويلطمونه بالمراكيب التى خطفها علانية فيكون هذا أكل معنوى فانه فى الغالب
ان سارق الزرابين اذا وقع فى أيديهم يقطعونها على أحبال رقبته يقال فلان أكل علقة النوم
بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على أحبال رقبته فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة
ودراية بالامور وان كانت أرذل السرقات قيل دخل بعض الحذاق من اللصوص على بعض التجار
وهو جالس فى حانوته وبجانبه نعل له فاراد هذا اللص أخذه فجاء لجانبه بخفة وحط رجله اليمنى فى
واحدة وأراد أن يحط رجله اليسرى فى الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى بعيدا بحيث
لا يراه التاجر ولم يأخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه أين الثانية فقال له لا أدرى قال قد سرقت
فقال له خذ هذه وامض الى فلان وقل له يصنع واحدة مثلها فاخذها الغلام ومضى وسبقه اللص
حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما رجع الغلام لسيده أتى اللص ومعه الفردة التى أخذها وقال
للرجل لا تصنع للتاجر شيأ فانه لقى الفردة الثانية وأراها له وقال له هات الاخرى فاعطاها اياه فأخذ
الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء غلام التاجر يطلبها أخبره بالقضية فرجع وأخبر سيده فتعجب
من حذق اللص وفعله وقيل طلع الابوصيرى الاديب الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت
الركن يشترى له مركوبا فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوب أحمر مثل وجهك
ياشيخ العرب فالتفت له الثانى من البياعين وقال له عندى مركوب مليح وحياة رأسك وصار الجميع

يسكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم يا مشايخ السوق أنا رجل غريب وأنتم توصوابى فان جماعة أخبرونى أن المراكيب اليوم كثيرة ومن رخصها على أفنية أصحابها فقال الكل خلاص ثاره منا جميعا بما قاله بلطافة ثم قالوا له بالله أنت الابوصيرى قال نعم فاكرموه وأعدوه مركوبا أحمر من غير شئ فاخذه ومضى حتى دخل على البدرى العودى رحمه الله تعالى رئيس مصر فى الدخول فلما رآه وفى رجله المركوب قال له وجهك أحمر يا أبوصيرى فقال له نكت بدرى ودخلت الحمام فكان الجواب أظرف من السؤال ومما مدح به البدرى قول الابوصيرى المذكور حيث قال

البدرى كل بالدخول * وفيه انطوى واندرج بوابه حلف بالطلاق * من يوم دخل ماخرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا فى شعر المتقدمين والمتأخرين واستعمله المتنبى فى مواضع من شعره (قال ابن خلكان) رحمه الله تعالى جاءنى صاحبنا جمال الدين الاردبيلى الاديب المجيد فى صناعة الالحان وغيرها وأنا فى مجلس الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندى ساعة وكان الناس مزدحمين لكثرة أشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم أشعر الا وغلامه حضر وفى يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا أيها المولى الذى بوجوده * أبدت محاسنها لنا الايام
انى حججت الى مقامك حجة الاشواق لاما أوجب الاسلام
وأنخت بالحرم الشريف مطيتى * فتشرفت واشتاقها الاقوام
فطلبت أنشد عند نشدانى لها * بيتا لمن هو فى القريض امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لى أنه لما قام من عندى وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا النظم انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير الذى تمثل به هذا القائل لابى نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هرون الرشيد أيام خلافته أولها

يا دار ما صنعت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

ويقول من جملتها فى صفة ناقته

وتجشمت بى هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة قدام
تذر المطى وراءها فكأنها * صف تقدمهن وهى امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

(قيل) سرق رجل مركوبا وأعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له أبوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سرق منى لاخسرت ولا كسبت فضحك عليه أبوه وخلى سبيله وقيل سرق باب دار أبى سالم القاضى فجاء الى باب المسجد وقلعه فقالوا له ما الذى تصنع فقال أقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابى وقيل كان مع أبى بحار وجتان وكانت أم جتا

ماتت نخرج أبوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر أنه نسي مركوبه فصاح على ولده يا جحاشات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يا جحا ما يقول أبوك فقال يقول لك زوجات أبيك في غيابي فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا أنتم منه وهددوا ثم قال له الواحد يا أبي والا الاثنين يعني أجيب فردة من المركوب والا الاثنين فقال بل الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنوا أنه يقول له بل نك الاثنين ومراده أنه يأتيه الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى أن حضر أبوه (وقيل) جلس العيني في محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من أعيان الناس فقال له يا سيدي يقولون ان أهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادي أرى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادي عليه فقال العيني هل في مصر أحقر من هذا قال الرجل الشامي لا قال اصبر حتى أبين لك حذقه ثم ان العيني ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له مرادي فول حار ولكن ما عندي دراهم وما عندي الا فردة مركوب تعطيني بها فقال له الرجل يا سيدي كل شيء جبته أطعمنا به قال فضحك العيني وتعجب الشامي من حذقه وأنعما عليه ومضى الى حال سبيله ومن التورية قول بعضهم هجوا في رجل اسمه عوض ما لفظه فقال

سرموجتي قد سرقت * وضاق بي رحب الفضا أتيت للسر وضحى * أخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتي في الريف) أي شهوتي التي اشتهيتها وهي أكلي من الكروش وشبعي منها الاني ما وجدتها في الريف فاذا طلعت المدينة وفعلت ما تقدم ذكره قضيتها وحصل لي المراد وقوله (وأشبع من الترمس) المراد به المملح بعد نقعه في الماء أياما فان أهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم أي يتنقلون به أيام الاعياد ويهادي به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع في بلاد المدن دائما وهو فاكهة الارياف اذا طلعوا المدينة يفتخرون بأكله هو والمقيلي وفي الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبي رحمه الله تعالى وهو أن من داوم على أكل الترمس كل يوم ملء كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (وآكل مقيلي) أي وأشبع من المقيلي وهو الفول المنبت المقلي بالنار ومن هذا سمي مقيلي وهو مشهور لا يحتاج للتعريف وقوله (وألفه بقشره) أي هو والترمس من شدة شوقي اليه لاني متى أردت تقشير الترمس والمقيلي طال على الامر لاني أحتاج الى أن أقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفي خاطري ولا مرادي وأيضا فان الناظم من أهل الريف وأهل الارياف يأخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره (ومن المناسبة) أن رجلا جلس هو وغلامه في محل ظلام يأكلان زبيبا فقال له سيده كل زبيبة زبيبة وأنا الآخر مثلك فلما فرغا من الاكل قال له سيده يا عبد الخير أنا طمعت عليك بقيت آكل اثنتين اثنتين فقال له يا سيدي ان كنت أكلت اثنتين اثنتين أنا بقيت أسف سفا والعرب من عاداتهم انهم يأكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالحسنة ويجدون في هذا الفعل لذة وحلاوة قال الشاعر

هنيأ لاصحاب البيوت بيوتهم * ولا كلين التمر أخماس أخماسا

وبعضهم يقشر الترمسي والمقبلي واحدة واحدة وأهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ما أري توقيف) يعني ما أتوقف في لفه بقشره ومراده باللف الاكل يقال فلان لف ترد عدس يعني أنه أكله كله وينصرف اللف لغير الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك ثم ان الناظم غني أن يأخذ له لبدة فقال

ص ﴿وآخذلي لبده وكرمشنير * وأنزل كما كاب ابن أبو جعنيف﴾

ش قوله (وآخذلي لبده) هذا أيضا من جملة قوله لابن بنت عريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا أسعفني السعد في سرقة الزرابين وبعتها وأكلت بثمنها أكلا حسيا أو معنويا كما تقدم وبقي معي شيء ولو خمسة أنصاف أخذت لي لبدة جديدة بنصف من الخمسة (و) أخذت بالاربعة (كرمشنير) أي شدا حواشيه غزل أحمر فانه يسمى عند أهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر منهم يقال فلان اليوم لابس لبده وكرمشنير يعني انه بقي من أكابر الكفر فالناظم تشوق الى هذا الامر يعني اذا طلع الدين توهون الله عليه بسرقة الزرابين يأخذ ما في مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكرمشنير في قوة وشهامة مثل الكلب الآتي ذكره ولهذا قال (وأنزل كما كاب ابن أبو جعنيف) وكاب ابن أبو جعنيف هذا كان مشهورا في الكفر بالقوة والشجاعة والنط على الكلاب وخطف العيش وأكل البيض فكان الشخص من أهل الكفر اذا أنعم الله عليه بلبدة وكرمشنير يقولون فلان اليوم أصبح مثل كلب ابن أبو جعنيف أي في القوة والشطارة والسرقة حتى ستر نفسه وكسي روحه وبقي من الاكابر كما أنك تشبه الانسان في الخسة بالكلب أو الخنزير فتقول أنت مثل الكلب مثلا وأبو صاحب الكلب كني بأبي جعنيف أو جعناف أو جعنوف على ما قيل لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جعناف ثقيل الدم مهذار في الكلام من غير فائدة كما رأيته في القاموس الازرق والناموس الابلق (ومن المناسبة) لثقالة الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهورة في كتاب ألف ليلة وليلة وهي ما اتفق ان رجلا من أكابر الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شابا غريبا ظريف الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال الا انه أعرج فدعاه الى الوليمة فأجاب ودخل به على الجالسين في منزله فقاموا له اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما أراد الشاب ان يجلس رأى بين القوم انسانا صنعته مزين فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له ما سبب مجيئك معي ودخولك الى منزلي وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتي فقال له الشاب بالله يا مولاي لا تعترض علي فان سبب هذا كله رؤيتي لهذا النحس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال تعيس الحركة قليل البركة فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشاب في حق المزين كرهوا مجالسته وقالوا نشتك لسمه والله ما بقينا نأكل حتى تذكر لنا ما وقع لك مع هذا المزين فانا كرهنا من وصفك فيه

فقال الشاب يا جماعة جرى لى مع هذا التعس فى بغداد بلدى حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وسبب عرجى وكسر رجلى هذا المنحوس فحلفت أنى لا أجالسه فى مكان ولا أسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من أجله وسكنت هذه المدينة وهى أقصى البلاد وقد نظرته عندكم وأنا الليلة ما أبات الا مسافرا فقالوا له حدثنا ما جرى لك معه فأبى وأخوا عليه هذا والمزين قد اصفر وجهه وأطرق برأسه الى الارض وأما الشاب فانه قال اسمعوا يا جماعة ان والدى كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيرى فلما كبرت وبلغت انتقل والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا جزيلا وخدما وحشما فصرت ألبس وأتنعم وأنا فى أهنا عيش فبينما أنا ذات يوم من الايام ماش فى زقاق من أزقة بغداد اذ رأيت مصطبة فجلست عليها لاستريح واذا بصبية كأنها الشمس المضيئة لم ترعينى أجمل منها اطلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما نظرت اليها تبسمت ثم انها أغلقت الطاق ومضت فاشتعلت فى قلبى النار وشغفت بحبها ومكثت قاعدا على المصطبة غائبا عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضى المدينة راكب على بغلة وقدامه العبيد والخدم حتى أقبل على هذا البيت الذى فيه الصبية ودخله فعرفت انه أبوها فجئت الى بيتى وأنا مكروب وزاد على العشق والهيام واعترانى الضنى فمرضت بحبها واستمريت على هذا الحال أياما وأهلى يبكون على ولا يعرفون حالى الى يوم من الايام دخلت على عجوز فلم يخف عنها أمرى فقالت لى يا ولدى أنت ما فيك مرض غير أنك عاشق فقم واجلس وأطلعنى على قضيتك وأنا أبلغك مرادك فأثر كلامها فى قلبى وجلست وأخبرتها الخبر فقالت لى ما صفة الموضع الذى رأيتها فيه فوصفته لها وقلت لها ان أباها قاضى بغداد فقالت لى يا ولدى أعرفها وأعرف أباها وأنا أدخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من أمها وأبيها واعلم أنما أسعى فى اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الامنى فطب نفسا وقر عينا فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسى للاكل والشرب وقلت لها اسعى وجميع ما تطلبيه خذيه منى فقامت من عندى وتوجهت اليها وجاءتنى ثانى مرة ووجهها متغير وقالت لى كلمتها فشتمتنى وأغلظت على فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى وصارت العجوز فى كل يوم تعود فى فجاءتنى يوما وهى تضحك وقالت لى هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما ذكرت لها أنك مرضت بحبها ومن أجلها فقالت لى اقرئيه منى السلام وطيبى قلبه وقولى له ان عندى أضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجىء الى الدار وأنا أنزل أفتح له الباب وأطلع به عندى فى الطبقة وأجتمع أنا واياه ساعة ويخرج قبل أن يعود أبى من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عنى ما كنت أجده من الالم وفرح أهلى ولم أزل مترقبا يوم الجمعة حتى أنى واذا بالعجوز دخلت على وقالت لى هيئ نفسك واحلق رأسك والبس أحسن ثيابك وامض فى الميعاد وأزل ما عليك من الاوساخ فى الحمام فان معك فى الوقت فسحة وخرجت من عندى فقلت لغلام من بعض غلمانى امض الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا جيدا قليل الفضول

فى

ساعة وأتاني بهذا النحس لا كان الله له في عون فلما دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال لي يا سيدي اني أراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال أذهب الله عنك البأس والاحزان وجميع الآلام وأماط عنك الاسقام ولازالت بك الاقدام وعافاك الله وشفاك ولا شمتت فيك أعداك وهناك بما أعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاك فقال لي أبشر يا سيدي فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى ثم قال لي تريد يا سيدي أن تقصر شعرك أو تنقص دما فانه قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروي عنه أيضا أنه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا اقم الآن واحلق رأسي ودع عنك الهذيان ولقلقة اللسان فاني ضعيف من أثر المرض فادخل يده في جودانه وأخرج منديلا كان معه ففتحه فاذا فيه اسطرلاب فأخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر فيه ساعة وتأمل طويلا وقال اعلم يا سيدي وفقك الله وهداك ورعاك وعافاك وشفاك وهداك أنه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن عشر صفر الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد خمسة آلاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام وثلاثة آلاف وعشرين سنة من تاريخ اسكندر الرومي وأربعة آلاف سنة من التاريخ الفارسي والطالع في يومنا هذا على ما أوجبه الحساب من المريخ ثمان درجات وست دقايق اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه في تسديسه على أن أخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاي أيضا على أنك تريد الاجتماع بشخص والطالع في هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له يا هذا والله لقد أضجرتني وضيقت منافسي وأصغرت روحي وفولت علي بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك للنجامة ولا لشيء من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتأخذ شعري فافعل ما دعوتك له ومن أجله ودع عنك ما لا أريد والا فاذهب عني ودعني أحضر لي مزينا غيرك فقال يا مولاي احمد الله أنت طلبت مزينا فأتى الله عليك بمزين ومنجم وطبيب وعارف بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو واللغة والمنطق والمعاني والبيان والبديع وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب والصرف والعروض والانشاء وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها وانما كان سبيلك أن تحمد الله على ما أعطاك وتشكره على ما أولاك فقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وما أنا بحمد الله تعالى عاجز عن الفضيلة حتى تقول لي هذا القول وانما أشير عليك اليوم أن تعمل ما أقول لك عليه في حساب الكواكب فاني ناصح لك ومشفق عليك وأود لو كنت في خدمتك سنة لان حقك علي واجب وحق أبيك من قبلك واجب ولا أريد منك أجرا ولو فعلت ذلك لكان أسر الاشياء الى قلبي وكل هذا لاجل منزلتك عندي واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندي أيادي متقدمة وله علي فضل لا يحصى

لانه كان يحب خدمتي له وما كان يخدمه أحد غيري لما رأى من كثرة أدبي وقلة كلامي وحسن صنعتي وخفة يدي فلهذا كانت رغبته في وكان يحبني كثير القلة فضولي نخدمتي لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام قلت أنت اليوم فانلي لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال لي يا مولاي ومثلي من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله عليه اذا حضرت عنده يتمنى أن أتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمي ويلتقط من درر نظمي وفهمي وينظر الى حسن صنعتي ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق والثاني اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسواني والخامس اسمه الفشار والسادس اسمه الزعقوق وأنا لقلة كلامي سموني الصامت وان أردت أن أحكي لك عن أصلي وفصلي ونسبي وحسبي وما جرى لاخوتي الستة من أول الزمان الى آخره فاسمع ما أقول فلما أكثر علي الكلام وأطاله بلا فائدة أمرض قلبي وحسبت أن مرارتي قد انفطرت فقلت لغلامي ادفع له أربعة دنانير ودعه يروح عني لوجه الله تعالى فما بقيت أحلق رأسي في هذا اليوم فلما سمع ما قلته لغلامي قال لي هذا النحس الخبيث ايش يا مولاي هذا الكلام أيمان المسلمين تلزمني لا آخذ منك أجرة حتى أحلق رأسك ولا بد لي من خدمتك فانها واجبة علي واصلاح شأنك لازم لي ولا أبالي بعد ذلك ان أخذت منك شيأ أو لم آخذ فان كنت يا مولاي لا تعرف قدري وحقي فأنا أعرف حقك وقدرك لمقام والدك عندي فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد نفع الناس فيه وكان والله جوادا عظيما كريما حليما سخيا محبا للاخوانه أرسل خلفي مرة في نهار جمعة مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال اقصص لي دما فأخرجت الاصطرلاب وأخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فأعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع وأقضي حاجتك مولانا ففرح بكلامي وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان أحد غيرك لكان أخرج لي الدم وشكرني لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب فأنشدت أقول

أتيت الى مولاي أنقص دمه * فلم أر وقتا يقتضي صحة الجسم

جلست أحدثهم بكل عجيبة * وبين يديه أنثر العلم من فمي

فأعجبه مني السماع وقال لي * تجاوزت حد الفهم يا معدن العلم

فقلت له يا سيدي الكل والورى * أفضت علي الفضل لا زلت في حلم

لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والعلم

فلما سمع أبوك رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فأعطاني ما أمر لي به ثم أخذت الطالع فوجدته جيدا فأخرجت له الدم ثم ان هذا النحس صار يزيد في كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدي الذي عرف مثلك قال فضحك هذا النحس من كلامي وقال

لااله الاالله سبحان من يتغير ولا يتغير ما أظن الا أنك المرض غيرك لانى أرى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما أظن الا أنك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ويروى عن أنس بن مالك أنه قال من أرضى والديه فقد أرضى الله تعالى ومن أسخط والديه فقد أسخط الله تعالى وقال الشاعر

وابى الفقر اذا ما كنت مقتدرا * على الزمان وللاحسان فاغتنم

الفقر داء دفين لادواء له * والمال زين يحلى أحسن الشيم

وافش السلام اذا ما جزت فى ملا * والوالدين فكن عونا لبرهم

(لكن ياسيدى) أنت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وأبوك وجدك ما كانا يفعلان شيأ الابمشورتى وقد قالوا فى المثل من لم يكن له كبير فليتخذله مشير قال الشاعر

اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه

وما تجد أحدا أدرى بالامور منى ومع ذلك انى واقف بين يديك على أقدامى أخدمك وما ضجرت منك فتضجر أنت منى فقلت له ياهذا لقد أطلت على وأوجعت رأسى من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عنى وأظهرت له الغبن وأردت أن أقوم وقد دنا منى الوقت الذى أنا منتظره والوعد الذى أنا طالبه وأنا فى كرب من هذا النحس وكثرة كلامه فقال يامولاى أنا ما أعتب عليك أبدا وأنا متعجب منك الذى رأيتك بهذه اللحية وبالامس كنت أحملك على كتفى وأمضى بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق رأسى وقم عنى قال فعند ذلك لما رآنى غضبت أخذ الموسى وسنه وتقدم الى رأسى وحلق منه بعض شعر ثم رفع يده وقال يامولاى ان العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن قال الشاعر

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم

فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التأنى وأظنك مستعجلا وأنت قاصد حاجة وأنا أخشى أن تكون حاجة غير موافقة وأمرا غير صالح فأخبرنى فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده وأخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله ياهذا اسكت عنى فقد ضقت على الدنيا وقد زهقت روحى منك فتقدم وأخذ الموسى وحلق شيأ يسيرا ثم رماه وصار يهدر على فى الكلام الى أن مضى ساعتان وبقى ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد لاأدرى كيف السبيل فى الدخول اليها فقلت له احلق رأسى بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فانى أريد أن أتوجه الى دعوة عند بعض أصحابى فلما سمع هذا النحس بذكر الدعوة قال انا لله وانا اليه راجعون

والله ياسيدى ذكرتنى جماعة ضيوفا عندى ومرادى أصنع لهم طعاما وما عندى شئ وأنت تحضر لى بجميع ما أطلبه ولا أروح الا أنا واياك وتشرفنى اليوم فى محلى ووليمتى أحسن من وليمة أصحابك فقلت خذ ما تريد واحلق بقية رأسى ودعنى فى حالى فان الوقت ضاق ولا لى حاجة بالذهاب الى منزلك وأحضرت له جميع ما طلبه حتى البخور العود ومرادى أن الله يصرفه عنى حتى أمضى الى مطلوبى فقال لى ياسيدى وأنا الآخر عندى جماعة ملاح زيتونا الحامى وصليع الفامى وسلاطع الفوال وعكرشة البقال وسعيد الجمال وسويد العتال وحميد الزبال وأبو عكاش البلان وقنبر الحرفان ولكل واحد منهم قصة ان أردت أحكيها لك فأما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغنى على المزمار وفى وصفه أقول

روحى الفدا لزبال شغفت به * حلو الشمايل كالاغصان ميالا

جاد الزمان به ليلا فقلت له * والشوق ينقص منى كلما زالا

أضرمت نارك فى قلبى فجاوبنى * لا غروان أصبح الوقاد زبالا

(فامض ياسيدى) معى الى أصحابى واترك أصحابك فربما أنك تمضى الى ناس يكثرون عليك من الكلام فيشوشون عليك وأما أنا فانى مثل اسمى صامت ولا أكثر الكلام وكذلك ضيوفى لا يتكلمون كلاما كثيرا فاذا توجهت معى اليهم تأنس بى وبهم فى هذا اليوم فى منزلى وانى خائف عليك من الذين أنت قاصدهم ربما يكون فيهم واحد فضولى فيوجع رأسك وأنت قد صغرت روحك من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادى أمضى الى أصحابى وامض أنت الى أصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يامولاى أن أتخلى عنك وأدعك تمضى وحدك فقلت له ياهذا ان الموضع الذى أنا ماض اليه لا يتحمل أحدا يدخل غيرى فقال لى يامولاى أظنك اليوم فى ميعاد واحدة من أحبابك وأصحابك تريد الخلو وتسعها الاجل الحظ والخلاعة والانس والمنادمة والا كنت تأخذنى معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ما تريد وأنا خائف أن تكون امرأة أجنبية مخادعة تحتال عليك وتفعل معك شيأ يروعك فان مدينة بغداد ما يقدر أحد أن يعمل فيها شيأ والى بغداد جبار وربما صادفك معها أو يخبره أحد بك فيرمى برقبتك فقلت له ياأخس الناس يامنحوس ايش هذا الكلام الذى تقابلنى به وقد ملأتنى غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة فلم يزل يلح على حتى فرغ من حلق رأسى فقلت له الآن امض الى أصحابك بهذا الطعام وأنا منتظرك الى أن تعود وتمضى معى ولم أزل اداهنه واخادعه وهو يقول لا أمضى الا معك ولا أدعك تروح وحدك حتى حلفت له انى أنتظره الى أن يعود وأمضى أنا واياه فأخذ جميع ما أعطيته له وخرج من عندى ثم انه أرسله مع حمال الى منزله وأخفى نفسه فى بعض الازقة وأما أنا فقد قمت من وقتى وساعتى وقد سلم المؤذن وضاق الوقت فلبست ثيابى وسرت مسرعا وحدى الى أن أتيت الزقاق ووقفت على الدار التى رأيت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفى ولم اشعر به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرنى فطلعتنى

الطبقة التى فيها الصبية فلم أشعر الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل القاعة وأغلق الباب فأشرفت أنا من الطاق ورأيت هذا المزين المنحوس قاتله الله قاعدا على الباب فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون من أين علم هذا النحس بى حتى ساقه الله تعالى الى لهتك سترى ثم ان صاحب الدار ضرب جارية من جواره فأتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح العبد فاعتقد هذا الكلب المزين الخبيث انه يضربنى فصاح ومزق ثيابه ووضع التراب على رأسه وصار يقول قتل سيدى فى بيت القاضى واسيداه واسيداه فاقبل اليه الناس من كل جانب وهو يصيح ثم مضى الى دارى والناس خلفه وأعلم أهلى وغلمانى فقال لهم سيدى قتل فى بيت القاضى فجاؤنى صارخين ناشرين الشعور وهو يصيح قدامهم الله ينصر السلطان القاضى قتل سيدى فسمع صاحب الدار ضجة الخلق والصراخ والعياط والناس يقولون له تقتل فى دارك أولاد الناس والمزين يقول واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون فى وجهه وهذا النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال يا قوم ماهذه القصة فقال له المزين تقتل سيدنا فى دارك وتسألنا ماهى القصة فقال له القاضى وأين سيدك حتى أقتله فقال له هذا الخبيث المزين أنت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن مابقى له حس وسبب ذلك انك قتلته فقال له هذا القاضى ومن أدخل سيدك فى دارى بغير اذنى فقال له انه عاشق بنتك وقد دخل لها وأنت فى صلاة الجمعة حكم الموعد الذى أوعدته به فلما جئت ورأيته ضربته وقتلته ومابقى يفرق بينى وبينك الا السلطان أو تخرجه من بيتك فى هذه الساعة فقال له القاضى وقد اعتراه الحياء والخجل من الناس ان كنت صادقا ادخل أنت وأخرجه فنهض هذا الكلب المزين النحيس الشقى ودخل الدار فلما رأيته طلبت طريقا أخرج منها أو موضعا أهرب فيه فلم أجد غير صندوق كبير فدخلت فيه ورددت على الغطا وقطعت الحس وكتمت النفس فالتفت هذا النحيس الشقى الخبيث المزين فلم يرغير الصندوق فى المحل الذى كنت فيه فأتى اليه وحمله على رأسه وقد غاب عقلى وخرج بى مسرعا فلما علمت أنه لا يتركنى حلت نفسى ورميت روحى من الصندوق الى الارض فكسرت رجلى وخرجت فرأيت خلقا على الباب مثل التراب فصرت أنثر الدنانير على رؤسهم فالتهوا عنى فحملنى غلمانى وعبيدى على عواتقهم وصاروا يجرون بى فى أزقة بغداد وهذا النحس الخبيث المزين يجرى خلفى ويقول احمد الله ياسيدى الذى خلصتك من القتل وأنا وراءك لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت القاضى وعشق النساء صعب وصار يشنع على فى الاسواق ويحكينى بالكلام الى ان أدخلنى غلمانى فى خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عنى فقام عليه البواب والغلمان وطردوه ومنعوه وقد زهقت روحى وأشرفت على الهلاك وأحضرت فقيها وكتبت وصيتى وأرسلتها الى أهلى وأخذت معى بعضا من غلمانى وجانب دراهم وسافرت من بلدى بغداد وما دخلت منزلى من الفضيحة التى حصلت لى بسبب هذا الكلب وحلفت لا أسكن فى بلدة فيها هذا النحيس المزين

فلما جئت الى بلدكم هذه أحضرت لى طبيبا وصار يداوينى حتى شفانى الله تعالى وحمدت الله على ذلك لكن حصل لى من ذلك الكسر عرج فهذا أول يوم خروجى من منزلى وقد لاقينى ودعوتنى الى وليمتك فلما رأيت هذا الشقى جالسا عندكم ما طاب لى الجلوس ولا الاكل واعما أسألفة لكم أن تسمحوا الى بأن أخرج من عندكم لاجل خاطر هذا المنحوس وهذه ما جماعة قصتى قال فالتفتوا اليه وقالوا له هذا الكلام صحيح فرفع رأسه وقال نعم وهو يحمد الله الذى سخرنى له فخلصته وانكسرت رجله فان كسر رجله أولى من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل لله تعالى فقال له الجماعات الحاضرون قاتل الله الابعد قد هتك الشاب وغربه عن أهله وفضحت قاضى بغداد ثم انهم نهروه وشتموه وأخرجوه من عندهم وأكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما فعله معه هذا النحس المزين وتفرق كل منهم الى حال سبيله (وفى الغالب) ان كثرة الكلام عند أرباب هذه الصناعة عادة معروفة وطبيعة جبلية توجد فى كبيرهم وصغيرهم لكن هذا النحس قد زاد فى الثقالة والرذالة وعدم الذوق (ومن المناسبة لذلك) ما قاله العلامة التليوبى فى نوادره وهو ما حكى عن الفضل بن الربيع أنه قال قال لى الرشيد يوما أطلب منك حجاما أسكت من الحجر فقلت له ان لى غلاما عاقلا أديبا ظريفا ذا سكينة ووقار وله معرفة تامة فقال ابعثه الى فبعثته اليه وأكدت عليه أنه يلزم السكوت مع الادب ولا ينطق بشئ وأن يتأهب أحسن أهبة وأكدت عليه ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا متقبضا فقال يا فضل ان لذلك الغلام شأنا وانا لا اراه أبدا بعد اليوم ثم انى سألت فراشا مختصا به عن خبره فقال يا فضل لما أتى الحاجم جئت به الى أمير المؤمنين لاخراج الدم فلما بدأ فى الحجامة قال يا أمير المؤمنين انى أسألك عن شئ فقال له ما هو قال قد قدمت محمدا على المأمون والمأمون أسن منه فقال له أخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال وأسألك يا أمير المؤمنين عن شئ آخر فقال له ما هو قال لم قتلت جعفر بن يحيى البرمكى فقال له أخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال وأسألك عن شئ آخر فقال له قل فقال لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد أطيب منها فقال له جوابك عن ذلك اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد قبل أن تقتله فانه سألنى عن ثلاث مسائل لو سألنى عنها المنصور ما أجبته قال الفضل فبينما أنا جالس اذ دخل أبو دلامة على الرشيد باكيا وقد تواطأ مع أم دلامة أنه يدخل على الرشيد وهى تدخل على زبيدة فلما مثل بين يديه بكى وانتحب فقال له الرشيد ما بالك تبكى فقال

وكنا كذى روحين قطا فى مفازة * من الامن فى عيش رخى وفى رغد

فأفردنا ريب الزمان بصرفه * ولم أر شيأ قط أوحى من الفرد

ثم أعلن بالنحيب والعويل وقال يا أمير المؤمنين ماتت أم دلامة وأنا محتاج الى تجهيزها فأمر له بمال وكانت أم دلامة قد دخلت على زبيدة وهى باكية فقالت لها زبيدة ما بالك فقالت ان أبا دلامة مضى لسبيله فأعطتها مالا تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيدة وهو مغضب من أسئلة الحجام وموت

يهادون بعضهم بعضا وبينهم محبة ومودة واتحاد غالبا ومناسبة لان الزبلة قريبة من القلوط وان كان القلوط أرق منها الكل ابن خرا الحس أعظم فى البلد وأكبر من الكل وأشهر من الجميع بذلك اذا ناديت أحدا منهم فى البلد يغلب لسانك الى خرا الحس وتجده فى وجهك (ومن النوادر) أن بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له يا خرا افعل كذا وكذا فقال له الكاتب يا مولاى لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم القدر لانه من أرباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك الحس موضع الخرا بلسانك ولا تخل فيه اثرا (و) الشامن (ابن كنيف) وكان شهيرا موصوفا معروفا يقصده جميع الناس من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديم القلوط وابن خرا الحس الا أن ابن خرا الحس كان محبوب ابن كنيف فى الصغر فلما كبر صار ابن كنيف نديما لهذه الجماعة المذكورين ولا يستغنون عنه كما قال بعضهم مواليا

وطواط عشق خنفسا وصبح بها المحجوب * وبنى لها قصر جوا بيت خلا من طوب
وحضر النقل والمأكول والمشروب * ما للنديم الخرا الالدا المحبوب

ثم ان الناظم لما تمنى أن يجتمع عند هؤلاء الجماعة ليحصل له بهم السرور ويفرح وينشرح بهذه الملة عنده قال

ص ﴿وأفرح بالله وينسر خاطرى * وهذا مرادى يا ابن بنت عريف﴾

ش هذا كله خطاب لابن بنت عريف المتقدم ذكره أى انه يرجو من الله أن يبلغه مناه من سرقة الزرابين المتقدمة ويمن عليه حتى ينزل من المدينة بلبدة وكرمشنير ويكون له مقام فى البلد ومقال بين الناس ويجتمع عليه شيوخ البلد المتقدم ذكرهم ولا يحتاج لاعادتهم فان الاعادة ليس فيها افادة وقد عرفت أسماءهم باللفظ والذوق وملخص القول ان الناظم يقول ان حصل لى هذا فهو غاية مطلوبى ومرادى من الدنيا وتمام مرغوبى من اللذات فانى قد كبرت والزوجة صارت عجوزا عقيما واذا من الله تعالى على بما طلبته يبقى رزق امرأتى على الله تعالى فانه رزاق كريم يرزق الطائع والعاصى والبر والفاجر وأنا على حد قول القائل

يا من طلب رزق ونالو * وقال بقى رزق امراتى قم فى الدجا سرح دقنك * لا يبدلك عن خراتى

أو أنه اختص بالطلب لنفسه وقال لعقله المرا تاكل خرا وألف دقن ولا دقنى ثم انه ختم كلامه بالصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال

ص ﴿وأختم قصيدى بالصلاة على النبى * نبى عربى مكى شريف عفيف﴾

ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفى الشفاء لابن سبع عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثروا من الصلاة على فانها تطفئ غضب الرحمن وتوهن كيد

الشيطان والاحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة وبالجملة فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملالي في شرح ام البراهين ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك ماروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لايدخلها رياء فهي مقبولة بلاشك وقد روى ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدائه وفي انتهائه الى أن قال روى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن الصلاة على النبي أمحق للذنوب من الماء البارد وأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة سلام الله تعالى على أهل الجنة فناهيك بها من منة قاله في كشف الاسرار وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطني وحسن العراقي كما في مسالك الحنفاء وذكره السيوطي مقيدا له بكونه بعد العصر والله أعلم (خاتمة) في ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان قدم منها البعض استطراد المناسبة الكلام لبعضه آنفا قيل تزوج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة أزواج فلما مرض هذا السادس صارت تبكي وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الى السابع الشقي (ويحكى) أن بعض الظرفاء كان يكثر من الشراب سرا وكان عليه حجر من أبيه فبلغ والده ذلك فمازال يتتبع أخباره الى أن رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ماهذا فقال هذا لبن فقال ويحك اللبن أبيض وهذا أحمر فقال الولد صدقت انه كان أبيض فلما رآك خجل واستحى واحمر والعن الله من لايستحى فخجل أبوه وتركه وانصرف (وحكى) أن بعض الظرفاء كان اذا غضبت زوجته بادر الى رفع رجليها او اشتغل بشكاحها فقالت له يوما أنا كلما يشتد غضبي عليك تأتيني بشفيع معك لاتستطيع رده (وقيل) دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك ايره وقال السلام عليكم ورحمة الله فقام القاضي وكشف عن استه وأداره الى المجنون وقال وعليكم السلام قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها مالهذا السلام الا هذا الرد (وحكى) أن الاصمعي قال كنت يوما عند الرشيد فقال لي من عندك يؤانسك فقلت له ليس عندي أحد فلما ذهبت الى منزلي أرسل لي جارية بديعة الحسن والجمال آنستني بكلامها وبهرني عذب افتراحها من بدائع الحركات المطربة المهيجة لسواكن الشهوة التي توقظ النائم وتنعش الفؤاد فلاعبتها ولاعبتني حتى أمالت نفسي اليها ورغبت في الركوب عليها وخلعت ثيابي وسألتها أن تخلع

ثيابها فخلعتها وهي تتنفس تنفس السقيم وتأخذ القلوب بكلامها الرخيم ولبسنا ملابس الشراب وأحضرنا المأكل والمشارب وأكلنا وشربنا وتفكهنا وأردت أن أهم بها فاعتراني من الفتور وعدم الانتصاب ما كدر خاطري وأفسد على ليلتي فتحيرت في أمري وصرت لا أدري ماذا أفعل فأكثرت من ملاعبتها حتى صارت تقلب ايري بيدها فلم يزدد الا فتورا وارتخاء وحصل لها انكماش حتى صار كالميت الذي لا حركة فيه فعظمت حسرتي وصرت منها في حياء وخجل فلما أيست منه قالت يا سيدي دع أيرك فما لنا فيه حيلة ولا نفع فانه ميت ثم قامت وقالت لي نم على ظهرك حتى اغسله وأكفنه فخجلت منها ولم أقدر أخالفها وغت لها كما طلبت فمسكته بيدها وغسلته وكفنته بمنديل ثم قالت لي قم صل عليه فقمت وأنا في غاية الخجل فتوضأت وصليت الصبح وسرت من وقتي الى الرشيد فقال لي ما خبرك فقلت له يا أمير المؤمنين حكايتي غريبة وأخبرته بما حصل لي معها فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لي نحن أحوج اليها منك لصغرها وفطانتها فأخذها مني وعوضني جارية غيرها وعشرة آلاف درهم وحظيت عند الرشيد وسميت من يومها بالاصمعية (وقيل) كان رجل نحوي اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اختلى به قال له يا ولدي حرك الاير حركة الاعراب فانه فاعل بلا ارتياب ومده الى استك كاللفظ المتصل واجعل الهمز آلة له لئلا ينفصل وأطال الكلام في هذا المعنى فدخل عليهم رجل يسمى عمرا فصك زيدا وقال له أعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجري ويقول واعرب وخرج بكر هاربا (وقيل) مرض رجل نحوي وكان بعيدا عن أهله فرأى غلاما يعرفه من أولاد جيرانه فقال له امض الى أهلي وقل لهم ان فلانا قد أصابه داء أوجع ركبتيه وآذى خصيتيه وأسقم بشرته وزاد علته وأسهر مقلته وأجرى عبرته وصار يكثر على الغلام من هذا الكلام فقال له الغلام يا سيدنا أنا أقصر أنا أقول لاهلك قدمات ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده أوصني فقال اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا تزد عن قول نعم ولا تكررها فانك اذا كررتها ثانية فاتتك مضغة ثانية بتحريك ثنايك بها (وقال بعض الطفيلية) اذا طلعت الشمس على النقيرولم يتغد نادى منادمن سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب (وقيل) جاء رجل الى امرأته بلحم فقال لها اصلحي بعضه فانه ينفع البطن واقلي بعضه فانه ينفع الظهر واشوي بعضه فانه ينفع الجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا حطب والاولى أننا نشوي الجميع (ووقف بعض النحاة) على قصاب وقال له هذا اللحم من الضأن الفتي أو من المعز النتي فقال له القصاب هو من خيار الضأن قال له النحوي أذبحته لغرض أم لمرض فقال له حتى أبلغ أنا وعيالي منه قال النحوي أكان ذكرا ذا خصيتين أم أنثى ذات حلمتين قال له الجزار كان ذكرا ينطح الحائط برميه قال النحوي أكان يمج الماء بشدقيه أم يعصه بشفتيه قال كان يدلي برلومته في الماء ويشرب حتى يشبع قال النحوي أكان مرعاته

الشيح والبعيثران أم العصف والريحان قال كان يرعى من نبات الارض كله قال له النحوى أسننت شفرتك وحددت مديتك قال جعلتها والوقعت على رقبة الابعد قطعتها قال النحوى أبدأت بالبسملة وأظهرت الحيعلة التى هى على وزن فيعلة على قول بعضهم وقال بعضهم هى على وزن فعللة والصحيح الاول فقال القصاب لغلامه هات الجلد حتى أقطعه على أكاف هذا النحس الذى عطلنا وقطع رزقنا فلما سمع النحوى منه ذلك شتمه وهرب (وحكى) أن بعض الثلقاء امتدح بعض الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فأخذهما على كتفه وخرج بهما فمر به بعض أصحابه فقال له ماهذا قال انى مدحت مولانا الامير بقصيدة من أحسن القصائد فخلع على خلعة من أحسن ملابسه فبلغ الامير ذلك فضحك وأرسل خلفه وأجازه بجائزة حسنة وحكى عن الاصمعى انه قال رأيت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال أسود فقلت لها ما اسمك قالت مكة فقلت لها ماهذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها اقصدى أن أطوف بالبيت وأقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس فأخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت ادخلوها بسلام آمنين ان شئت فقبل الحجر الاسود وان شئت ادخل الحرم قال وأدهشنى حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأة جميلة ومعها ولد جميل فزنا الرجل بالمرأة ولاط بالولد فقالت المرأة للولد اعرفه فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض أمره على الحكام فقال لها الولد أما أنا فكان ظهرى لوجهه وأما أنت فكان وجهك لوجهه فعرفتك له أبلغ من معرفتى اياه (ومات مجوسى) وعليه دين وترك ولدا والدار فقال بعض غرماء الميت لولده لم لا تبيع دارك وتسدد دين أبيك وتخفف بها عنه فقال اهم الولد اذا بعت دارى وقضيت دين أبى هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه فى النار وأنا فى الدار (وقال المأمون) ليحيى بن أكثم وهو يعرض له من الذى يقول هذا البيت

قاض يرى الحد فى الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضى يحيى أوما يعرف أمير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر أحمد بن أبى نعيم الذى قال

أميرنا يرتشى وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راسى

فلا أرى الجود ينقضى وعلى الأمة وال من آل عباسى

فأفحم المأمون وسكت خجلا (وأرسل) بعض المغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يامنيتى * يسيل المخاط على لحيتى

وليتك عندى اذا ما خريت * يكون لسانك فى ثقبتى

نسيمك عطل ماء السما * وأورثنى الويل فى ركبتى

اذا لم تزرنى أنا مسدنف * فان الهوى مسهل معدق

وعما ينسب للحريرى رحمه الله تعالى

صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك خل دعه واحذر بوائقه

ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فأحوال المنافق نافقه

وعرص وقد واطلم وبالفحش فافتخر * فـارفعت دنيـاك حرا ولا تقـه

ومافيك غير الدين عيب ولن ترى * بدهرك الا ملحدا وزنادقه

(ومثل ذلك) قول الابوصيرى الاديب عفا الله عنه

سـتة فى اللهـو فافعلهـم * فبعـد الممات بها تذكر

تمخول وعرص على الناس وافسق * وغن وقامر اذا تسكر

(ونختم) هذا الكتاب بأبيات من بحر الخرافات فنقول

تم كتاب الهلس والتخريف * وما جرى فى وصف أهل الريف

جعلتـه جزأين باختصار * فجاء كالزبلة فى الدار

لكنه مع ثقل المعانى * وخبط عشوا يا ذوى العرفان

ولفظه الكثيف فى المقال * وحشـوه مسائل الهبال

أبحاثه جاءت كما الجبس الخرا * يا أوجه الاصحاب حقيقا الامرا

فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة أو قصة مساهده

وأصل ما ألجأنى لفعله * وشرحه ونسخه ونقله

العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكى الفخر

شيخ امام مصـدر الطلاب * وروضة العلائم والآداب

ومعدن الجود مع المطلوب * أعنى الامام أحمد السندوبى

جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم

والله يرحم من قرا كتابى * هذا ويرشده الى الصواب

ومن رأى فيه عيوبا وخلل * وسدها فالشخص معدن الزلل

ولا تلمنى فالسماح أفضل * واعذر أخاك مكرها يا بطل

والحمـد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام

على النبى الهاشمى أحمدا * والآل والاصحاب أنجم الهدى

ما غردت ساجعة الاطيار * أولاح برق فى دجا الاسحار